42451

العنوان
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٥و٦ س٢٣ ذوا القعدة والحجة ١٤٠٨هـ - تموز/آب (يوليو/أغسطس) ١٩٨٨م

شعر الحُطَيْئَة
مطبوعا ومخطوطا
-١-

عُنِيَ الأستاذ الدكتور نعمان محمد أمين طه بتحقيق « شعر الحطيئة » ونشرِهِ ، بعد دراسات مستفيضة ، فكان أنَ أَصدَرَ نشرتَهُ الأولى سنة (١٣٨٧هـ ـ ١٩٥٨م) بعنوان « ديوان الحطيئة بشرح ابنِ السِّكِّيتِ والسُّكَّري والسِّجِسْتَاني » رَتَّبَهُ على الموضوعات : ـ المدح والهجاء والغزل ، ووصف الرحلة والناقة وأغراض أخرى ـ بعد أن رجع في جمع الشعر لعدد من النسخ مطبوعها ومخطوطها ، وجاءت تلك الطبعة بفهارسها الوافية في (٤٨٨) صفحة .

ثم أعاد تحقيق الديوان ونشره بعنوان « ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السِّكِّيت » (١٧٦/٢٤٦هـ) بعد التثبت من تصويب أخطاء ظهرت في الطبعة الأولى ، معتمداً على مخطوطة في مكتبة عاطف أفندي في تركية رقمها ٢٧٧٧ وصفها بقوله : (ليس لها نظير في مكتبات العالم) ولم يَمَسَّ تَرتِيبَ القصائد في المخطوطة بالتغيير ، كما فعل في طبعته الأولى ، بل التزم ترتيبها ، كما ذكر في مقدمة هذه المنشورة .

وأورد عبارات استدل بها على أن القسم الأكبر مما ورد في المخطوطة من رواية ابن السكيت (المقدمة ص ٩) .

فكان ما اعتبره الأستاذ المحقق من الشعر من رواية ابن السكيت يقع في (٥٢) بين قصيدة ومقطوعة ، وقد استغرق من صفحات الديوان (٢٤٦)

صفحة ، ثم أضاف الدكتور إلى ذالك إضافات وردت في تلك النسخة المخطوطة أبلغت عدد القصائد والمقطوعات إلى (٨٣) في (٣٠٣) صفحات ، أضاف إليها اثنتي عشرة مقطوعة للحطيئة وقال عنها : إنها (برواية السُّكَّري) بلغت (٣١٦) صفحة من المطبوعة .

وألْحَقَ بها شعراً منسوباً للحطيئة من كتب الأدب واللغة وغيرها في (٢٨) قطعة ، خرجها بحيث انتهى الديوان ، بنهاية الصفحة الـ (٣٦٨) تلتها الفهارس المفصلة التي بلغت به إلى (٤١٢) صفحة .

ولاشك أن الجهد الذي بَذَلَهُ الدكتور في دراسة شعر الحطيئة قد عاد على هذا الشعر بخير العوائد ، فأبرز من مختلف مَضَانِّه ماكان مغموراً ، وقدَّم للقراءِ أَوْفَى ذخيرة منه كانت مُبَعْثَرَةً في مختلف المصادر ، وسهَّلَ لغيره من الباحثين سلوك مايريدون انتهاجَهُ للبحث والتنقيب عن فائته ، وعما له صلة به من شرح ، ومن هُنا يأتي ما أُريد أَنْ أُعَلِّقَ به على منشورة الدكتور الثانية ، حول نسبة ذالك الشعر إلى ابن السِّكِّيت ، روايةً وشرحاً .

لقد كنتُ قبل ستة وعشرين عاماً اطَّلعت على مخطوطة من شعر الحطيئة ، تحدثت عنها في مجلة « العرب » (س ٣ ص ٣٤٤ ومابعدها ــ في جزء شوال ١٣٨٨هـ كانون الثاني ١٩٦٩م) كانت في خزانة كتب الأستاذ خير الدين الزركلي ــ رحمه الله ــ وهي الآن بين مخطوطات مكتبة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ويظهر أنها يَمَنِيَّةُ الأصل ، يدلُّ على ذالك ماسُجِّلَ في طُرَّتِها من اسماءِ مالكيها في خلال مدة تقع بين سنتي (١٠٨٢/١٢٣٨) .

وبعد استيلاء الأتراك على اليمن في القرن الثالث عشر أو بعده انتقلت إلى اسطنبول ، إذ الأستاذ الزركليُّ كان اشتراها من كتبي تركي ، مشهور باقتناء النوادر من الكتب ، أصيب بِلَوْثَةٍ في عقله وتوفي قبل وفاة الأستاذ الزركلي بخمس سنوات .

تقع هذه النسخة في مجلد تبلغ صفحاته (٣٢٦) مقاس الصفحة (١٨×١١ سم) الكتابة ، والشعر يقع في (٣٢٤) صفحة ، في الصفحة (١١) سطراً في

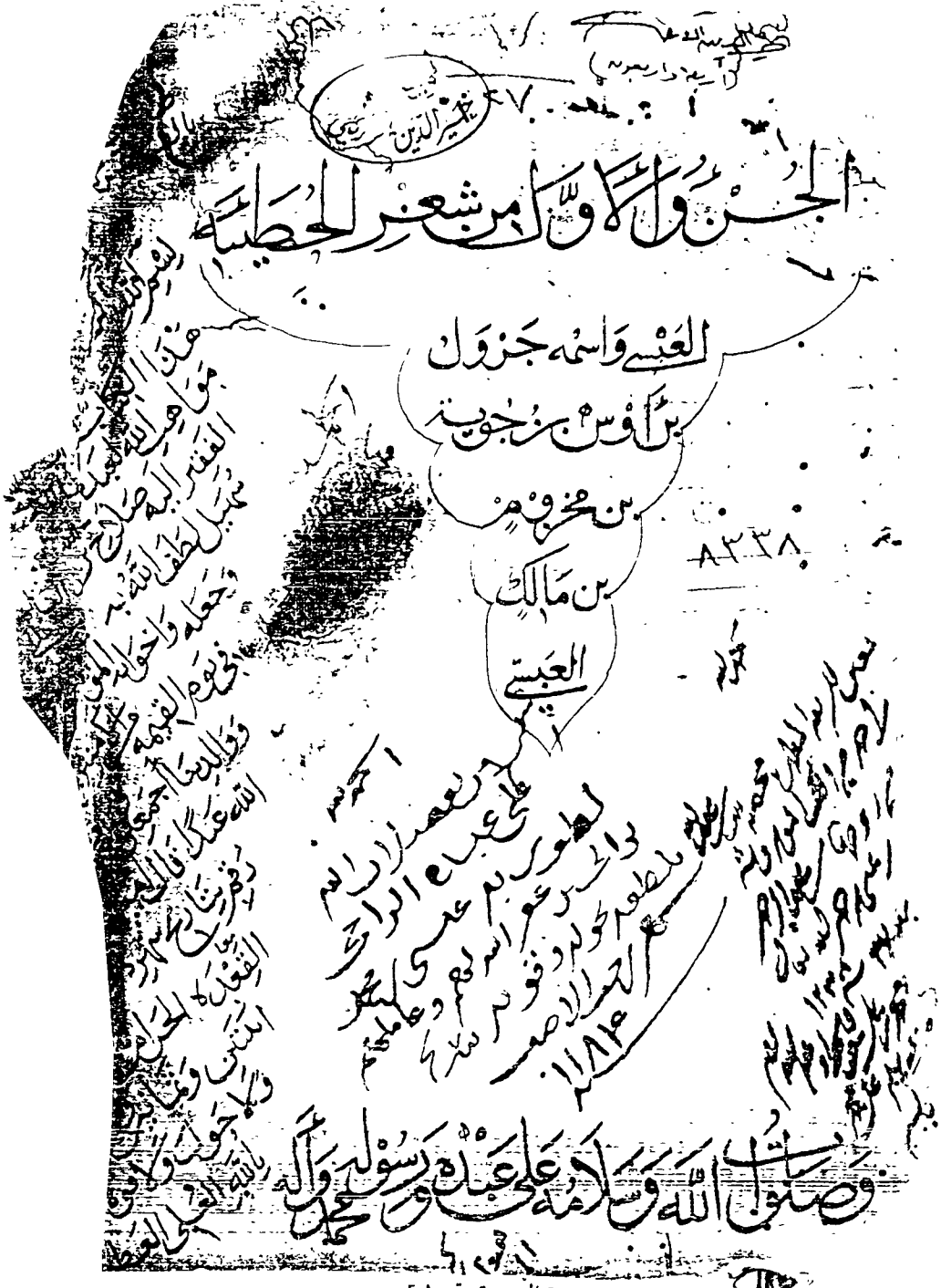
الجزء الأول من شعر الحطيئة

العبسي واسمه جرول

بن أوس بن مخبوم

بن مالك

العبسي

وصلى الله وسلامه على عبده ورسوله وآله محمد

[الصورة رقم ١]

الغالب ، مكتوبة بخط النسخ الحسن ، والأبيات مميزة بالخط العريض ، والكلمات جميعها مشكلة بالحركات ، ويكثر خطأ الكاتب فَيُحَرِّفُ ويُصَحِّفُ ، مما يدل على انه ليس ذَا علْمٍ ، وليس في هوامش النسخة مايدل على تصحيح أو اطلاع من ذي معرفة ، وليس فيها ذكر تاريخ كتابتها ، وفي آخرها مانصه : (هذا آخر ما وُجِدَ من ديوان الحطيئة ، كتبه محمد بن عبدالله الآمدي ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وعترته) .

ولا يستبعد أن تكون النسخة من مخطوطات ماقبل القرن السادس الهجري كما يبدو من نوع الخط .

وفيها خرم في آخر الورقة الـ (١٥٠) حيث وردت قصة مبتورة ، وفي الورقة التي تليها : (ماوجدته زائداً من شعر الحطيئة في نسخة أخرى والإسناد عن ابن السكيت) .

وليس في النسخة مايدلُّ على اسم جامع الشعر ، وإنما في طرة المخطوطة : (الجزء الأول من شعر الحطيئة العبسي ، واسمه جرول بن أوس بن جوية بن مخزوم بن مالك العبسي) ثم أسماء مُلاَّكِ النسخة ، وفي آخر الصفحة (وصلوات الله وسلامه على عبده ورسوله محمد وآله) وتبدأ الصفحة بعد ذالك بالبسملة ثم : (قال حدثنا ثابت بن أبي ثابت عن الأثرم قال حدثنا أبي عُبَيْدَةَ قال : لما قدم[1] أبو بكر ــ رحمه الله ــ في الرِّدَّةِ ، وفدَ الزِّبْرِقَانُ بنُ بَدْرٍ) وبعد سرد أخبار تتعلق بالحطيئة في سبع ورقات يرد مانصه : (وقال الحطيئة واسمه جرول بن أوس بن جوية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر بن نزار يهجو الزبرقان بن بدر بن أمرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ، واسمه حصين ، وإنما سُمِّيَ الزِّبْرِقَانُ لجماله ، شُبِّهَ بالقمر ، وهو الزِّبْرِقَان قال أبو بكر : الزِّبْرِقَانُ دَارة القمر ، وهي الهلالة أيضاً ويمدح بغيض بن شَمَّاسِ بن لأْيٍ ، قال ابن السِّكِّيْتِ : وتَصِيْرُ حُطَيْئَةُ تَصْغِير حَطْأَةٍ ، وقال : حَطَأَهُ إذَا ضَرَبَ بهِ الأرض ، وكان يُكنَى أبا مُلَيْكَةَ :

طَـافَتْ أُمَامَـةُ بِـالـرُّكْبَـانِ آوِنَـةً يَـا حُسْنَهُ مِنْ قَـوَامٍ مَّـا وَمُنتَقَبَـا

قال أبو يوسف : يقال طاف يطوف وهو من الطَّيف) . ويستمر إيراد الشرح ، وسياقُ الشعر مشروحاً .

ومن استقراء ماتضمنته يتضح :

أولاً : أنها جمعت بين روايتي الأثرم وابن السِّكِّيْت ، وهي ثلاثة أقسام :

من أولها إلى نهاية الصفحة الأولى من الورقة الثالثة عشر بعد المئة (١١٣) تحوي تسع قصائد تتفق في ترتيبها مع مافي الديوان المطبوع ، سوى القصيدة التاسعة في المخطوطة ، فهي في الديوان الرابعة عشرة . هذه القصائد التسع هي على مافي المخطوطة بروايتي الأثرم وابن السكيت يتكرر أسماهما في كثير من الصفحات ، كما تتكرر أسماء كثير من مشاهير الرواة كالأصمعي وابن الاعرابي وأبي عَمْرٍو الشيباني ، وخالدِ بن كلثوم ، وغيرهم في بيان معاني ذالك الشعر وفي روايته . ولعل من المناسب ذكر الأسماء التي تتكرر كثيراً في هذه المخطوطة مع الإشارة إلى مواضع ذكرها .

١ ــ الأثرم : (علي بن المغيرة توفي سنة ٢٣٢) :

ورد باسمه الصريح في أكثر من ثمانين موضعاً منها ، في الأوراق : (١/ ٩/ ١٠/ ١٣/ ١٩/ ٢٠/ ٢١/ ٢٢/ ٢٣/ ٢٤/ ٢٥/ ٢٦/ ٢٧/ ٣٢/ ٣٣/ ٣٤/ ٣٨/ ٤٠/ ٤١/ ٤٢/ ٤٣/ ٤٤/ ٤٥/ ٤٦/ ٤٧/ ٤٨/ ٤٩/ ٥٠/ ٥٢/ ٥٣/ ٥٤/ ٥٥/ ٥٦/ ٥٨/ ٥٩/ ٦٠/ ٦١/ ٦٢/ ٦٣/ ٦٤/ ٦٥/ ٦٦/ ٦٧/ ٦٨/ ٦٩/ ٧٠/ ٧١/ ٧٢/ ٧٣/ ٧٤/ ٧٥/ ٧٦/ ٧٧/ ٧٨/ ٧٩/ ٨١/ ٨٢/ ٨٣/ ٨٥/ ٨٦/ ٨٧/ ٨٨/ ٨٩/ ٩٠/ ٩١/ ٩٢/ ٩٣/ ٩٤/ ٩٦/ ٩٩/ ١٠٠/ ١٠١/ ١٠٣/ ١٠٤/ ١٠٥/ ١٠٦/ ١٠٧/ ١٠٨/ ١٠٩/ ١١٠/ ١١٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال حدثنا ثابت بن بشير ثابت عن ابن عمر قال

حدثنا أبو عبيدة قال لما قدم أبو بكر رحمه الله في

الردة وفد الزبرقان بن بدر فساق صدقات عوف وأبنا

وكان عوف في بعض

الطرق راى الحطيئة وكان الحطيئة اسود اللسان داخل

الفم وملتقى الشفتين وهو يكمد في هدم له اغبر وقد كان

بين الزبرقان وبين بني قريع مقارضة ومهاجاة فاراد

ان يستظهر بالحطيئة عليهم فقال له ويلك انك مضيعة

وراك شاعرا افلقا فهل لك الى خير مواساة فقال وددت

قال فالحق بنا سعدا حتى اتيك فانما اودي هذه الصدقة

٢ ــ ابن السكيت : (يعقوب بن إسحاق ١٧٦ ــ ٢٤٦) :

تكرر اسمه في نحو مئة موضع منها : (٨/ ٩/ ١٠/ ١١/ ١٣/ ١٦/ ١٧/ ١٨/ ١٩/ ٢٠/ ٢١/ ٢٢/ ٢٣/ ٢٤/ ٢٥/ ٢٦/ ٢٧/ ٢٨/ ٢٩/ ٣٠/ ٣١/ ٣٢/ ٣٣/ ٣٤/ ٣٥/ ٣٦/ ٣٧/ ٣٨/ ٣٩/ ٤٠/ ٤١/ ٤٢/ ٤٤/ ٤٥/ ٤٦/ ٤٨/ ٤٩/ ٥١/ ٥٢/ ٥٣/ ٥٤/ ٥٥/ ٥٦/ ٥٧/ ٥٨/ ٥٩/ ٦٠/ ٦١/ ٦٢/ ٦٣/ ٦٤/ ٦٥/ ٦٦/ ٦٧/ ٦٨/ ٦٩/ ٧٠/ ٧١/ ٧٢/ ٧٤/ ٧٥/ ٧٦/ ٧٧/ ٧٨/ ٧٩/ ٨٠/ ٨١/ ٨٢/ ٨٣/ ٨٤/ ٨٦/ ٨٧/ ٨٨/ ٨٩/ ٩٠/ ٩١/ ٩٢/ ٩٣/ ٩٤/ ٩٥/ ٩٦/ ٩٧/ ٩٨/ ٩٩/ ١٠٠/ ١٠١/ ١٠٢/ ١٠٣/ ١٠٤/ ١٠٥/ ١٠٧/ ١٠٨/ ١٠٩/ ١١٠/ ١١١/ ١١٢/ ١١٣/ ١٥١) .

٣ ــ الأصمعي : (عبدالملك بن قُرَيْبٍ توفي سنة ٢١٣) : وهذا يروى عنه الأثرم (٤٢/ ٤٥/ ٧١/ ٧٢/ ٧٣) ، كما يروى عنه ابن السِّكِّيت بواسطة التَّوَّزِيِّ : (٢٢/ ٩٦) .

ورد اسمه في أكثر من ستين موضعاً منها : (٨/ ٩/ ١٠/ ١٢/ ١٣/ ١٤/ ١٥/ ١٦/ ٢٢/ ٢٧/ ٣١/ ٣٣/ ٣٦/ ٣٧/ ٣٨/ ٣٩/ ٤٠/ ٤١/ ٤٢/ ٤٤/ ٤٥/ ٤٦/ ٤٧/ ٤٨/ ٤٩/ ٦٦/ ٦٧/ ٦٨/ ٦٩/ ٧١/ ٧٢/ ٧٣/ ٧٦/ ٧٧/ ٨٠/ ٨١/ ٨٢/ ٨٣/ ٨٤/ ٨٥/ ٨٨/ ٩٦/ ١٠٦/ ١٠٧/ ١٠٨/ ١١١/ ١٢٣/ ١٢٤/ ١٢٥/ ١٢٦/ ١٢٧/ ١٢٩/ ١٣٠/ ١٣١/ ١٣٢/ ١٣٤/ ١٣٦/ ١٣٧/ ١٣٨/ ١٤٢/ ١٤٩) .

٤ ــ أبو عمرٍو الشيباني : (إسحاقُ بنُ مِرَار توفي سنة ٢٠٦) ، من شيوخ ابن السِّكِّيت . . نقل عنه كثيراً في شرح شعر الحطيئة :

وقد تكرر اسمه في نحو ستين موضعاً منها : (٤/ ٥/ ٨/ ٩/ ١١/ ١٣/ ١٤/ ١٦/ ١٧/ ٢٠/ ٢١/ ٢٢/ ٢٥/ ٣٠/ ٣٤/ ٣٥/ ٣٦/ ٣٧/ ٣٨/ ٤٠/ ٤١/ ٤٢/ ٤٤/ ٥١/ ٥٤/ ٥٧/ ٦٣/ ٦٨/ ٦٩/ ٧٠/ ٧١/ ٧٣/ ٧٥/ ٧٧/ ٧٩/ ٨٠/ ٨١/ ٨٢/ ٨٦/ ٨٧/ ٩٠/ ٩١/ ٩٤/ ٩٩/ ١٠١/

١٠٢/ ١٠٦/ ١٠٩/ ١١٠/ ١١٤/ ١١٨/ ١٣٦/ ١٣٨/ ١٤٠/ ١٤١/ ١٤٦) .

٥ ــ **ابن الأعرابي** : (**محمد بن زِيادٍ ، توفي سنة ٢٣٠هـ**) ، يروي عنه الأثرم (٣٣/ ٤٩/ ٦٠/ ٦٧) وهو من شيوخ ابن السِّكِّيْتِ أيضاً : (٣٠/٣٦) .

ورد ذكره في نحو خمسين موضعاً منها : (٩/ ١٠/ ١١/ ١٢/ ١٣/ ١٤/ ١٥/ ٢٣/ ٢٧/ ٣٠/ ٣٣/ ٣٦/ ٣٧/ ٣٨/ ٤٠/ ٤١/ ٤٣/ ٤٤/ ٤٩/ ٥٠/ ٥٤/ ٦٠/ ٦٧/ ٧٣/ ٨٣/ ٨٤/ ٨٦/ ٨٧/ ٨٩/ ٩٧/ ٩٨/ ١٠٣/ ١٠٨/ ١٠٩/ ١١٠/ ١١١/ ١١٤/ ١١٨/ ١١٩/ ١٢٤/ ١٢٦/ ١٣٠/ ١٣١/ ١٣٢/ ١٣٣/ ١٣٥) .

٦ ــ **أبو عُبَيْدَةَ** : (**مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى** : (**١١٠/٢٢٩هـ**) ، يروي عنه الأثرمُ وهو تلميذهُ وناسخُ كتبه ، كما في « نُزْهَةِ الأَلِبَّاء » ونقل عنه ابن السِّكِّيْتِ بواسطة التَّوَّزِيِّ (٢٩/ ٦٦/ ٩٦/ ٩٧) .

له ذكر في نحو ثمانية وعشرين موضعاً منها : (١/ ٤/ ٩/ ٢٩/ ٥٠/ ٥٥/ ٥٧/ ٦٠/ ٦٦/ ٧٦/ ٧٧/ ٨٢/ ٨٦/ ٨٧/ ٩٦/ ٩٧/ ١٠١/ ١٠٢/ ١٠٣/ ١٠٤/ ١٠٥/ ١١٣/ ١١٤/ ١٢٦/ ١٤١) .

٧ ــ **الفراء** : (**يحيى بن زِيَادٍ ، توفي سنة ٢٠٧**) من شيوخ ابنِ السِّكِّيْتِ وهو يروي عنه في شرح شعر الحطيئة .

وقد ورد ذكره في الورقات : (٨/ ١٤/ ١٧/ ٢٧/ ٣٦/ ٤٨/ ٥٩/ ٨٦/ ٨٩/ ٩٣/ ٩٦/ ١٠٧/ ١٠٨) .

٨ ــ **أَبو زَيد** : (**سعيد بن أوس الأنصاري ، توفي سنة ٢١٤**) من شيوخ ابن السِّكِّيْتِ ، يروي عنه في هذا الكتاب : (٨/ ٢٢/ ٦٦/ ١٠١/ ١٠٢/ ١٠٥) .

٩ ــ **وممن تكرر ذكرهم في هذا الكتاب راوياً وشارحاً لبعض الكلمات اللغوية (أبو بكر)** كذا وردت الكنية بدون ذكر اسم وهو يروي عن الباهلي

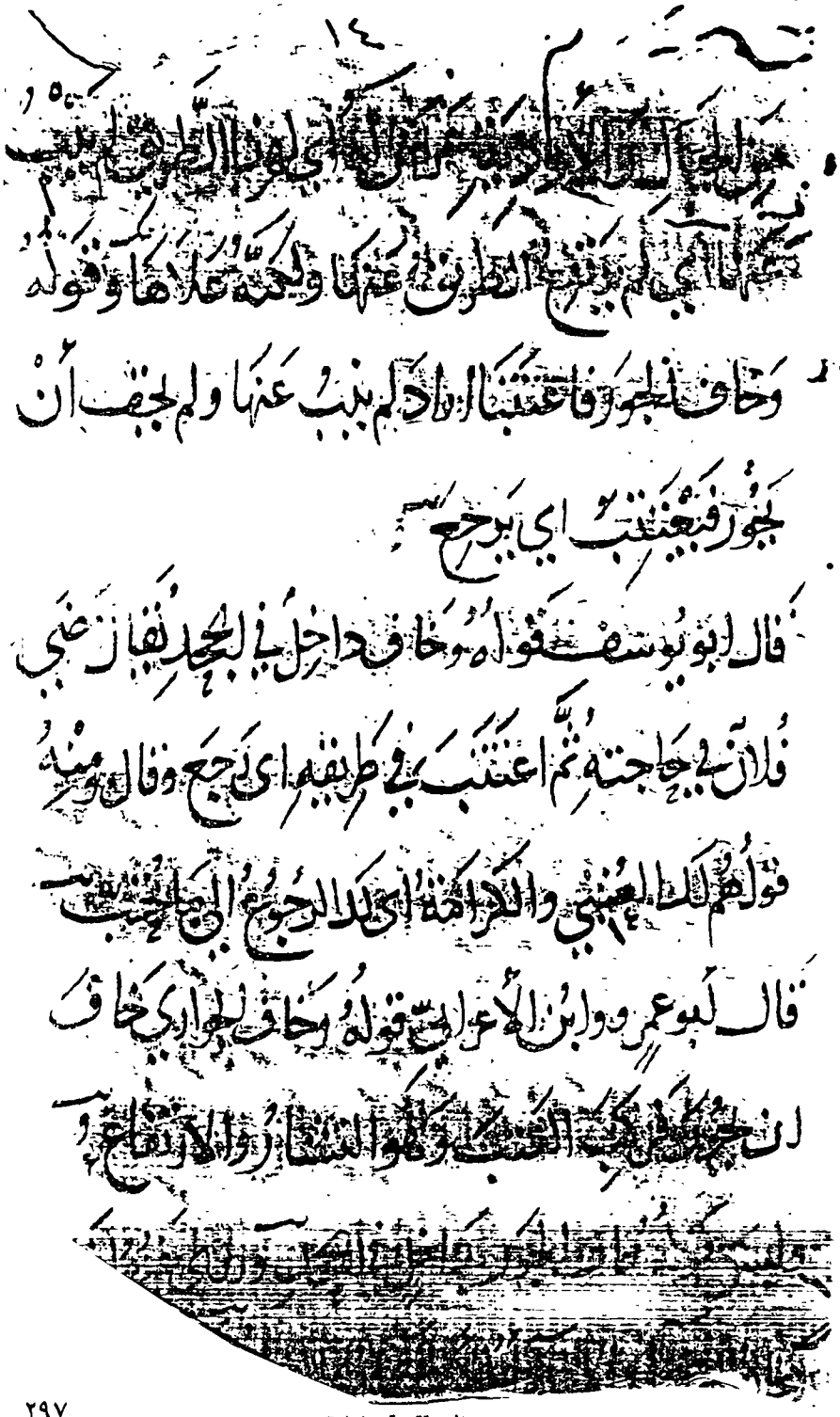

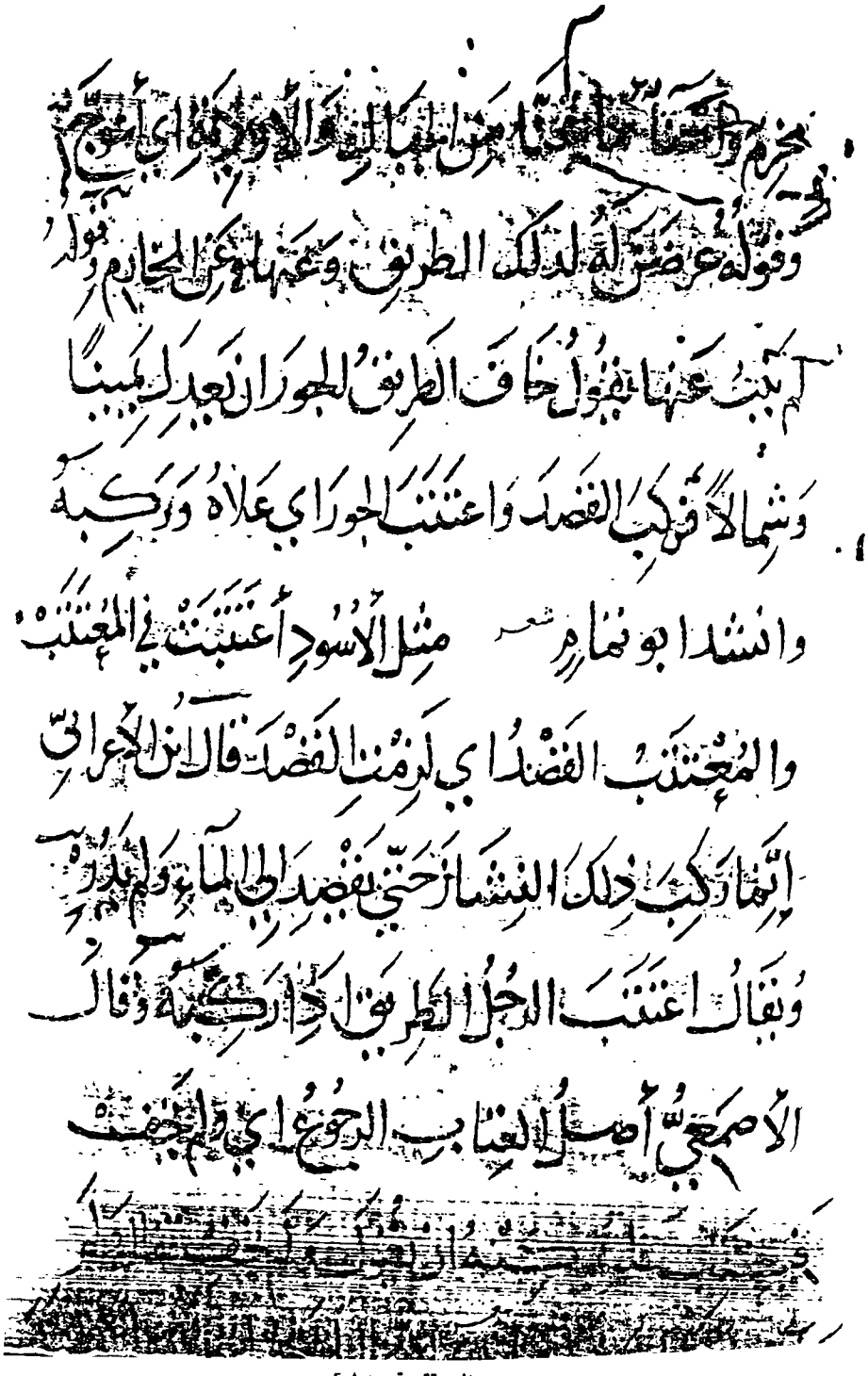

(٤٩) وعن ابن الاعرابي وحماد (١٢) فهل الكنية لأحد رواة الشعر ممن تقدم ذكرهم ، أم هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٤٤/ ٣٢٣) ولكن هذا متأخر عن عصر شارحي شعر الحطيئة الأثرمِ وابنِ السكيت ، وهو مع ذالك ممن رُوِيَتْ عنه أخبارٌ كثيرة تتعلق بالحطيئة ، وهو يروي عن حماد بن اسحاق[٢] ، وعن الباهلي أحمد بن حاتم الباهلي ، وعبدالرحمن بن أخي الأصمعي[٣] ، وتجد طرفاً من روايته أخبار الحطيئة في « الأغاني » .

لقد وردت الكنية (أبو بكر) في نحو أربعين موضعاً منها : (٧/ ١٢/ ١٦/ ٤٢/ ٤٣/ ٤٥/ ٤٩/ ٥١/ ٥٢/ ٥٤/ ٥٦/ ٥٧/ ٥٨/ ٥٩/ ٦٧/ ٦٩/ ٧٠/ ٧١/ ٧٦/ ٧٨/ ٧٩/ ٨٠/ ٨١/ ٨٤/ ٨٨/ ١٠٢/ ١٠٣/ ١٠٤/ ١٠٥/ ١٠٦/ ١١٠/ ١١٣/ ١١٩/ ١٢٠/ ١٢٤/ ١٢٩/ ١٣٣/ ١٣٥/ ١٣٩) .

١٠ ــ **خالد بن كلثوم** : ينقل عنه ابن السِّكِّيْتِ (٣٦/ ٨٨/ ٩١/ ٩٢) .

ورد اسمه في نحو خمسة وعشرين موضعاً منها : (١٣/ ٣٦/ ٣٨/ ٤٠/ ٤٤/ ٦٥/ ٦٦/ ٦٩/ ٧٢/ ٧٦/ ٧٨/ ٨٠/ ٨٢/ ٨٣/ ٨٨/ ٩١/ ٩٢/ ٩٥/ ١٠١/ ١٠٤/ ١٠٦/ ١٠٨/ ١١٠/ ١٢٦) .

ثانياً : من الصفحة الثانية من الورقة الثالثة عشرة بعد المئة (١١٣) إلى آخر الورقة الـ (١٥٠) يظهر أنها من رواية الأثرم خاصَّة إذ في آخر الصفحة الأولى من الصفحة الـ (١١٣) مانصه : ــ بعد شرح آخر بيت في القصيدة التاسعة بنصوص منسوبة إلى ابن السكيت وإلى الأثرم وإلى أبي بكر ، ورد في آخر الورقة مانصه : (إلى هاهنا عن ابن السكيت من هذا عن الأثرم خاصة) وفي الصفحة التي تليها : (قال الأثرم : قال أبو عبيدة) الخ . . . ثم لا ذكر لابن السكيت في هذه الأوراق جميعها ، والقصائد في هذا القسم مشروحة مع ذكر اختلاف في بعض الروايات ، حيث يتكرر في الشروح وفي الاختلاف ذكر ابن الأعرابي وأبي عمرو ، وأبي بكر والأصمعي وأبي عُبَيْدَة ، ولكن لا ذكر لابن السكيت في هذا القسم ، والشعر في هذا القسم مشروح وقد تتخلله بعض الأخبار ، ويحوي (٣٤) مقطوعة يختلف ترتيبُها عما يقابلها في الديوان المطبوع ، ومجموع أبياتها في المخطوطة (٢٤٦) وفي المطبوعة (٢٣٦) .

الكبير لا يتعاشى وأكثر ما يقال في النعام والعوج يعني
قوائمه لأنها ضعاف فخره فيقول يشتد عليها لاعجابه بالعيث
ثم يقول يدق ذلك للشيخ من اعجابه وسروره بالعيث
يمشي على قوائم له فخمة رامحة ينبه لينظر اليه والرفيف
السرعة في المشي ط سمعت ابا سعيد يقول يعني قوائم هذا
الشيخ انها قد اعوجت وخرفت من الكبر فاذا راى هذا
الفتى الشاب لم يصبر أن يمشي على هذه الحال لا ثقة به واعجابه
واستخفه الفرح لذلك ط قال ابو بكر قوله يدق على عوج
يعني لقوائم يقول لاعجابه بالعيث والرفيف كأنه يطير
كما لا تنثني كما تدق القامة ط نتف
[illegible]

قال الأثرم قال ابو عبيدة لما كبر مالك بن جعفر سار عامر الطفيل
وعلقمة بن علاثة في الرياسة فقال علقمة بن علاثة انا
فانا احق بها منك وانما كانت لعمك فقال عامر انا خير منك
واحق بها منك وان كانت لابيك قال علقمة لا بل انا خير منك
انا عفيف وانت عاهر وانا ولود وانت عاقر وانا أدني
الى ربعه منك وذلك انه كانت أمه ربعيه من ربيعة تنازعا
الى حكم يحتكمان اليه فتراضيا بهرم بن قطبة بن سنبار الفزاري
فرحلا اليه مع كل واحد منهما ثلثمائة بعير مائة بعير
يطعمها من النخل ومائة تقوت للحكم ومائة يبيعها
اذا حكم له قال عامر لعمه قل قولا يفضلني عليه فقال له ابو
براء تسمي عامرا اخي فقال ما كنت لاسمك فقال وانا ما كنت لاسبك

مع اتفاق في عدد الأبيات في الغالب ، بحيث لم تزد أبيات المخطوطة على (١٠) أبيات ، إذ أبيات المخطوطة (٢٤٦) وأبيات المطبوعة (٢٣٦) بيتاً .

ثالثا : من الورقة الحادية والخمسين بعد المئة حتى نهاية الصفحة الأولى من الورقة الرابعة والستين بعد المئة وهي آخر النسخة تشتمل على قصائد ومقطعات مسرودة سردًا بدون شرح ، وقد كتب في أولها : (ماوجدته زائداً من شعر الحطيئة في نسخة أخرى والاسناد عن ابن السكيت) .

ومن تلك القصائد والمقطوعات ماهو مشروح في المطبوعة ، وغريب أن يرد في المخطوطة منسوباً إلى ابن السِّكِّيت ، وهو من غرر شعر الحطيئة ، ولا أثر لابن السكيت في شرحه .

أما النقص بين تلك الصفحة وبين ماقبلها حيث يرد خبر مقابلة الحطيئة لعيينة البكريِّ مبتوراً في آخر الصفحة الثانية من الورقة الخمسين بعد المئة ، فيظهر من مقابلة مافي هذه المخطوطة من الشعر بما ورد في المطبوعة منه ، وسيأتي بيانه .

وهاهو تفصيل ماتحويه المخطوطة من الشعر ، باعتبار ما اتضح من تقسيمها :

[القسم الأول]

وهو مارواه الأثرم وابن السكيت وغيرهما من متقدمي الرواة مشروحاً :

م	المخطوطة: القصيدة أو القطعة		الأبيات	الورقة	الديوان المطبوع: القطعة	الأبيات	الصفحة
١	طافت أُمامهُ	ومُنْتَقَبا	٢٥	٨ ـ ٢٣ب	١	٢٥	٥
٢	عَفَا مُسْحَلاَنُ	جآذِرُهْ	٢٨	٢٤/٣٨ب	٢	٢٧	١٩
٣	أَلاَ آلُ لَيْلَى	بِرَحِيلِ	٢٣	٣٨ب/٣٩أ	٣	٢٢	٣٣
٤	والله ما مَعْشَرٌ	بأكياسِ	١٧	٤٩ب/٥٥ب	٤	١٧	٤٤
٥	أشاقَتْكَ	بَوَاكِرْ	٣٥	٥٥أ/٦٧	٥	٣٤	٥٣
٦	أَلاَ طَرَقَتْنَا	نَجْدُ	١٨	٦٧/٧٣	٦	١٥	٦٣
٧	آثَرْتُ إدْلاَجِي	المُتَجَرَّدِ	٣٤	٧٣/٨٥ب	٧	٣٥	٦٨
٨	أَلاَ أَبْلِغْ	سَوَاءُ	٤٤	٨٦/٩٩	٨	٣٩	٨٢
٩	أَلاَ مَنْ لِقَلْبٍ	بالزَّفَراتِ	٢٢	١٠٠/١١٣	١٤	٢٢	١١٢
			٢٤٦			٢٣٦	

[القسم الثاني]

عن الأثرم خاصة ، كما ورد في المخطوطة الورقة (١١٣) :

م	المخطوطه: القصيدة أو القطعة		الأبيات	الورقة	الديوان المطبوع: القطعة	الأبيات	الصفحة
١	أدِبُّ وَراءَ	بابِ	٤	١١٦	٤٠	٤	٢٠٥
٢	تَأَمَّلْ فإنْ كان	عَمْرِ	٢	١١٧	٧٩	٢	٢٩٨
٣	قد وَزْوَزانيَ	يكيدان	٣	١٧٧ب	٥٠	٣	٢٣٨
٤	سِيري أمام	وإدْباري	٣	١١٧	٦٠	٣	٢٦٣
٥	قُلْتُ لَهَا	قليلْ	٤	١١٨	٧٨	٤	٢٩٧
٦	إنْ لا يكن	مهلهل	٣	١١٨ب	٨٣	٤	٣٠٢
٧	شَهِدَ الحُطَيْئَةُ	بالعُذْرِ	٥	١١٩	٥٧	٥	٢٥٩
٨	ألا هَبَّتْ أُمَامَهُ	بظلم	١١	١٢٠	٢٨	١١	١٧٣
٩	لَعَمْري لقد	أَرِيبُ	٧	١٢٠ب	٤١	٩	٢٠٦
١٠	لأمدحنَّ بِمِدْحَةٍ	ذهل	٣	١٢١ب	٦٢	٣	٢٦٥
١١	ما لِبجـاد	لا تُهْدي	١	١٢٢	٦	٢	٣١٢
١٢	فَلَسْتُ بمَحْبُوٍّ	آلَ مُخَرِّم	٨	١٢٢	٢١	٨	١٤٠
١٣	أَلاَ كُلُّ أرْمَاحٍ(٤)	الغَمْرِ	٩	١٢٢ب	٣٦	٨	١٩٣
١٤	إلى ملك	قبالا	٤	١٢٣ب	٢٤	٦	٣٣٥
١٥	لَعَمْرُكَ ماذَمَّتْ	تَوَلَّتِ	٥	١٢٤	٢٠	٥	١٣٩
١٦	أفي ما مضى	والعُمْرْ	٢٨	١٢٤ب	١٣	٢٩	١٠٤
١٧	يا جَفْنَةً تَرَكَ	المُقْتَرِى	٦	١٢٩	٣٨	٦	١٩٨
١٨	يا نَدمَا عَلى سَهْمِ	حِلْمِي	٣	١٣٠	٣٧	٤	١٩٦
١٩	أَدارَ سُلَيْمَى	الوُطْفِ	١١	١٣٠ب	١٥	١١	١١٨

[تابع القسم الثاني]

م	المخطوطة: القصيدة أو القطعة	المخطوطة: الأبيات	المخطوطة: الورقة	الديوان المطبوع: القطعة	الديوان المطبوع: الأبيات	الديوان المطبوع: الصفحة
٢٠	فِدًى لابن المهالكِ	٦	١٣٢	١٦	٦	١٢٢
٢١	لَـمّا رَأيتُ فاضِحِي	٩	١٣٣ب	٣٩	٩	٢٠٠
٢٢	لِمَنِ الدِّيَارُ المُـورُ	٢٣	١٣٥ب	٢٢	٢٣	١٤٢
٢٣	أَلَـمْ تَسْأَلِ البَوَارِحُ	٥	١٣٨	٢٤	٥	١٥١
٢٤	أَنَحْنَا بِبَيْتِ المُخَبَّل	٨	١٣٩ب	٦٧	٨	٢٧٣
٢٥	أَبُوكَ رَبِيعَةُ ما تَقُولُ	٤	١٤٠ب	٧٦	٤	٢٩٤
٢٦	مَنْ مُبْلِغٌ بإرْسالِ	٣	١٤١	٩	٣	٣١٤
٢٧	سَلَّمَ مَرَّتَيْنِ السَّلَاما	٢	١٤٢	١١	٢	٣١٥
٢٨	عَفَا الرَّسم فَمُنِيمُ	٤	١٤٢	١٢	٤	٣١٥
٢٩	إنَّ الخَلِيطَ خُرُقُ	٢٢	١٤٢	٢٥	٢٢	١٥٣
٣٠	تَبَيَّنْتُ مافِيهِ سَرِيع	١١	١٤٤ب	٣	١١	٣٠٩
٣١	أَعْطَى بنُ قُرْطٍ جَزِيلا	٤	١٤٦	٨٢	٤	٣٠١
٣٢	وَقَعْتَ بعَبْسٍ الأكابرا	٤	١٤٨	٦٤	٤	٢٦٩
٣٣	يَعِيشُ النَّدَى تَولَّتِ	٤	١٤٨	٨١	٤	٣٠١
٣٤	قد كُنْتُ المُعْتَمَدْ	٣	١٤٩	٧٥	٣	٢٩٢
٣٥	الشعر صعبٌ سُلِّمْهْ	٧	١٤٩	٧٥	١١	٢٩١
		—			—	
		٢٣٩			٢٥٠	

[القسم الثالث]

جاء في المخطوطة الورقة الـ (١٥١) : (ما وجدته زائد من شعر الحطيئة وفي نسخة أخرى والاسناد عن ابن السكيت) :

م	المخطوطة			الديوان المطبوع		
	القصيدة أو القطعة		الأبيات	الورقة	القطعة	الأبيات	الصفحة
١	جَزَى اللّهُ	بَغيضًا	٤	١٥١	٦٦	٤	٢٧٢
٢	نَأَتْكَ أُمامَةُ	خَيالا	٢٩	١٥١/١٥٣أ	٥٣	٢٩	٢٤٧
٣	هَلْ تَعْرِفُ	فالدَّامِ	١٥	١٥٣	١٧	١٦	١٢٤
٤	ألاَ هَبَّتْ	كَراها	١٩	١٥٤	٩	٢٢	٩٥
٥	عَفَا تَوْأَمٌ	جَمايلُهُ	١٣	١٥٤ب/١٥٥ب	١٨	١٥	١٣١
٦	أمِنْ رَسْم	وَكِيفُ	١٨	١٥٥ب/١٥٦	٢٧	١٨	١٦٦
٧	قد نام	الارقا	٢٢	١٥٦ب/١٥٧			
٨	نظرت على	وواشل	٢٣	١٥٧/١٥٨	٤٩	٢٣	٢٢٩
٩	يا عَام قد كُنْتَ	أَمَمُ	٧	١٥٨ب	٧٤	٧	٢٨٧
١٠	عَرَفْتُ مَنازِلاً	والشَّوِيِّ	١٩	١٥٨ب/١٥٩	٢٩	١٩	١٧٦
١١	قالت أُمامةُ	إلى قُلُلِ	٧	١٥٩ب/١٦٠	٣٠	٧	١٨٣
١٢	أَحَقَّ أَبَا	تَنْفَعِ	٣	١٦٠	٣٢	٣	١٨٨
١٣	يا لَيْتَ كُلَّ خَلِيلٍ	البَشَرِ	٥	١٦٠ب	٣١	٥	١٨٦
١٤	تَنَحَّيْ فاجْلِسي	العالَمِينا	٣	١٦٠ب	١٠	٤	١٠٠
١٥	جَزاكِ اللّهُ	البَنِينِ	٣	١٦٠ب	١١	٤	١٠١
١٦	أُطوِّفُ ما أطوِّفُ	لَكَاعِ	٢	١٦١	١٨	١	٣٣٠
١٧	ولقد رأيتُكِ	المجلسِ	٥	١٦١أ/١٦١ب	١٢	٩	١٠٢
١٨	قَبَحَ الإِلَهُ	أفْسَدُوا	٥	١٦١ب	٣٣	٥	١٨٩

[تابع القسم الثالث]

م	المخطوطة: القصيدة أو القطعة		الأبيات	الورقة	الديوان المطبوع: القطعة	الأبيات	الصفحة
١٩	حَمِدْتُ إلَهِي	مَهْرَبا	٣	١٦١ب	٤٢	٣	٢٠٨
٢٠	كَيْفَ الهِجَاءُ	تأْتِيني	٥	١٦٢أ	٧٧	٥	٢٩٥
٢١	ألَمْ تَرَ أنَّ جارَ	امتناعِ	٨	١٦٢أ/١٦٢ب	١٩	٨	١٣٧
٢٢	قَوْمِي بَنُو عَمْرو	عالمْ	٣	١٦٢ب	٦١	٣	٢٦٤
٢٣	لقد بلغ الشفاء	رياح	٥	١٦٢ب/١٦٣	٦٥	٥	٢٦٩
٢٤	أبت شفَتَايَ	قائِلُهُ	٢	١٦٣أ	٢١	٢	٣٣٣
٢٥	أَلَـمْ تَرَ أَنَّ	بَرَاحَا	٤	١٦٣أ	٦٨	٤	٢٧٥
			—			—	
			٢٣٢			٢٢١	
	مجموع الشعر في المخطوطة					في المطبوعة	
	القسم الأول :		٢٤٦			٢٣٦	
	القسم الثاني :		٢٣٩			٢٥٠	
	القسم الثالث :		٢٣٢			٢٢١	

رواية ابن السكيت وشرحه في المطبوعة :

ولقد أتضح من مقابلة هذه المطبوعة من هذا الديوان المعنون بـ « ديوان الحطيئة » برواية وشرح ابن السكيت بالمخطوطة التي تقدم وصفها ، اتضح من الأمور :

الأَمْرُ الأول : القصائد والمقطوعات التي ذكر المحقق الكريم (ص ٣٧٥) أنها من رواية يعقوب تبلغ (٥٢) من أول الديوان إلى الصفحة الـ (٢٤٧) وهي في المخطوطة ينقصها احدى عشرة ، هي : (٢٣/ ٢٦/ ٣٤/ ٤٣/ ٤٤/ ٤٥/ ٤٦/ ٤٧/ ٤٨/ ٥١/ ٥٢) مجموع أبياتها (٩٥) ومن هذه المقطوعات ستة عشر

ثم مضى فيها حتى أتى على آخرها فقال سعيد ومن الذي يقول هذا قال عبيد
لبن الأبرص أخو بني أسد قال سعيد ويلك ثم من قال والله لحسبك بي
عند نعمة أو رهبة إذا وضعت إحدى رجلي على الأخرى ثم رفعت
عقبتي نعوبت فأنت للقول في كما يعوي الفصيل الصادر قال ومن أنت
لله أبوك قال أنا الحدائية فرحب بدر سعيد ثم قال وأبيك لقد أسأت
بكما نك نفسك هذه الليلة فلما أصبح سعيد كساه وحمله وأحسن جائزته
قال الحسين بن شعيب سمعت بن الأعرابي يقول كان عيينة المكري
يصنع المعروف إلى غير أهله فأتاه الحطيئة فقال له عيينة يا أبا مليكة
من أشعر الناس قال الذي يقول شعر

ومن يصنع المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال الحسين بن شعيب سمعت بن الأعرابي يقول قال يا أبا مليكة بن أبيك

٧ ما وجد له زليخا من شعر الحطيئة

في نسخة أخرى والإسناد عن ابن السكيت

وقال للحطيئة ٥

جزى الله خيرا والجزاء بكفه ... على خير ما يجزي الرجال بغيضا

فلو شاء إذ حييناه صد فلم يلم ... وصادف منا في البلاد عريضا

تذاركنا حتى استقامت فتاتنا ... فعشنا والفينا إليه جريضا

وكان كذات العش جادت بعشها ... لأفرخها حتى أطقن نهوضا

قال لما قال الحطيئة قصيدته التي فيها دع للمكارم لا ترحل لبغيتها

استعدا عليه للزبرقان لأن عمر الخطاب فقال عمر ما دعاك لهذا قال قال

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي قال عمر ما أراه قال

4c249

هي في المخطوطة من رواية الأثرم وهي : (١٣/ ١٤/ ١٥/ ١٦/ ٢٠/ ٢١/ ٢٢/ ٢٤/ ٢٥/ ٢٨/ ٣٦/ ٣٧/ ٣٨/ ٣٩/ ٤٠/ ٤١/ ٥٠) .

وأضاف المحقق (٣٢) مقطوعة ، قال عنها : انها من رواية ابن السكيت (ص ٣٨٢) وفي المخطوطة منها (٢٠) والمفقود (١١) هي : (٥٤/ ٥٥/ ٥٦/ ٥٨/ ٥٩/ ٦٣/ ٦٩/ ٧٠/ ٧١/ ٧٣/ ٨٠) ومجموع أبياتها (٨٨) بيتاً .

ومن تلك المقطوعات الواردة في المخطوطة (١٢) عَدَّهَا المحقق من رواية ابن السِّكِّيت ، وهي في المخطوطة من رواية الأثرم وهي : (٥٧/ ٦٠/ ٦٢/ ٦٤/ ٦٧/ ٧٥/ ٧٦/ ٧٨/ ٧٩/ ٨١/ ٨٢/ ٨٣) أي إنَّ المقطوعات والقصائد التي أضاف المحقق روايتها إلى ابن السكيت وأبلغها (٨٣) كما في (ص ٣٨٢) منها (٢٨) هي من رواية الأثرم لا ابن السِّكِّيت ، وقد فَرَّقَ جامع الشعر في المخطوطة بين الاثنين في الرواية ، فبعد أن أورد ما يتفقان على روايته في الغالب ، أفرد ماهو من رواية الأثرم ، من الورقة الـ (١١٣) إلى الورقة الـ (١٥٠) بهذه العبارة : (إلى هاهنا عن ابن السِّكِّيت ، من هذا عن الأثرم خاصة) .

قد يُفْهَمُ من هذه الجملة أَنَّ ماقبلها من رواية ابن السِّكِّيت وَحْدِهِ ، والواقع أنه من روايته ومن رواية غيره ، فقد وردت هذه الجملة في الصفحة الأولى من الورقة الـ (١١٣) في شرح البيت الثاني الوارد في المطبوعة (ص ١١٨) بهذا النص مع شرحه :

فَظَلَّ بِهِ الشَّيْخُ الذيْ كَانَ فانِياً يَـدِفُّ على عُـوْجٍ له نَخِـرَاتِ

يَدِفُّ : كأنه يُسْرِعُ ويَمْشي وفيه إبْطاءٌ لِكِبَرِه ، وفي الحديث : يَدِفُّونَ إليك دُفوفَ النُّسُور ، أي يُسْرِعُون . وعُوج : قوائم . ونَخِرات : أي قد بَلِيَتْ قوائمُهُ مِنَ الكِبَرِ لأنه لا مُخَّ فيه .

والبيت في المخطوطة في الورقة الـ (١١٢ ب) :

يَظَلُّ بِها الشيخُ الذي كان فانياً يَـدِفُّ عَلى عُـوجٍ لَهُ نَخِـرَاتِ

وشرحه في المخطوطة بهذا النص : ابنُ السِّكِّيت : يظلُّ بها : يعني بالتِّلَاعِ

يقول : الشيخ الذي قد فَنِيَ كِبْراً وأَيِسَ منَ الحياةِ ولا يُعْجِبُهُ شَيْءٌ إذا رآى هذا العشب استبشر بذالك ، فقام عجلان لينظر إليه ، والشيخُ تجمع شِيخَان ، يقال شَيْخٌ وشيخانٌ ومشيوخاء ومشايخ وشيوخ وشيخة ومثل شيخ وشيخة عقم وعقمة .

وهو يَدِفُّ هُوَ مَشيُّ الكبير لارتعاش ، واكثر مايقال في النَّعام ، والعُوجُ : يعني قوائمه ، انها ضعاف نخرة فيقول : يشتدُّ عليها لإعجابه بالغيث .

أثرم : يقول يَدِفُّ ذالك الشيخ من إعجابه وسروره بالغيث ، يمشي على قوائم له نَخِرة لا مُخَّ فيه ، لينظر إليه والدَّفِيف السرعة في المشي ، سمع أباسعيد يقول : يعني قوائم هذا الشيخ قد اعوجَّتْ ونَخِرت من الكِبر ، فإذا رآى هذا العشب لم يَصْبر أن يمشي على هذه الحال لِأَنقِهِ بهِ وإعجابهِ ، واستخفه الفرحُ لذالك ، قال أبو بكر : قوله والدَّفِيفُ كأنه يطير على الأرض كما تَدِفُّ النعامة . تمت (إلى هاهنا عن ابن السكيت ، من هذا عن الأثرم خاصة) الورقة الـ (١١٣ ب) (قال الأثرم : قال أبو عبيدة) ثم أخبار وأشعار ليس فيها ذكر لابن السِّكِّيت .

أما المقطوعات التي أضافها المحقق باعتبارها مما انفرد السكريُّ بروايتها وتبلغ (١٢) من (ص ٣٠٧ إلى ص ٣١٦) ففي المخطوطة منها خمسٌ منسوبة روايتها إلى الأثرم وهي : (٣/ ٦/ ٩/ ١١/ ١٢) مع الاختلاف في رواية بعض الأبيات .

وفي المقطوعات المنقولة من الكتب المختلفة وهي : (٢٨) بين صفحة (٣١٩ إلى ٣٣٨) فاثنتان منها هما : (١٨/٢٤) وردتا في المخطوطة .

الأمر الثاني : القصائد والمقطوعات التي يشترك الراويان الأثرم وابن السكيت في روايتها قد يقع اختلاف بينهما في رواية بعض الأبيات ، ولهذا فليس كلُّ مافي المطبوعة مما تقدمت الإشارة إليه من رواية ابن السكيت ، ومن أمثلة ذالك :

١ ــ ص ٧ ــ البيت :

قَدْ أَخْلَفَتْ عَهْدَهَا مِنْ بَعْدِ جِدَّتِهِ

ورد في المخطوطة (١٠) : لم يَرْوِه أَبُوعمروٍ وابْنُ السِّكِّيت .

٢ ــ ص ٦٣ ــ البيت :

أَلاَ طَرَقَتْنَا بَعْدَمَا هَجَدُوا هِنْدُ

ورد في المخطوطة (٦٧) : لَمْ يَرْوِهِ ابنُ السِّكِّيت ، ورواه الأثرم .

٣ ــ ص ٦٤ ــ البيت :

وَإِنَّ الَّتِي نَكَّبْتُهَا عَنْ مَعَاشِرٍ

في المخطوطة (٦٨) : هذا أولها في رواية أبي عمرو وابْنِ السِّكِّيت . وإذَن فالبيتان اللذان قبله ليسا من رواية ابن السكيت ، وفي المطبوعة ــ ٦٤ ــ ما يؤيِّدُ هذا .

٤ ــ وفي ص ٧٠ :

هاهنا بيتان لم تكن في كتاب أبي يوسف وهو هذا :

إذَا شِئْتُ بعد النَّوْمِ أَلْقَيْتُ سَاعِدِي عَلَى كَفَلٍ رَيَّانَ لَمْ يَتَخَدَّدِ

ثم شرحه وبعده بيت آخر مشروح .

وهما في المخطوطة (٧٦) بهذا النص :

وإنْ شِئْتُ بعد النَّوْمِ أَلْقَيْتُ سَاعِدِي عَلَى كَفَلٍ رَيَّانَ لَمْ يَتَخَدَّدِ
لَهَا طِيْبُ رَيَّا إنْ نَأَتْني وإنْ دَنَتْ دَنَتْ وَعْثَةً فَوْقَ الْفِرَاشِ الْمُمَهَّدِ

روَى هذين البيتين ابنُ السِّكِّيْتِ ولم يَرْوِهِمَا الأَثْرَم . ابنُ السكيت : الرياء : الريح ، الوعثة : الرملة السهلة تُشَبَّهُ المرأةُ في تَرَجْرُجِ لَحْمِها بِها .

٥ ــ ص ٨٩ ــ أورد المحقق في الحاشية البيت :

وانَّ سَنَاءَهُمْ لَكُمُ سَنَاءُ

قائلا : إن السُّكَّرِيَّ انفرد به .

ولكن ورد في المخطوطة (ص ٩٣) رواه ابنُ السكيت ، لم يَرْوِهِ الأَثْرَمُ .

ولا يتسع المجالُ للاسترسال بذكر كل مايثبتُ أَنَّ كثيراً من الشعر الوارد في مطبوعة هذا الديوان ليس من رواية ابنِ السِّكِّيت .

الأمر الثالث : والقول في الشرح هو كالقول في الرواية ، فكثير مما ورد في شرح الأبيات لايتفق مع ما نُصَّ عليه في المخطوطة أنه من شرح ابن السِّكِّيْت ، والأمثلة على ذالك لا تستدعي التعمق في البحث بل تبرز في كثير من صفحات القسم الأول من المخطوطة ــ ومنها على سبيل المثال لا الحَصْرِ :

١ ــ ص ٣٢ ــ البيت :

أَلَمْ أَكُ مِسْكِيناً إلى الله رَاغِباً

قال : المسكين الذي لا شَيْءَ له ، والفقير : الذي له بُلْغَةٌ من العيش ، واحتج بقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ . قال : وقلتُ لِأَعْرَابِيٍّ : أَفَقِيرٌ أَنْتَ ؟ قال : لا والله ! بَلْ مِسْكِيْن .

وقوله : (علَى رَأْسِهِ أَنْ يظلم الناس زاجره) . قال أَبُو عَمْرٍو : أي يَزْجُرُهُ ذِلَّهُ من أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا . وقال الأَصْمَعِيُّ : على رأْسِهِ تَقْوىً مِنَ الله أن يظلمَ الناس .

ابن الأَعرابي : عَنَى بالزاجِرِ : شَيْبَهُ . انتهى ما في المطبوعة .

وفي المخطوطة الورقة الـ (٢٧ ب) قال ابن السكيت : المسكين الذي لا شيء له والفقير الذي[٥] بُلْغَةٌ من العيش ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ قال : وحكي لي عن يُونُسَ أنه قال : قلتُ لِأَعْرابيٍّ : أفقير أنت ؟ قال : لا والله بل مسكين .

قال أبو جعفر : نَشَدَنَا[٦] للراعي :

أَمَّا الْفَقِيرُ الذِّي كَانَتْ حَلُوبَتُـهُ وَفْقَ الْعِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَ سَبَدُ

وقوله : (على رأسِهِ أَنْ يظلمَ الناس زَاجِرُهْ) أي يزْجُرُهُ أَنْ يَظْلِمَ أحداً ، وقال الأصمعي : على رأسه تقوى من الله أن يظلم أحداً . قال ابنُ الأَعرابي : عَنَى بالزاجر الشَّيْبَ ، يقول : ينهاني شيبي عن الظلم والجهل ، قال ابنُ السِّكِّيت :

القول عندي ماقال ابنُ الأعرابي ، وروى الأصمعي بعد هذا بيتاً لم يَرْوِهِ خالدٌ ولا أبو عمرو .

الأثرم يقول : كنتُ مسكيناً طالب خَيْرٍ يزجرني الإسلامُ عَنْ شَتْم (ثم سطر لم يتضح في التصوير) وقال أبوعمرو: وقوله : (على رأسه) أي على رأسه تقوى الله والإسلام فهو يمنعه أن يظلم الناس ، وقال مَرَّةً أخرى : ذُلُّهُ يمنعه أن يظلم الناس .

٢ ــ ص ١٠ ــ البيت :

هَلاَّ الْتَمَسْتِ لَنَا إِنْ كُنْتِ صَادِقَةً

قال عُمَارَةُ : الْخُرْجُ عن يَسَارِ الْقِبْلَةِ من اللِّهَابة لَهَابَةِ بني كعب بن العنبر ، وهي أسفلُ الصَّمّان ، والخُرْجُ لبني كَعْبٍ ، ويروى بالخَرج ، وهي قرية من قرى اليمامة. والنَّشَبُ : المال القليل . وروى غيره :

هَلاَّ اكْتَسَبْتِ لَنَا إِنْ كُنْتِ صَادِقَةً

قوله : فيُسْكِنَنا : أي نَسْكُن له ونعيش .

وفي المخطوطة الورقة الـ(١٦ ب) : قال ابن السكيت : سَمِعْتُ عُمارَةَ يقول : الْخُرْجُ عن يسار القِبْلَةِ من اللِّهابَةِ لِهَابةِ بني كعب بن العنبر ، وهي بأسافلِ الصَّمّان ، قال : والخُرْجُ لبني كَعْبٍ هذا مضموم ، والْخَرْجُ قرية من قرى اليمامة .

أثرم : ويروى : (هلاَّ سَأَلْتِ لنا) . النَّشَبُ : المال القليل ، وهو الْعُلْقَةُ ، وروى الأصمعيُّ : (مالاً فَيُسْكِنَنَا بِالْخَرْجِ أَوْ نَشَبَا) أي قرابة ، يكون معهم ، قال أبو عَمرٍو وابْنُ الأعرابيِّ : الْخَرْجُ والْخُرْجُ جميعاً ، فأما الْخَرْجُ فقريةٌ باليمامة ، والْخُرْجُ بِعُنَيْزَةَ خلف القريتين في طريق البصرة إلى مكة ، انتهى مافي المخطوطة من شرح هذا البيت ، وأوردتُ هذا ليتضح منه أنَّ عُمَارة من شيوخ ابن السكيت ، فقد أشار محقق الديوان الدكتور نعمان في المقدمة ص (١١) إليه باعتباره ممن يقلُّ ذكرهم في المخطوطة ، ولم يُصَرِّحْ بانه من شيوخ ابن السكيت

عند ذكرهم ، ويدل على هذا أيضاً ما ورد في شرح البيت الـ (١٤) من هذه القصيدة البائية حيث ورد في المخطوطة مما لم يرد في المطبوعة الورقة (١٨ ب) ابن السكيت : قال عُمَارَةُ : الْعِيصُ من الْعَوسَجِ ، والسِّدْرِ ، والسَّلَمِ ، ومن الْعِضَاهِ كُلِّهَا إذا اجْتَمَعَ وتَدانَى والْتَفَّ ، والجمع عِيْصَانٌ قال : وهو مِن الطَّرْفَاءِ الغليظة[٧] ، ومن الْقَصَبِ الأَجَمَةُ قال : وسَمِعْتُ الكِلَابِيَّ يقول : الْعِيصُ النابِتُ بعضُهُ في أَصْلِ بعضٍ ، يكون من الأراكِ والسِّدْرِ والسَّلَمِ ــ إلى آخر ماذكر .

٣ ــ ص ٣٧ ــ البيت :

عُـذَافِـرَةٍ حَـرْفٍ كَـأَنَّ قَتُـودَهَـا عـلى هِقْلَةٍ بـالشَّيِّـطَيْنِ جَفُـولِ

العُذَافِرةُ : الشديدة . والحَرْفُ : الضامِر ، قال أبو عمرٍو : الحَرْفُ : الشديدةُ القُلْبَةُ ، شُبِّهَتْ بحرف الجبل لصلابتها وشدتها .

والقُتُود والأقتاد : عيدَانُ الرَّحْل ، واحِدُهَا قِتْدٌ ، على القياس .

هِقْلَة : نعامة ، والشَّيِّطَيْنِ : موضع .

وجَفُول : ذاهبة مسرعة ، يقال : جَفَلَتِ الريحُ وأجفلت .

غيره قال : ويروى : على جونة : وهي النعامة أيضاً ، وهي السوداء . قال : والحرف الصلبة .

وجاء في المخطوطة الورقة الـ (٤١ ب) ابنُ السِّكِّيْتِ ، عُذَافرة : شديدة ــ الحرف : الضامر ــ والقُتُود والأقتاد : وهي عِيْدانُ الرحل، قال ابنُ الأعرابي : لا واحِدَ لها ، قال ابنُ السِّكِّيت : يقال قِتْدٌ ، وأَحْسِبُهُ صَنْعَةً من النحويين ، لأنا لم نسمعْهُ في الشعر ، والهِقْلَةُ : النعامة ، والشَّيِّطَيْنِ من روى بالظاء والطاء ــ موضع ، وجفول : أي ذاهبة مسرعة يقول فيها لغتين[؟] يقال : جفلت الريح وكذا وكذا وأجْفَلَتْ ، إذا أَسْرَعَتِ الذهاب به . قال الأَثْرَمُ : روى الأصمعي : (كان قتودها على خاضِبٍ بِالأَوْعَسَيْنِ) . والحرف الضامر يقال : كأنها حَرْفُ سَيْفٍ في مُضِيِّها ، ويقال : كأنها حرفُ جبل في صلابتها ، والخاضِب الظَّلِيمُ

الذي أكلَ الخُضْرَةَ فاحْمَرَّتْ ساقاه ، ويقال : أخضبتِ الأَرضُ أي اخْضَرَّتْ ، وهِقْلة : نعامة .

قال أبو بكر : الشَّيِّطَانِ موضع كأنه أضاف إليه ماحوله ، فقال الشَّيِّطَيْنِ .

٤ ــ ص ٨٥ ــ البيت :

فَلاَ وَأَبِيكَ مَا ظَلَمَتْ قُرَيْعٌ

إلى هاهنا من غير يعقوب .

أصل الظُّلْمِ كله وَضْعُ الشيْءِ في غير موضعه ، فمنه قولهم : مَنْ أَشْبَهِ أَبَاهُ فما ظلم ، أي فما وضع الشيْءَ في غير موضعه . ومنه قوله : (ظَلاَّمُون لِلْجُزُرِ) وضعوا النَّحْرَ في غير موضعه ، ومنه : ظَلَمَ وَطْبَهُ : إذا سقَى منه قبل أَنْ يُمْخَضَ . ومنه : أرضٌ مظلومةٌ : إذا حُوِّضَ فيها في غير موضع تحويض .

فلاَ وأَبِيكَ : يمينٌ ، كما تقول : لا والله . قال : ويروى :

فلا والله ما غُبِنَتْ قُرَيْعٌ

وفي المخطوطة الورقة الـ(٨٨) ابن السِّكِّيت قوله :

فَلاَ وَأَبِيكَ ما ظَلَمَتْ قُرَيْع

أي طلبوا ماليس لهم أن يبنوا المكارم ، وقال : قال الأصمعي : الظلم كُلهُ أصلُهُ وضعُ الشيء في غير موضعه ، ومنه قولهم : مَنْ أَشْبَهَ أباهُ فما ظَلَم ، أي ما وضع الشَّبَهَ في غير موضعه ، قال : ومِنَ الأمثال : إنه لأَظْلَمُ مِنَ الْحَيَّةِ ، وذالك أنها تدخل في غير جُحْرِها ، قال : ويَجِيءُ ظَلَمَ في مواضعَ بمعنى مَنَعَ ، قال : حكَى لنا الْفَرَّاءُ عن أبي ثَرْوَانَ وغيرِهِ : ما ظَلَمكَ أنْ تَفِي ، أي ما منعك ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ **كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا** ﴾ أي تمنع والله أعلم والظلم في غير هذا أَنْ تُسْقِيَ مَنْ وَطْبِكَ قبلَ أن يَرُوَب ، ويقال : قد ظلمها ، إذا انتهى منها إلى موضع لم يكن ينتهي إليه ، قال ابنُ الأعرابي : إذا

كان بالجمل نُقَبَةٌ قالُوا للذي يَهْنَؤُهُ : اظْلِم ، أي إطْلِ مَا حَوْلَهَا لِئلا تفشَّى ، وأنشد :

يَشُجُّ رَأْسَ الأمْعَزِ المظلومِ شَجَّ الْفَوَارِي وَسَطَ الأَدِيْمِ

والمظلوم : الرمْلُ الذي قد اتُّخِذَ فيه الطريقُ ولم تَكُنْ ، وكذالك الجِبَالُ . أثرم : يقول : ما ظَلَمَتْ قريع أن وضعت الأمرَ في موضعه ، وبنت المكارم ، يقال : من أَشْبَه أباه فما ظَلَم ، أيْ فما عَدَا أَنْ وضَعَ الشَّبَهَ في موضعه ، يقال : ظلمَ الرجلُ سِقَاءَهُ إذا مَخَضَه قبل أَنْ يُدْرِكَ .

٥ ــ ص ٩١ ــ البيت :

لَعَمْرُكَ مَا رَأَيْتُ الْمَرْءَ تبْقَى طَرِيقَتُهُ وَإِنْ طَالَ الْبَقَاءُ

يقول : لا تبقَى طريقتُه وهي حَالُهُ التي يكون فيها من شباب أو نشاط أو غنى ، لا يبقى شيءٌ من ذالك على رَيْبِ المَنُون .

وفي المخطوطة الورقة الـ (٩٤ ب) قال ابن السكيت : قال أبو عمرٍو : يريد طريقته التي كان عليها يعني الشَّبَابَ ، والطَّرِيْقَةُ مُلْكٌ وسُلْطَانٌ ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيْقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾ أي المستقيمة ، والطريقة : الدِّيْنُ مِنْ قول الله عز وجل : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيْقَةِ ﴾ أي على الهُدَى ، ويقال : وقوله : ﴿ طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ أي أديان شَتَّى ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ أَمْثَلُهُمْ طَرِيْقَةً ﴾ أي حال ، وكذالك كان خالدٌ يقول في هذا البيت : ما رأيتُ المرء تبقى حالهُ قال لَبِيد :

وإن يُسْهِلُوا فَالسَّهْلُ حَظِّيْ وَطُرْقَتِي وَإِنْ يُحْزِنُوا أَرْكَبْ بِهِمْ كُلَّ مَرْكَبِ

طُرْقَتِي : أي عادتي ، ويُقَال : رَجُلٌ طُرْقَةٌ : أيْ أَحْمَقُ ، والطريقة : الزَّمَانَة (؟) ويقال : إنَّ تَحْتَ طِرِّيقتِهِ لَعِنْدَأُوَةٍ[٨] ، وهذا مثلٌ ، ومثْلُه : مُخْرَنْبِقٌ لِيَنْبَاعَ ، وبعضهم لِيَنْبَاقَ : أي ليأتي ببقائه [٩] ، يضرب مثلاً للذي تراه يقضى عليه بالغفلة وعندهُ حَزْمٌ وَجَلَدُ ، ويقال منه طِرِّيْقَةٌ وُطَرقَةٌ ، والْمُخْرَنْبِقُ اللَّازِقُ بالأرض ، وَينْبَاعُ : يعني من البوع [١٠] ، والطُّرْقَةُ : الطِّرِّيقُ ، ومنه قول العرب : تطارقَتِ الإبلُ أي انذت[١١] (؟) الطريق قال : وقال الخليلُ : تَطَارَقَتِ الْإبلُ اتَّبَعَ بَعْضُها بعضاً ، ورجلٌ طِرِّيْقٌ قال ابنُ الأعرابي : وهو الْمُطْرِقُ ، والتطريق الإثارة ، ويقال : طَرَقَتِ الدجاجةُ والقطاة : إذَا فَحَصتْ في الأرضِ لموضع بيضها ، أنشد ابنُ الأعْرَابي قولَ الْمُمَزَّق :

وقَدْ جَعَلَتْ رِجْلِي إلَى جَنْبِ غَرْزِهَا نَسِيفًا كَأُفْحُوصِ الْقَطَاةِ الْمُطَرِّقِ[١٢]

يريد أَثَرَ رِجْلِهِ حيث يستحِثُّ ناقَتَهُ فيحرك رِجْلَيْه .

أثرم : طريقته حالُهُ من غنىً وفَقْرٍ ، وصحةٍ وسَقَمٍ . انتهى شرح البيت في المخطوطة .

* * *

وأكتفي الآن بما تقدم من الأمثلة مشيراً إلى أن في المخطوطة من النصوص المتعلقة بشرح شعر الحطيئة ما يَتَطَلَّبُ إعادة نَشْرِ هذا الديوان نشراً محققاً لا بالاستعانة بالمخطوطة هذه وحدها ، بل بالرجوع إلى جميع مخطوطات الديوان ، وإبراز الفوارق بين ماورد فيها ، بدرجة من الدقة والشمول بذكر الشعر على اختلاف رواياته ، وإيراد شرح مفرداته .

لذا نار الغنا حرجن منه كما خرجت من العذر للسرح

وما ناووا كما ناوا علينا بفضل دهابهم حتى الرحيل

وقال يهجو نفسه

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما بشر فلا أدري لمن أنا قائله

أري لي وجها شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

وقال

ألم تر أن ذبيانا وعبسا بكاغي الخير قد نزلا البراحا

يقال الأجربان وحق جدي بنو عمي فجمعنا صلاحا

منعنا مجمع الثلبوت حتى تركنا الكربتين به الطلاحا

تقلل عن قري غطفان لما خشينا أن تذل وأن تناحا

وهذا آخر ما وجد من ديوان

النقص في المخطوطة عما ورد في (المطبوعة) .

وبمقابلة مافي المخطوطة من شعر بما في المطبوعة اتضح أن المخطوطة تنقص اثنتين وعشرين مقطوعة هي في المطبوعة :

الرقم	الصفحة	المطلع	القافية	الأبيات
٢٣	١٤٨	إذا قلتُ	بالهَجْرِ	٨
٢٦	١٦٠	أشاقَتْك	وضَرَّتِ	١٤
٣٤	١٩٠	جَاوَرْتُ	يُحْمَدِ	٢
٤٣	٢١٠	فِدًى	وتالِدِي	٤
٤٤	٢١١	تَعَذَّرَ	فالهُجُولُ	١١
٤٥	٢١٥	إذا نام	وزَفِيرُها	١٤
٤٦	٢٢١	لَـمّا رَأى	مَحْلُوبِ	٥
٤٧	٢٢٤	رَأَيْتُ امْرَأً	فَسَقَانِي	٤
٤٨	٢٢٧	لم تَرَ	قِبالُها	٦
٥١	٢٣٩	شَكَتِ	الحِبال	٢٤
٥٢	٢٤٦	تَجَهَّمَ	مُعَيَّلِ	٣
٥٤	٢٥٤	أَرَسْمَ	تَذْرفُ	٩
٥٥	٢٥٦	أَعَبْدَ	بالشَّقاشِقِ	٣
٥٦	٢٥٧	وقاتَلْت	الرَّبَابِ	٣
٥٨	٢٦١	أَتَيْتُ	السَّمائِم	٤
٥٩	٢٦٢	سَالتْ	فانْفَعَما	٥
٦٣	٢٦٥	سُئِلْتَ	حَمْدُ	٢
٦٩	٢٧٥	كَأَنَّ	ذُراها	٥
٧٠	٢٧٦	يأيُّها	والأَجْرَعُ	١٥

٧١	٢٧٩	يادَارَ	فَوادِيها	٢٢
٧٣	٢٨٤	أَلاَ طَرَقَتْ	هُجُودُ	١٤
٨٠	٢٩٩	فِـدًى	أَهْلي	٦
				ـــــ
				١٨٣

يضاف إليها من الشعر مانسبه المحقق لِلسُّكَّرِي :

الرقم	الصفحة	المطلع	القافية	الأبيات
١	٣٠٧	مايُبْقِيكَ	بَدَلِ	١
٢	٣٠٧	إنَّ عَمْراً	السبيلُ	٤
٤	٣١٠	لاتَجْمَعَا	حَبَّاقِ	٢
٥	٣١١	أَتَاني	قَرَبْ	٥
٧	٣١٢	قُدامَةُ	فاخِرِ	٧
٨	٣١٣	أَخُـــو	ومَـالِ	٤
١٠	٣١٤	يا رَاكباً	هِلالِ	٣
ومجموع الأبيات				٢٦

وما أَلْحَقَ بالديوان مما عَثَر عليه في كتب الأدب واللغة (ص ٣١٩ إلى ص ٣٣٨) وهو نحو تسعين بيتاً ، فيصبح ما تضمنته مطبوعة الدكتور نعمان من « شعر الحطيئة » مما لم يردْ في المطبوعة هو (١٨٣ + ٢٦ + ٨٩) = ٢٩٨ بيتاً .

ولو صح كل هذا لكان النقص في المخطوطة كبيراً ، ومع ذالك فقد بقي فيها مايضيف معلوماتٍ جيِّدةً إلى شعر الحطيئة مادة وشرحاً وأخباراً .

ومما لم يرد من شعر الحطيئة في المطبوعة ، وورد في المخطوطة :

١ ــ الورقة الـ (١٤٧) أربعة أبيات من الرجز أولها :

أَبِي وما يعلم كلُّ عالم

تقدمت في الأخبار .

٢ ــ ١٥٦ب/١٥٧أ :

قد نام صَحْبي وَبِتُّ مُرْتَفِقَا ... وَأَجْشَمَتْنِي هُمُومِيّ الأَرَقَا
فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ مَنْ أذيت به ... في دابةٍ ما اَحَمَّها عرقا
وَفَارَقُوني الأُولَى أُحِبُّهُمْ ... وَالدَّهْرُ يَأْتِي على الْفَتَى طَبَقَا
يُزْري بِذِي الْحَزْمِ في تَقَلُّبِه ... ويَجْعَلُ النَّاسَ صَرْفُهُ فِرَقا
فَذَاكَ قَدْ يَجْمَعُ الْبَغِيْضَ وقَدْ ... يَجْعَلُ بَيْنَ الأَحِبَّةِ الشَّقِقَا
وَغارةٍ قَدْ شَهِدتُّ كَبَّتَهَا ... عَدَّيْتُ فِيهَا مُشَذَّبًا تَيِقا
فَعْمًا أَسِيلَ الْخَدَّيْنَ ذَا خُصَلٍ ... كَالْجِذْعِ بَعْدَ انْجِذَامِهِ سَمَقَا
أَوْ نَهْدة تَمْلأُ الْحِزَام إِذَا ... طُوطِئْنَ في الْوَعْثِ لينطلقا
قَدالُ مثنيَّةَ الْعِنَانِ كَمَا ... هَيَّجْتَ بِالْقَاعِ ثَعْلَباً نَشِقا
رَوَّحَهُ الْقَطْرُ شَطْرَ مَدْخَلِةٍ ... عَرْضَ فَيَافٍ نَفَانَفٍ لِثِقَا
فَعَارَضَتْهُ فَتْخاءُ كَاسِرَةٌ ... في يَوْم دَجْنٍ تُبادِرُ النَّفَقَا
فَرَاغ مِنْ حِسِّهَا بِبادِرُهَا ... يَلُوذُ بِالصَّخْرِ بَعْدَما رُهِقا
ما إن أَرَى طَالباً كَهَيْئَتِهَا ... وَهَارباً مِنْ حِذَارِهَا شَفِقَا
فَحَدَّدَتْ جَانِبَ الْجَنَاحِ لَهُ ... ونَسَرَتْ صارِماً إِذَا علِقا
فَاعْتَمَدَتْ قَلْبَهُ فأَخْطَأَهَا ... وَغادَرْتُهُ مرِّنحاً خَرِقَا
يامَنْ يَرَى الْبَرْقَ بِتُّ أَرْقُبُهُ ... في ذِي حَبِيٍّ تَرَى لَهُ حِزَقَا
جِدَّ فَأَشْرَى وَجَالَ رَيِّقُهُ ... يَحْدُوْ رَبَاباً أَجَشَّ مؤتَلِقَا
فَاسْتَقْبَلَتْهُ الصَّبَا تُكَرْكِرُهُ ... حتَّى إِذَا مَا بِطَاؤه لَحِقَا
هَبَّتْ لَهُ نَيْرَجُ(١٣) يمانِيَةٌ ... تَطْحَرُ عَنْهُ جَهَائِماً مِزَقَا
تُزْجِي ثِقَالاً مِنَ السَّحَاب كَمَا ... تُزْجِي الْمَتَالي فِصَالَهَا نَسَقَا

حَتَّى إذا مَا عَلاَ الْمَثَاقِبَ والْقَمْقَـ ـامَ والْـبَـطْنَ حَـلَّلَ نُطُقَـا
فَـأَنْعَمَ الكُـدْرَ والْمِـراضَ بِـهِ تَخَـالُ جِلدَ السَّـمَاءِ مُنْخَـرِقَـا

بعض أخبار الحطيئة :

وفي المخطوطة فيما نسب منها إلى الأثرم أخبارٌ تتعلق بالحطيئة ، قد تفيد الدارسين في كشف جوانب من حياته مما تخبط فيه الباحثون ، كتذبذب نسبه بين بني سدوس ــ أهل القرية المسماة باسمهم في اليمامة من بكر بن وائل من ربيعة ـ وبين بني عبس من مضر .

فكثير ممن تصدَّى لدراسة الحطيئة وَصَمَهُ في نسبه بكل كريهة ، ولم يدرك السبب الذي لا يَدَ له فيه ، وإنما هو جناية والديه ، على حدِّ قول المَعَرِّي :

هذا جَنَاهُ أَبي عليَّ وما جَنَيْتُ على أَحَدْ

لقد قيل عنه : أنه ابن .[١٤]، بل وُصِمَ أبوه بهذه الوصمة الشنعاء[١٥] ، وأنه ينسب إلى القبائل ، فإذا غضب على قبيلة انتمى إلى أخرى[١٦] .

والواقع أن نسبه متدافع بين بني سدوس من بني ذهل وبين بني عبس ، بسبب الأوضاع الاجتماعية في ذالك العهد ، فهو من بني عبس ، لأنه ولد على فراش أوس بن مالك العبسي ، وهو من ذهل لأن أمه استبضعت به من عوف بن عمرو بن عوف الذهلي ، والاستبضاع من أنواع النكاح المعترف به بين أهل الجاهلية ، فجاء الإسلام فأبطله ، والحطيئة عاش في الإسلام ، وحاول إقرار صحة انتسابه إلى بني ذهل ، بمقطوعات من شعره[١٧] ، اعتماداً على ذالك الزواج المعترف به بين العرب ، فقد روى البخاري في « الصحيح[١٨] » وأبو داوود في « السنن[١٩] » أن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاحٌ منها نكاحُ الناس اليوم ، يَخْطِبُ الرجلُ إلى الرجل وَلِيَّتَهُ أو ابْنَتَهُ فَيُصْدِقَهَا ثم ينكحها ، ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته ، اذا طهرت من طمثها : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ، ولا يمسَّها أبداً حتى يَتَبَيَّنَ حملُها من ذالك الرجل الذي تستبضع منه ، فاذا تبيَّنَ حملُها أصابها

زوجُها إذا أَحَبَّ ، وإنما يفعل ذالك رغبةً في نَجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ــ ثم ذكرت النوعين الآخرين ــ وقالت : فلما بُعِثَ محمد ﷺ بالحقِّ هدم نكاحَ الجاهلية كُلَّهُ إلا نكاح الناس اليوم .

فالحطيئة كان ضحية ذالك النوع من النكاح القبيح ، المعترف به في الجاهلية بين العرب حتى جاء الإسلام فأبطله .

ورد في المخطوطة الورقة (١٤٦ إلى ١٤٨) : وقال أبو عمرٍو : وكان من حديث الحطيئة ان بني عبس أصابتهم سنة شديدة أهلكت نعمهم فأقبل[٢٠] إلى اليمامة يرُيدون الرِّيفَ ، فنزلوا بها ونزل أبو الحطيئة إلى جانب عوف بن عمرو بن الحارث السدوسي ـ وهم رهط قتادة بن دِعَامَة السدوسي ـ وكان عوف رجلاً غنيًّا كثير المال ، فكان أوس يُصيب منه ، إلى أن غَضِب عوفٌ على أوس فحرمه ماكان يأتي إليه من المعروف ، وكانت لأوس امرأة حسناءُ جميلة فقال لها : وَيْحَكِ تعرَّضي لعوف لعله يصنُع بنا خيراً فتعرضت له فوقع عليها ، فحملت منه ، فلبثوا أشهراً ، ثم إنه بلغهم أنَّ أرضَ بني عَبْسٍ قد أخصبت ، فتحملوا راجعين إلى أرضهم ، فقدموا ، وامرأة أوس حُبْلَى مُتِمٌّ ، فولدت الحطيئة على فراش أوس ، فلما شبَّ الحطيئة وأدرك مايدرك الغلمان ، قاتل غلاماً فسبه الغلام ، فقال : ياعبد بني سدوس . فلما علم بذالك كَبُرَ عليه ، ثم إنه تزوج امرأة فولدت له أولاداً فبينما ابنه الأكبر يلعب مع الغِلمان إذْ قاتل بعضهم فسبَّه : ياعبد بني سدوس ، فأتى الغلام الحطيئة ، فقال له يا أبة ألم تر إلى فلان سَبَّني وقال : ياعبد بني سدوس فغضب الحطيئة فقال :

أَبِي وَمـا يَـعْـلَمُ كُـلُّ عَـالِمِ أنا ابنُ عوف في الْحَصَى القُماقِمِ
إذْ لا يُمـانِي حَسَبُ الأعـاجـم أَهْـلَ النَّـدَى والْبَـاعِ والمكـارمِ

ــ يُماني : يشبه ، يقال : فلان يماني فلاناً في فعله ، الحصى : العدد الكثير ــ فقام إليه ختنه فضرب بيده على فمه وناشده الرحم لما سَكَتَ فسكت الحطيئةُ فلبث زمانا وهو يقول الشعر ، إلى أن أصابتهم سنة فأهلكت مواشيهم وجُهِدُوا فقالت له امرأته : لولا أتيت إخوتَك بني عوف بن عمرو فإنهم ذوومال رَجَوْتُ أن

يصيبوك بخير ، فأتاهم الحطيئة حتى قدموا اليمامة ، ومعه ابناه وامرأته فأخبرهم خبرهم ، وسألهم ان يُعطوه فقالوا : ما نعرفِكُ وما نَدْرِي مَنْ أنت . فلبثَ باليمامةِ فبينا هُو ذاتَ يوم قاعدٌ يُنْشِد الشعر إذْ مَرَّ الزبرقان بن بدر التميمي ثم السعدي قد أَقْبَلَ من رمل يَبرْيْنَ ، فسمع إنشادَه وإذا له لسان أسود يخرجه فَأَعْجِبَ بشعره ، فاستنشده وفاطنه ، فازداد به عجبا ، فقال له : ياحطيئة إن عندي مصطنعاً فارحل معي أنت وأهلك فرحل حتى قدم على أهله فأكرمه وأوصاهم به خيراً ، وقد كان بين بغيض بن شَمَّاسِ بن لأْيٍ وبين الزِّبْرِقان تناغص وتحاسد وتقارص ، فلبث الحطيئة عند الزِّبْرِقان زمانا إلى أن اصابت الزبرقان سَنَةٌ فأراد أن يتحول من منزله إلى أرض مُكْلِئَةٍ ، فقال : ياحطيئة قد ترى ما أصابت مِنَّا السَّنَة ، وهذه إبلي فاركبها أنت وأهلك فَارْتَدْ لنا منزلاً فإنه ذُكِرَ لنا غيثٌ ، ثم ارْدُدْهَا علي لألحقك أنا وأهلي ، وان أَحْببتَ ارتدتُّ لك منزلا ، ورددتُّ الإبلَ عليك ، قال : نِعْمَ ما رأيت ، فاركب فتحمل الزِّبْرِقان ، وانطلق ، وبقى الحطيئة ليس معه أحد وليس عنده كبير شيء فترك هو وكلب له في الدار ، فأتاه بَغِيضُ بن شَمَّاسٍ فقال : يا حطيئة أَبَلَغَ من خَطَرِك أن تُرِكْتَ بهذا المكان فرداً ؟! إنَّ الزِّبْرِقَانَ ليس براجع إليك ، وإنما خَدَعَك وهرب منك ، فانطلق معي فلك مئةٌ من الإبل ، كلما هلك منها بعيرٌ أعطيتك مكانه بعيراً ، ومن الشاة مادَعَوْتَ به كلما ماتت شاةٌ أعطيتك مكانها شاةً ، فتحول معي أيها الرجل فلعمري لقد أساء بك صاحبُك، فلم يزل به حتى خَدَعَهُ ، فتحول مع بغيضٍ ، فأعطاه وأكرمه ، وأرسل إلى قومه فجعل الرجل يأتيه بالعشرة والعشرين من الإبل ، حتى أكملها مئة .

فقال الحطيئة يمدح بغيض بن شَمَّاسٍ ويهجو الزِّبْرِقَان بْنَ بدر :

ألا ابلغ بني عـوف بن كعـب وهـل قومٌ عـلى خُلُقٍ سـواءُ ؟

ومن تلك الأخبار :

١ ــ أول النسخة : (حدثنا ثابت بن أبي ثابت عن الأثرم ، قال : حدثنا أبو عبيدة) ثم خبر وفود الزِّبْرِقَان على أبي بكر ، واتصال الحطيئة به ، ثم تحوله

عنه إلى بني قُريع في غياب الزِّبْرِقَان ، ملحق به خبر ذو صلة به عن محمد بن سلام الجمحي عن يونس النحوي ، فهجاء الحطيئة الزبرقان حتى حبسه عمر .

ورواية أخرى عن أبي عمرو الشيباني عن مخاصمة الزبرقان بني قريع بشأن الحطيئة إلى عمر بن الخطاب واختيار الحطيئة بغيضاً من بني قريع على مجاورة الزبرقان .

وثلاثة أخبار عن محمد بن سلام الجمحي عن يونس النحوي ذات صلة بالموضوع (من الورقة الأولى إلى الورقة ٧ ب) .

٢ ــ (الورقة ١١٤ إلى ١١٥ ب) : (قال الأثرم قال أبو عبيدة) ثم سياق خبر المنافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ، ودخول الأعشى في الأمر بتفضيل عامر وتفضيل الحطيئة علقمة .

٣ ــ (الورقة ١١٥ ب إلى ١١٦ ب) : (خبر الحطيئة مع سعيد بن العاص أمير المدينة) وأعيد هذا الخبر في (الورقة ١٤٩ ب إلى ١٥٠) بهذا السند (قال يعقوب ابن شعيب أخبرنا الضبي عن أبي المنذر هشام بن محمد بن الكلبي) .

٤ ــ (الورقة ١٢٣ إلى ١٢٣ ب) خبر يتعلق بهجاء الحطيئة الزبرقان أوله (قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا محمد بن شعيب عن أبي فروة عن مكحول عن حُمَيد بن عبدالرحمن بن عوف قال : هجا الحطيئةُ الزِّبْرِقَانَ بنَ بدر فأطرد عمر ابن الخطاب لسانه فقال عبدالرحمن بن عوف فخرجت في غلس الظلام) إلى آخر الخبر ، ويتصل به : (قال وحدثنا مسدد) وبعد السند أن رجلاً شاعراً مدح الله ومدح رسول الله ﷺ فأعطاه رسول الله ﷺ بمدحه الله خَلِفَةً ولم يعطه لمدحه رسول الله ﷺ شيئا .

٥ ــ (الورقة ١٤٠) بعد القطعة التي أولها :

أنخنا ببيت الزبرقان وليتنا مَضَيْنَا فَقِلْنا وَسْطَ آل المخبل

(وقال أبو عمر[٢١] : يقال إن هذه الكلمة لعبدالله بن عبدالله بن أمية بن المغيرة ابن عبدالله بن مخزوم أقبل من اليمامة والبحرين في خلافة عمر بن الخطاب ، حتى

مَرَّ على الزِّبْرَقَانَ وهو على ماءٍ له يقال بَنْبان[٢٢]) إلى آخر الخبر .

وقد أورده محقق الديوان (ص ٢٧٣) نقلا عن « الأغاني » ــ ٢/١٩٤ ـ ط دار الكتب من رواية أبي عبيدة والهيثم بن عدي وغيرهما .

٦ ــ (الورقة ١٤١) بعد البيتين :

مَنْ مُبْلِغٌ حَيَّانَ عنِّي وعاصِماً رِسَالةَ مَنْ لَمْ يُهْدِ نُصْحاً بِإِرْسَال

ــ والبيت بعده ــ .

(قال أبو عبيدة : أغارت بنو مالك بن غالب وبنو سهم بن عوذ) .

وقد أورد المحقق الخبر في الحاشية (ص ١٦٠) عن السُّكَّرِي بدون إسناد إلى راوٍ .

٧ ــ (الورقة ١٤٩) : (قال أبو بكر سمعت الباهلي يقول قال الأصمعي : قيل للحطيئة أَوْصِهْ قال : أَبلغوا آل الشماخ أنه أشعر العرب ــ إلى (يَبْقَ مِيْسَمُهْ) من الرجز المعروف .

٨ ــ (الورقة ١٥٠) : قال الحسين بن شعيب سمعت ابنُ الأعرابي يقول : كان عيينة[٢٣] البكري يصنع المعروف ــ والخبر مبتور ــ لوقوع خرم في المخطوطة في هذا الموضع .

وبعد : فهذه ملاحظات سنحت لي أثناء المقارنة بين مطبوعة الأستاذ الدكتور نعمان محمد أمين طه ، وبين تلك المخطوطة التي وصفتها .

وقد تسنح لي ملاحظات غيرها متى تسنَّى لي الاطلاع على مصادر أخرى من شعر الحطيئة ، كشرح ابن السكيت ، والمخطوطة التي اتخذها الدكتور نعمان أصلاً لمخطوطته الأخيرة أو غيرها من المخطوطات .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

(١) كذا والصواب (قام) .

(٢) « الأغاني » ٢/١٥٩ .

الجـزيـرة العـربيـة
كما وصفها الرحالة ماركو بولو
(١٢٥٤ ـ ١٣٢٣م)

على الرغم من العلاقات المتواصلة بين الشرق العربي والغرب ، لِأسباب تجارية ، ومن جرّاء الحروب الصليبية ، ظل الغربيون خلالَ عصور طويلة على جهل بالجزيرة العربية ، لا يعرفون عنها إلاَّ القليل ، وإلى أنْ أَهَلَّ القرنُ السادس عشر الميلادي ، مابرحوا يستقون معلوماتهم عنها من المصادر اليونانية والرومانية ،

---

(٣) « الأغاني » ٢/١٦٣/١٧٧ .
(٤) رواية الأصمعي ستة أبيات .
(٥) سقطت (له) .
(٦) كـذا .
(٧) كذا والصواب (الغيضة) وهي الشجر الملتف ـ كما في « لسان العرب » وغيره .
(٨) العَنْدَأْوَةُ : أدهى الدواهي « لسان العرب » ـ طرق ـ .
(٩) الصواب « ببائقة » .
(١٠) انظر (بوع) في « اللسان » .
(١١) لعلها (أخذت) .
(١٢) في « اللسان » ـ طرق ـ : وقد تخذت رجلي . ونسبه للممزق العبدي : شأس بن نهار .
(١٣) تحتها (شمال) في الأصل : وفي كتب اللغة . النيرج : العاصفة .
(١٤) « خزانة الأدب » ٤/٤٠٧ .
(١٥) الأغاني « ٢/١٦٢ ط دار الكتب ، و « الخزانة » : ٤/٤٠٧ .
(١٦) « خزانة الأدب » : ٤/٤٠٧ .
(١٧) « الأغاني » : ٢/١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ .
(١٨) الباب الـ ٣٦ من كتاب « النكاح » وانظر « فتح الباري » ٩/١٨٢ ط دار السلفية .
(١٩) الباب الـ ٣٣ من كتاب « الطلاق » .
(٢٠) كذا ولعل الصواب (فأقبلوا) .
(٢١) كذا ولعل الصواب (أبو عمرو) الذي هو الشيباني ، وقد تكرر ذكره كثيراً في رواية شعر الحطيئة ونقل عنه الأثرم كثيراً ، أما أبو عمر فهو الجرمي ، صالح بن اسحاق المتوفي سنة ٢٢٥ ، فهو معاصر للأثرم ، وممن أخذ عن أبي عبيدة وغيره من أئمة اللغة ، ولكن من المستبعد أن يروي الأثرم عنه لتقاربهما في السن .
(٢٢) كذا في مطبوعة « الأغاني » ٢/١٩٤ (بنيان) خطأ وقع مثله في كثير من كتب الأدب وتحديد المواضع ، والموضع لايزال معروفاً ، وقد أصبح الآن قرية من قرى منطقة الرياض ، وضبط الاسم (بنبان) بالباء الموحدة المفتوحة فنون ساكنة فباء أخرى موحدة مفتوحة فألف فنون .
(٢٣) في « الأغاني » ج ٢ ص ١٦٧ (عتيبة بن النَّهَّاس العجلي) .

وخاصة من كتاب لمؤلف مجهول عنوانه : «الطواف حول البحر الأحمر»[1]. والواقع أنهم أعاروا كل اهتمامهم الأراضي المقدسة أي فلسطين ، وكانت أُمنيتهم القصوى ــ إذا تمت لهم زيارتها ــ أن يقفوا أثر موسى كليم الله . ولذا تتابعتْ رحلاتهم إلى مصر . وماكاد ينتهي القرن السابع عشر حتى أَرْبَى عدد المسافرين من الافرنج الذين كتبوا عن بلاد الفراعنة على مئتين وخمسين مؤلفاً[2]. ولكنهم لم يتجاوزوا طُوْرَ سينا ، وبقي الغرب على معلوماته التقليدية في كل مايتعلق بالجزيرة العربية ، إلى أن قام (نيبور) ورفقاؤه بأول رحلة علمية إلى جنوبي الجزيرة العربية سنة ١٧٦٢ . وقد ذكر (نيبور) نتائج هذه الرحلة في كتابين ضخمين لم يترجما حتى اليوم إلى اللغة العربية ، الأول تحت عنوان «رحلة إلى الجزيرة العربية وماحولها من البلدان» في جزءين ، والثاني : «صفة الجزيرة العربية» ، في جزءين أيضاً .

لا نريد في هذا المقال أن نذكر كيف تَمَّ للغرب أن يكشف شيئاً فشيئاً معالم الجزيرة العربية وجغرافيتها ، إذ تَطَرَّقَ لهذا البحث عدد من المؤلفين ، بل خصصت له كتب بتمامها ، ترجم أحدها إلى العربية وهو كتاب صديقتنا وزميلتنا جاكلين بيرنْ : «اكتشاف الجزيرة العربية»[*]. ولكننا نلاحظ أنَّها لم تأتِ ولم يأتِ أحدٌ من الذين كتبوا عن هذا الموضوع على ذكر الرحالة (ماركو بولو) على شهرته ، ولعلهم أهملوه لأنه زار خاصة الشرقَ الأقصى ، ووصَفَهُ وصفاً دقيقاً . أما الجزيرة العربية وبِالأَوْلَى بعض بلدانها الساحلية ، فإنه سمع بها ولم يزرها ، مما يضعف من قيمة كلامه ، ويحمل الناقد على الطعن في شهادته . ولكن وضعه لا يختلف عن وضع المؤلفين الغربيين القدماء الذين كتبوا عن الجزيرة العربية قبل القرن السادس عشر الميلادي . ولا جَرَمَ أَنَّ ما نقله (ماركو بولو) عنها لا يتحلَّى بصفة المشاهدة العينية ، ولكنه طاف في ٱلآفاق مُشَرِّقاً ومُغَرِّباً ، وزار إيرانَ وسمرقند وبُخارى ، واجتاز مرتين أو أكثر الخليج العربي (. . .) ، ولذا فإن لكلامه عن عدن والشحر وظفار وسُقُطْرَى وبغداد والموصل والبصرة قيمة تاريخية أكيدة . وعلى الرغم من الصبغة الاسطورية التي نلمسها عنده أحياناً فإنه يعطينا فكرة عامة عن معارف أهل عصره عن الجزيرة العربية .

وقبل أن نتطرق إلى موضوع بحثنا لابُدَّ لنا أَنْ نعرف القارئ بهذا الرحالة وأن نحدثه عن رحلته التي طالتْ أربعة وعشرين عاماً ، من سنة ١٢٧١ إلى سنة ١٢٩٥ .

وُلِدَ (ماركو بولو) سنة ١٢٥٤ في مدينة البندقية ، وهي يومئذ من أهم المراكز التجارية في الغرب ، ومن أكبر مستودعاته للسلع الشرقية . وكان في المهد عندما سافر والده (نقولا) وعمه (متّى) إلى القسطنطينية ، سنة ١٢٥٥ ، مدفوعَيْنِ بحب المغامرة وطمعاً بأرباح التجارة ، ومنها ذهبا إلى (ساراي) على نهر (أتل) أي (الفولكا)، قرب مدينة (ستالينغراد) حيث كان يقيم (بَرْكايْ خان) سلطان تتر المشرق . وأقاما في هذه المدينة مدة سنة ثم اشتعلت نيران الحرب بين (بركاي) وأخيه (هولاكو) فأصبح من العسير جداً على التاجرين أن يعودا إلى البندقية ، فآثرا مُتابعة المغامرة والتوغُّلَ في مجاهلَ جديدة ، فرحلا إلى بُخَارَى حيث تعرفا برسل (هولاكو) إلى السلطان الكبير (كوْبَلَايْ خان) . فحسّن الرسل لهما الذهاب بصحبتهم ، وأكدوا لهما أن سلطان المغول الأكبر سيستقبلهما استقبالاً جميلاً . فقبلا الدعوة ، وأحسن كوْبَلَايْ خان ضيافتهما ، وأكرمهما ، واستخبر منهما عن ملوك الافرنج وعاداتهم وأحوالهم ، وطلب منهما أن يحملا رسالة منه إلى البابا يقترح عليه فيها ارسال وفد كبير من رجال الدين المسيحي ليبسطوا للخان أصول ديانتهم .

غادر والد (ماركو بولو) وعمه سلطان التتر الأكبر (كوبلاي خان) شاكرين له ضيافته الكريمة وسافرا على بركة الله غير مسرعين ، يطلبان الربح متى توفرت لهما أسبابه ، فلم يصلا إلى مدينة (لايس) قرب الاسكندرونة ــ إلا بعد مضي ثلاث سنوات على رحيلهما من دار السلطنة ، ثم ذهبا إلى عكّا حيث علما أن البابا قد قضى نحبه . فكان لا بُدَّ لهما والحالة هذه من انتظار انتخاب البابا الجديد ليسلما إليه كتاب السلطان . وبما أن الانتخاب البابوي كان يتطلب ردْحاً طويلاً من الزمن بسبب بُعْدِ المسافات ، وصعوبة المواصلات ، فإنهما فضّلا الانتظار بين أفراد أسرتهما ، فعادا إلى البندقية سنة ١٢٦٩ بعد غياب طال أربع عشرة سنة .

وأثناء هذا الغياب الطويل توفيت والدة (ماركو) وأصبح الابن شاباً في منتصف العقد الثاني من عمره . وبعد مضي سنتين على إيابهما نازعهما من جديد الشوق إلى الآفاق البعيدة ، ومع أن انتخاب البابا كان على قدم وساق ، وليس باستطاعتهما تسليم رسالة خان التتر إلى البابا ، فإنهما قررا الرحيل والعودة إلى دار السلطنة في الصين ، فسافرا وسافر معهما (ماركو) الشاب وله من العمر سبع عشرة سنة .

غادر أصحابنا البندقية عام ١٢٧١ ، وقصدوا أولاً بيت المقدس ، ثم أمُّوا أرمينيا الصغرى (تركيا اليوم) ، وما أن وصلوا إلى اسكندرونة حتى بلغهم أن الانتخاب المنتظر قد تمّ ، فعادوا إلى عكا ، وسلموا رسالة خان التتر إلى البابا الجديد ، فَسُرَّ جداً بها وأوفد معهم اثنين من علماء الدين لا خبرة لهما بالأسفار ، ولا رغبة لهما في المغامرة ، فَكَرَّا راجِعَيْنِ إلى بلدهما عند أول عارض هام ، بعد أن سلما رسالة البابا إلى والد (ماركو بولو) وتابع التجار طريقهم ، وبعد سفر طال أكثر من ثلاث سنوات وصلوا إلى دار السلطنة في (كايْ بنغْ فو) قرب مدينة (باكين) . فَرَحَّب الخان برسوليهِ وسُرَّ بإيابهما ، وبنجاح مهمتهما وسألهما عن الشاب الذي جاء يصحبتهما فقال له (نقولا) وهو أكبرهما سناً : (هذا ابني ماركو جئتُ به لخدمتك) .

أكرم السلطان هؤلاء الأجانب الوافدين عليه ، وحرص على أن يكونوا مع خاصة رجاله . وما أتى على الشاب (ماركو) إلا القليل من الزمن حتى تعلم لغة سيده ، وبعض لهجات أصحاب البلاد . وكان دقيق الملاحظة يتشوق إلى معرفة الأمور الغريبة ، ويحرص على فهم خفايا الأمور . فارتفع شأنه عند السلطان ، وأسند إليه بعض المهمات ، فقام بها على أحسن وجه ، فزادت مرتبته عند الخان ، وأوفده إلى أقاصي حدود مملكته الواسعة الأرجاء ، وأرسله سفيراً إلى الهند .

بقي (ماركو) ووالده وعمه في خدمة (كوبلاي خان) سبع عشرة سنة ، ثم رغبوا في العودة إلى بلادهم فلم يسمح لهم بالسفر ، فظلوا في حِمَاهُ إلى أن سَنَحَتْ لهم الفرص ، وذالك بمناسبة زفاف إحدى قريبات الخان إلى (ارغون) سلطان تتر المشرق ــ أي بلاد العجم ــ وحرصاً على راحتِها بسبب وعورة الطرق تَمَّ الرأيُ

على أن يكون السفر بحراً ، وعلى أن يصحبها مع الوفد أفراد أسرة (بولو) لمعرفتهم الجيدة ببحر الهند . فأمر السلطان بتجهيز ثلاث عشرة سفينة ، وسلم إلى أصدقائه الافرنج رسائل إلى البابا ، وإلى ملك فرنسا وانجلترا واسبانيا وغيرهم من ملوك الدول المسيحية . ثم أبحروا وسارت بهم المراكب مدة ثلاثة أشهر ، إلى أن وصلوا إلى جاوة ، ومنها أقلعوا إلى سيلان ثم إلى بلاد العجم ، حيث علموا بوفاة الخان (ارغون) فَزُفَّتِ الفتاة إلى ابنه . وبعد أن قام الوفد بمهمته ، تابع (ماركو) سفره مع والده وعمه إلى القسطنطينية ومنها إلى البندقية حيث ألقوا عصا الترحال سنة ١٢٩٥ بعد أربع وعشرين سنة من مغادرتهم إيَّاهَا .

وماكان يفكر (ماركو بولو) بكتابة قصة رحلته لولا وقوعه أسيراً ، بعد معركة بحرية بين الأسطول ٱلْبُنْدُقِيِّ والأسطول الجَنَويِّ ، فأمْلى مذكراته وهو في السجن سنة ١٢٩٨ وسماه كتاب «تقاسيم العالم» وصف فيه آسيا عامَّةً ، والصين خاصة ، وأشاد بذكر سلطان التَّتَر الأكبر (كوبلاي خان) وتكلم عن معيشته وعدله ، وكيفية خروجه للصيد والقَنص ، وعن غِنَاهُ وسعة دُنياه ، وعن كثير من أحواله وحروبه ، ووصف عدداً كبيراً من البلاد منها جاوة وسيلان ومدغشقر وزنْجَبار ، وأطرى نعتاً ببوذا . وهو أول من تكلم عن شيخ الجبل وفئة الحَشَّاشِين . وقد عرف (كريستوف كولمبو) هذا الكتاب وقرأه مراراً ، وعندما أبحر ليكتشِفَ العالم الجديد ذهب مدفوعاً بحب الذهب الوهَّاج الذي خلب لب (ماركو بولو) فكان يراه في كل مكان .

وكُتِبَتْ هذه الرحلة بإحدى اللهجات الفرنسية القديمة ، ثم نُقِلَتْ إلى اللغة الفرنسية المعاصرة . ونحن أخذنا عن النسخة الفرنسية الحديثة التي وضعها (تَسْرْسْتَفَنْسْ)[٣] .

يقسم (ماركو بولو) الهند إلى ثلاثة أقسام: الهند الكبرى وهي بلاد الهند المعروفة ، والهند الوسطى وهي الحبشة والجزيرة العربية ، والهند الصغرى أي برمانيا .

ويحدثنا عن الحبشة فيقول : ماترجمته: (الحبشة إقليم كبير من الهند الوسطى ،

له ست مملكات ، وستة ملوك ، ثلاثة منهم مسيحيون والثلاثة الآخرون مسلمون ، إنَّما أكبرهم سطوة هو من الملوك النصارى ويخضع له الآخرون . وللنصارى ثلاثة وسوم على وجوههم : الواحد على الجبين إلى منتصف الأنف ، والاثنان الآخران على الوجنتين ، ويتم وضع هذه العلامات الفارقة وقت العماد . ولليهود وسمان فقط على الوجنتين . أما المسلمون فلهم وسم واحد من الجبين إلى منتصف الأنف (ص ٢٨٨) .

ويقيم الملك الأكبر في وسط البلاد ، أما المسلمون فهم في عدن ونواحيها[٤] . . .

عـــدن :

واعلموا أن لمنطقة عدن سَيِّداً يسمى السلطان ، وأن جميع سكانها مسلمون «يعبدون»[*] محمداً ، ويكرهون جداً النصارى ، وهي تضمّ عدداً كبيراً من البلدان والقرى . ولعدن مَرْسَى تقصده مراكب الهند موقرة بالبضائع . ويقوم التجار بنقل هذه البضائع على سفن صغيرة إلى مرسى على مسافة سبعة أيام[٥] . وهناك تُحَمّل البضائع على الجمال وهي تسير بها مدة ثلاثين يوماً أو أكثر إلى النهر الذي يصب في الاسكندرية ، بنوع أن مسلمي الاسكندرية ، يفضل هذا الطريق ، يحصلون على جميع البهارات والفلافل التي يريدونها ولا يمكنهم أن يجدوا طريقاً أفضل أو أكثر أماناً .

ومن مرسى عدن تبحر أيضاً المراكب حاملة أصناف السلع إلى جزر الهند . واعلموا أنَّ لسلطان عدن رسوماً على السفن التي تذهب إلى الهند أو تعود منها حاملة شتى البضائع . ومن هذا المرسى أيضاً يتمّ نقل الخيل العربية ، منها الجياد العادية ، ومنها الكبيرة ذات السرجَيْن . وتعود هذه الشحنات على التجار بأرباح طائلة لأن الخيل غالية الثمن جداً في الهند لعدم وجودها . وتُدِرُّ هذه التجارة على السلطان أيضاً بالأموال الكثيرة ، لأنه يتقاضى رسوماً كبيرة على كل مايشحن من هذا المرسى ، حتى قيل عنه : إنه من أغْنَى سادات العالم .

وأعلمكم أيضاً أن سلطان بابل [العراق] ، لما أرسل حملة على مدينة عَكَّا واستولى عليها ، ساعده على ذالك سلطان عدن إذْ أَمَدَّهُ بثلاثين ألف محارب مع خيلها ، وبنحو أربعين ألف جمل . فكان هذا الإمداد عوناً كبيراً للمسلمين وضرراً عظيماً على النصارى . واعلموا أنه قدّم هذا العون بغضاً للنصارى لا محبة لسلطان بابل إذ يحمل الواحد للآخر أشدَّ الضغائن .

والآن لندع سلطان عدن لنتكلم عن بلدة تحت حكم عدن اسمها أَسْبَيْه [الشحر] ، عليها ملك ، وهي تقع في الشمال الغربي من عدن كما سنوضحه بعد هذا الكلام (ص ٢٩١ ــ ٢٩٢).

الشِّحْــر :

الشِّحْرُ بلدة كبيرة تقع في الشمال الغربي[٦] من عدن وتبعد عنها مسافة أربع مئة ميل . عليها ملك تحت حكم سلطان عدن ، يعدل في الرعية ويخضع له عدد من البُلَيْدات والقرى . وجميع سكانها مسلمون ، ولها مرسى من أحسن المراسي بنوع أن مراكب الهند تقصده زرافاتٍ ، حاملة شتى السلع .

وتنتج هذه المنطقة كثيراً من البخور الأبيض يعود بالربح الطائل على الملك لأنه استقلّ بشرائه وبَيْعه ، ولا يمكن لأحد أن يخالف أمره . فهو يشتري المثقال بعشرة دنانير ، ويبيعه للتجار بستين ديناراً ، فيحصل له من ذالك مالٌ جزيل . وتنتج هذه المنطقة أيضاً كثيراً من التمر ولكن لا قمح لها ، أما الأرز فقليل . إلا أن هذه المحصولات التي تنقصها تأتيها من مختلف الجهات بسبب الأرباح الطائلة التي يجنيها المستوردون . وهي غنية جداً بالأسماك ولا سيما بنوع من السمك كبير جداً . ومن كثرة الأسماك فيها يمكن شراء أكثر من طَنّيْن بقطعة فضية كبيرة من العملة البندقية . ويعيش أهل هذه المنطقة على اللحم والحليب والأرز والسمك ، وليس لديهم خمر العنب ، ولكنهم يصنعون خمراً من السكّر والأرز والتمر وسأخبركم عن شيء غريب جداً : فاعلموا أن ليس لخرفانهم آذان ، ولكن موضع الأذن يوجد قرن صغير . وهذه الخرفان حيوانات صغيرة جميلة . وأعلمكم أن جميع البهائم عندهم من نعاج وبقر وجمال تأكل سمكاً صغيراً جداً ولا تأكل

شيئاً آخرَ إذْ ليس في كل المنطقة حشيش أو خضار ، فهي أمحل بلاد العالم . أما الأسماك التي تقتات منها البهائم فهي صغيرة جداً ، يكون صيدها في شهري آذار ونيسان ، ويجمعون منها كميات وافرة جداً ، ثم يجففونها ويحفظونها في البيوت ، ويطعمون البهائم منها خلال السنة كلها ، بل إن البهائم تأكلها وهي حية بين يدي الصياد وقت خروجها من الماء . ولديهم أيضاً كثير من الأسماك غيرها كبيرة ، وطيبة الطعم ، ورخيصة الثمن ، يقطعونها إرباً إرَباً ، ويجففونها ويقتاتون منها كل السنة مثل الكعك .

وليس هناك ما أزيده على هذا الوصف وسأكلمكم الآن عن بلدة اسمها ظفار (ص ٢٩٢ ــ ٢٩٤).

ظفـــار :

ظفار بلدة جميلة ، كبيرة عظيمة الشأن ، تبعد عن الشحر خمس مئة ميل إلى جهة الشمال الغربي [كذا] . وسكانها مسلمون ، وعلى رأسهم سيد كما سأخبركم . وهذه المدينة تخضع لسلطان عدن ، وهي على الساحل ، ومرساها حسن ولذا تقصده سفن الهند بكثرة ، وهي تعود حاملة الخيول العربية ، ويكسب التجار من ذالك أرباحاً طائلة . وتحكم هذه المدينة على عدد من البلدان الصغرى والقرى . وفيها كثير من البخور الأبيض وسأخبركم كيف يحصلون عليه : عندهم شجر يشبه التنّوب الصغير فيحزونه في عدة أماكن بسكين ، ومن هذه الجروح يخرج البخور . ويخرج أيضاً من غير أن يُحَزَّ الشجر ، بسبب حر الشمس الشديد .

وليس هناك ماأخبركم به غير ماتقَدَّم ، ولذا سنذهب من هنا إلى الامام لأكلمكم عن خليج (قلطو) وعن مدينة (قَلَطو) أيضاً . (ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

مدينة (قَلَطُو) وخليجها[٧]:

(قَلَطُو) مدينة كبيرة على الخليج المسمى خليج (قلطو) ، وهي على مسافة ست مئة ميل من ظفار نحو الشمال الغربي . وسكانها مسلمون تحت حكم هرموز .

وإذا كان ملك هرموز في حرب مع عدو أشد قوة منه فإنه يلتجئ إلى مدينة (قلطو) هذه ، لمناعتها ولحصانة موقعها . وليس لديهم قمح ولكن يؤتى لهم به على السفن . ولهذه المدينة مرسى كبير حسن الموقع يقصده التجار في المراكب الموقرة بأصناف البضائع الهندية ، ومنها توزع على البُلَيْدات والقرى . ومن هذا المرسى تحمل السفن الخيل العربية إلى الهند ، واعلموا أن هذه البلدة وغيرها ترسل كل عام عدداً وافراً من الخيل إلى جزر الهند ، وسبب ذالك لأن الأفراس لا تلد في هذه الجزر ، ولأن التي يؤتى بها من الخارج تموت سريعاً ، إذْ لا يحسن أهلُ هذه الجزر عناية الخيل ، وليس لديهم ساسة خبيرون بهذه الأمور ، فيطعمون الخيل اللحم المطبوخ وغير ذالك من الأطعمة التي تضر بصحتها .

وتقع مدينة (قلطو) هذه على مدخل الخليج بنوع أنه لا يمكن لسفينة أن تدخل فيه أو تخرج منه إلا إذا رضي سكانها . أما ملكها وهو في الوقت نفسه ملك هرموز ــ فإنه تحت حكم سلطان كرمان . وإذا خشي بطش السلطان فإنه يلتجئ إلى (قلطو) ، ويمنع السفن من دخول الخليج مما يضرّ بمصالح سلطان كرمان ، إذْ يخسر جميع الرسوم التي يجنيها عادة من سلع الهند ومن البضائع التي تصل من أماكن أخرى . والواقع أن عدداً كبيراً من السفن ترسو في هذا المرفإ حاملة شتى أصناف السلع ، يدفع أصحابها عليها كثيراً من المكوس . ولهذا السبب يضطر السلطان أن يعمل على حسب إرادة ملك هرموز . ولهذا الملك أيضاً قلعة تضاهي (قلطو) بمناعتها ، بل إنها أكثر مناعة منها ، تقع على مدخل خليج (قلطو).

أما سكان هذه المنطقة فإنهم يعيشون على التمر والسمك المملح ، وهو عندهم بكثرة ، أما السادة فإنهم يأكلون أطعمة أفخر (ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦).

مدينة هرموز[٨]:

وإذا غادرنا مدينة (قَلَطُوْ) وقطعنا ثلاث مئة ميل بين الشمال الغربي والمرسى نصل إلى مدينة هرموز . وهي مدينة كبيرة ، عظيمة الشأن ، على الساحل ، عليها حاكم يسمونه الملك ، يخضع لسلطان كرمان . والحرّ في هرموز شديد جداً حتى أن أهلها ، لأجل تبريد البيوت ــ صنعوا لها مثل أكمام تُدَارُ نَحْوَ مهب

الريح ، فتدخل الرياح في هذه الأكمام وتنتشر في البيوت ، فيتلاعب الهواء فيها وتبرد نوعاً ما ، ولولا ذالك لما استطاع الإنسان أن يتحمل حَرَّ هذه البلاد الذي لا يطاق . (ص ٢٩٦).

جزيرة الذكر وجزيرة الانثى[٩]:

جزيرتان الواحدة تبعد نَحْوَ ثلاثين ميلاً عن الأخرى ، وسكانهما كلهم من النصارى الـمُعَمَّدين . ويعيشون على حسب الشريعة القديمة [أي السابقة للمسيح) لأن الرجال لا يقربون نساءهم مَتَى كُنَّ حاملات . وإذا وضعت المرأة بنتاً لا يقربها زوجها مدة أربعين يوماً .

ويقيم جميع الرجال في الجزيرة التي تسمى الذكر . ومتى ابْتَدَأَ شهر آذار يذهبون جميعهم إلى الجزيرة الثانية ، ويقيمون فيها خلال ثلاثة أشهر السنة ، أي آذار ونيسان وأيار للتمتع بنسائهم . ويعودون بعد ذالك إلى جزيرتهم حيث يعملون خلال الأشهر التسعة الباقية ، في الحرث والفلاحة والتجارة .

وفي هذه الجزيرة كثير من العنبر الصافي . ويعيش أهلها على اللحم والحليب والأرز وعلى السمك أيضاً ، لأنهم صيادون ماهرون يصطادون من بحرهم كبار الأسماك وأجودها ، ويحصلون على كميات وافرة جداً منها ، فيجففونها ويأكلون منها كل السنة ، ويبيعون شيئاً منها إلى التجار الذين يقصدون جزيرتهم . وليس عليهم حاكم إنما لهم أسقف يتلقى أوامره من أسقف جزيرة سنتكلم عنها واسمها سقطرى .

أمَّا أولادهم فإنَّ البنات تبقى مع أُمهاتهن . وأما الذكور فإنَّ الأم تتولى معيشتهم إلى أن يبلغوا الرابعة عشرة من عمرهم ، فترسلهم عندئذ إلى والدهم . وهذه هي عادة أهل هاتين الجزيرتين : لا تعمل النساء شيئاً سوى تغذية الأولاد ، وقطف الأثمار التي تنتجها هذه الجزيرة ، لأن الرجال يقدمون لهن جميع ماهُنَّ بحاجة إليه (ص ٢٨٠ ــ ٢٨١).

جزيرة سُقُطْرَى :

وإذا غادر الإنسان هاتين الجزيرتين وقطع نحو خمس مئة ميل نحو الجنوب يصل إلى جزيرة سُقُطْرَى ، وهي جزيرة جميع سكانها من النصارى الـمُعمَّدين[١٠] ، وعليها أسقف . وعندهم العنبر بكثرة وأصناف الأقمشة القطنية. وكميات وافرة من الأسماك المملحة الكبيرة والجيدة . وهم يعيشون على الأرز واللحم والحليب ، إذ ليس عندهم قمح . وهم يمشون عراة مثل سائر الهنود .

والتجارة على قدم وساق في هذه الجزيرة إذ تقصدها السفن الكبيرة من شتى البلاد حاملة مختلف البضائع فيبيعها التجار إلى أهل هذه الجزيرة ، ويشترون منهم الذهب بَدَلاً منها ويربحون مكاسب طائلة ، مع العلم أنَّ جميع المراكب التي تقصد عدن تمر بهذه الجزيرة .

أما أُسْقُفُ سُقُطْرَى فإنه ليس من أتباع بابا رومية ، ولكنه يخضع لأسقف بغداد . وهذا الأسقف لا يحكم فقط على أسقف هذه الجزيرة ولكن أيضاً على غيره من أساقفة هذا الجزء من العالم ، كما يفعل البابا في أماكن أخرى .

ويَؤُمُّ هذه الجزيرة عددٌ كبير من القرصان ، يعرضون فيها ما حصلوا عليه من المكاسب . وهي تباع بسهولة لأن نصارى هذه الجزيرة يرضون بشرائها لعلمهم أنها من أموال المسلمين أو من أموال عبدة الأوثان . واعلموا أيضاً أَنَّ في هذه الجزيرة أَقدرُ سَحَرَةٍ في العالم . ولا شَكَّ في أَنَّ الأسقف يمنعم مااستطاع عن أعمال السحر ، ولكنهم يقولون له : إننا وجدنا آباءنا عليها ونحن نريد الاقتداء بهم . وإني أريد أن أخبركم بطرف من هذه الأفعال السحرية : إذا أقلعت السفينة مع رياح صالحة لسفرها ، فإنهم يستطيعون أن يثيروا رياحاً معاكسة تردُّ المركب على أعقابه . وبِوُسْعِهِم أيضاً أن يأمروا الرياح فتهب كما يشاؤون ، فيصبح البحر هادئاً ، أو تَجْتَاحه العواصف . وهم يفعلون أيضاً غير ذالك من أمور السحر ، ولكن لا يُسْتَحْسَنُ الكلام عنها في هذا الكتاب . وليس هناك مانقوله عن هذه الجزيرة غير ماذكرناه (ص ٢٨١ ـ ٢٨٢).

الموصـــل :

الموصل مملكة واسعة الأرجاء يعيش فيها مختلف الأجناس ، بعضهم من العرب وهم يعبدون محمداً(*) ، وبعضهم نصارى من النَّسَاطِرة واليعاقبة . وعلى رأسهم أسقف يسمونه (أتوليك): [كاثوليك] ، وهو يرسم الأساقفة والكهنة والرهبان ويرسلهم إلى جهات شتى مثل الهند وبغداد والصين، كما يفعل بابا رومية مع اللاتين . . . واعلموا أن جميع الأقمشة الموشاة بالذهب والحرير التي تصنع في هذه البلاد تسمى موصلية . ويأتي من هذه الديار عدد كبير من التجار يقال لهم أيضاً الموصليون ، وهم يحضرون معهم كميات وافرة من الفلافل ومن الأقمشة المذهبة والحريرية . وهناك أيضاً جنس آخر من الناس يسكنون الجبال ويسمونهم الكرد ، بعضهم نصارى وبعضهم مسلمون ، وهم أشرار(*) لأن من عادتهم أن ينهبوا التجار . (ص ٧٦ ـ ٧٧).

بغداد والبصرة :

بغداد مدينة كبيرة يقيم فيها الخليفة الذي يحكم على جميع المسلمين في العالم ، كما أن رومية هي محل إقامة البابا للمسيحيين . وفي وسط المدينة يجري نهر كبير جداً ، ومن الممكن للسفن التي تمخر هذا النهر أن تصل إلى بحر الهند وهو على مسافة ثمانية عشر يوماً من بغداد ، ولذا فإن عدداً كبيراً من التجار يسافرون على هذا النهر ويذهبون مع بضائعهم إلى بلدة تسمى شيزي [لعلها جزيرة قيس] ، ومنها يدخلون بحر الهند . وعلى هذا النهر ، بين بغداد وشيزي ، مدينة كبيرة اسمها البصرة . وحول هذه المدينة ، من جميع أطرافها ، أشجار النخل التي تعطي أطيب تمر في العالم . أما بغداد فإنه يُصْنَعُ فيها شتَّى أصناف الأقمشة الحريرية والمذهبة . وهي أرقى مدن هذه الناحية وأكبرها . ولكن في سنة ١٢٥٥ من ميلاد المسيح(١١) جاء كبير التتر واسمه أَلاوو [هولاكو] ، وهو أخو سلطان التتر الذي يحكمهم اليوم ، وحاصر بغداد وأخذها عنوة ، وكان يصحبه جيش كبير يزيد على مئة ألف فارس دون المشاة (ص ٧٧ ـ ٧٩) (أنتهت الترجمة) .

* * * *

هذا كل مايقوله ماركو بولو عن بعض البلدان العربية . ولم نسقط من كلامه إلا بعض الحكايات والخرافات التي لا محل لذكرها هنا . أما وصفه للصين وعاهلها الأكبر كوبلايْ خان فليس من موضوع هذا المقال .

ثلاث وخمسون سنة قبل ابْن بَطُّوطَةَ قام (ماركو بولو) برحلة تحاكي في عدد من نواحيها رحلةَ المغامر المغربي . فكلاهما زار الهند والصين ، وطاف في سوريا وتركيا وإيران وروسيا وجزر الهند ، وتولى المناصب الرفيعة ، ثم ألقى عصا التّرْحَال وأملى مذكراته ــ ولم يكتبها ــ ووصف فيها البلاد التي شاهدها، أو سمع بها ، وتكلم عن الملوك والسلاطين ، وذكر عادات الناس وأحوالهم ولكن (ماركو بولو) أعار كلَّ اهتمامه الناحية الاقتصادية لأنها قوام التجارة ــ وهو من أسرة ومدينة أَحَلاَّ التجارة أعلى مركز ــ ومع ذالك نراه لا يهمل الناحية الاجتماعية والدينية ، فيشيد بمدح (بُوْذا) ويقبل عدداً من الخرافات والأساطير كما لو كانت حقائق تاريخية . أما ابن بطّوطة فقد زاد عليه إذْ طاف أيضاً في الأندلس وافريقيا ، ولكنه قَبِلَ هو أيضاً دون تمْحيص كلَّ ماذُكر له من كرامات وعجائب .

ولا نريد في هذه العُجَالة أن نُقَارِنَ بينهما أو أن نُفَضِّلَ الواحد على الآخر فكلاهما مغامرٌ جَرِيْءٌ وكلاهما: (أخُو سَفَرٍ ، جوَّابُ أرْضٍ ، تقاذفتْ به الفلوات) على حدِّ قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، وعصَفَتْ به رياح البحار . وكلاهما وصف فأفاد . إنما الفرق بينهما يعود إلى شخصية صاحب الرحلة ، فابن بطوطة جعل من نفسه محور قِصَّتِهِ ، وكان عربياً مسلماً فقيهاً ، وتَجَوَّلَ في بلاد يدين معظم أهلها بالإسلام ، ويفهمون لغة القرآن ، فَسَهُلَ عليه الاختلاط بهم والتحدث معهم ، وفهم طِبَاعهم وأحوالهم . وعلاوة على ذالك كان ابن بطّوطة مِزْواجاً مِطْلاقاً فأكثر من الحديث عن نسائِه . وعن عادات الزواج . وكان أيضاً شديد التمسك بأهْدَابِ الدين ، فدفعته التقوى لزيارة المساجد والزوايا ، وعلى ذكر كلِّ مَنْ عرفه من أصحاب الكرامات وهم كُثْرٌ . أما (ماركو بولو) فإنه أحسن خاصة وصفَ الصين بسبب إقامته الطويلة فيها ، ومعرفته بعض لهجاتها ، ولكنه رأى العالم الإسلاميَّ من الخارج ، ولم يُحسن فهمه ، ولم يجعل من نفسه مِحْوَرَ

الرِّحْلَة ، فلم يتكلم عن امرأة أحبَّها أو فتاة تزوجها ، وظل مُغْلَقَ القلب ، ينظر إلى العالم نظرة الجغرافي . وعلى الرغم من الأخطار العديدة التي مَرَّ بها ، منها وقوعه أَسِيْراً بين أَيدِي قوم طغاة (ص ٩٢) فإنه لا يأتي على ذكر هذه الأمور إلا عرضاً ، ولا يتحدث عنها إلا بكل اقتضاب ، وكأنه ينظر إليها كأمور لا تستحقُّ أن يَهْتَمَّ بها من يقرأ الرحلة .

وإذا قارنَّا مايقوله الاثنانِ عن الأماكن التي زارها كلاهما مثل سيلان وجاوَة ومعبر،نَجِدُ أنَّ وصفَ الواحد يأتي مُتِمًّا لقول الآخر ، إنما يزيد عليه بالصفة التي يَتَحَلَّى بها أيْ بالدقة الجغرافية عند (ماركو بولو) وبالعاطفة الإنسانية لدى ابن بَطُّوطة .

ولا شك أن مايقوله (ماركو بولو) عن بعض البلدان العربية ليس له دائماً سمة الشيء الجديد ، ولا ندري ماهو نصيبه من الصحة عندما يتحدث عن جزيرة سُقُطْرَى ، إلا أنه يعطينا فكرة عما كان يعرفه الغرب عن هذه البلاد في أواخر القرن الثالث عشر . ولا نعلم إذَا كان ابنُ بَطُّوطة ــ أو كاتب رحلته ابن جُزَّيّ ــ اطلع على قصة رحلة (ماركو بولو) لأن كتاب المغامر البندقي لاقى إقْبَالاً شديداً منذ ظهوره ، حتى أنَّ عدد مخطوطات المعروفة اليوم تبلغ نحو مئة وخمسين ، منها بالفرنسية واللاتينية وبعض اللَّهجات الإيطالية والاسبنيولية ــ لهجة برشلونة وبَلَنْسِيه ــ وقد يكون ابنُ بَطُّوطة سمع به عندما زار الأندلس . ولا شك أن (ماركو بولو) تحدث عن أماكن لم تطأها قدماه . ولكن هل شاهد ابنُ بطُّوطة جميع البلدان التي ذكرها ووصفها؟ فنحن على ثقة مثلاً أنه لم يصل إلى صنعاء وجِبْلة[١٢]، كما أن (ماركو بولو) لم يدخل سقطرى أو عدن أو ظفار ــ إنما مَرَّ بها وقد يكون رآها عن بُعْدٍ ــ ، فكل منهما وصف أحياناً مستنداً إلى أقوال الناس . إلاَّ أَنَّ هذا الوصف القائم فقط على السماع لا ينقص من فضلهما ، إذْ نَجِدُهُ أيضاً عند جُلِّ أصحاب الرحلات ، بَلْهَ كلهم ، ولأنهما حَرِصَا على أمانة النقل ، فعلى الناقد أن ينزه أقوالهما عن الشوائب .

باريس د. يوسف شُلْحُد

الهوامش :

(١) يوسف شلحد ورفقاؤه : العربية الجنوبية تاريخاً وحضارة ، الجزء الأول ، ص ٥٥ ـ ٨٩، باريس، ١٩٨٤ (باللغة الفرنسية)

(٢) انظر منشورات المعهد الفرنسي لعلم الآثار الشرقية في القاهرة .

(*) : [العرب : كتب مقدمته صاحب هذه المجلة] .

(٣) A. T'SERSTEVENS كتاب (ماركو بولو) منشورات البان ميشيل ، باريس ، سنة ١٩٥٥ .

(٤) بعد هذا الكلام حكاية مفادها أن سلطان عدن أرغم أسقف الحبشة ، عند مروره بهذا المرسى ، على إجراء عملية الختان ، مما حمل القوات الحبشية على غزو عدن .

(*) [العرب: كذا في الأصل (يَعْبُدُون) ، ولكن الكلمة بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم بَشِعَةٌ ، أطلقها الرحالة لجهله بمدلولها العربي].

(٥) لعله مرسى موزع ، على البحر الأحمر .

(٦) كذا ، ومن المعلوم أنَّ الشِّحْر يَقع شرقي عدن منحرفاً إلى الجنوب .

(٧) يظهر من كلام (ماركو بولو) أن (قلطو) تقع قرب مدينة مسقط وأن خليجها هو خليج عُمان [العرب]: اسم قَلْهَات أقرب شَبَهاً باسم (قلطو) وقد وصفها ياقوت في القرن السادس وأول السابع في «معجم البلدان» بوصف يُقَرِّبُهَا من وصف (ماركو بولو) فقال: (قَلْهَاتُ مدينةٌ بِعُمَانَ ، على ساحل البَحْرِ ، إلَيْهَا ترفأ أكثرُ سفُن الهند ، وهي الآن فُرْضة تلك البِلَاد ، وأَمْثَلُ أعمال عُمَان ، عامِرَةٌ آهِلَةٌ ، ولَيْسَتْ بالقديمة في العمارة ، ولا أَظُنُّهَا تَمَصَّرَتْ إلَّا بعد الخمسِ مِئَةٍ ، وهيَ لصاحِبِ هُرْمُز ، وأَهْلُها كلُّهم إباضيَّة).

(٨) نأتي على ذكرها اتماماً للفائدة .

(٩) ولعلها جزر (كُرْيَا) و(مُرْيَا).

(١٠) يقول الهمداني في صفة جزيرة العرب: (طول هذه الجزيرة ثمانون فرسخاً وفيها من جميع قبائل مَهْمَرةَ ، وبها نحو عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى) (ص ٧٠، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، سنة ١٩٧٤). وانظر «مروج الذهب» ٣٦/٣ و«نزهة المشتاق» للادريسي ٤٩ ومابعدها ط : نابلي ــ و«الروض المعطار»: ٣٣٧ ــ

(١١) فتح هولاكو بغداد ٤ صفر سنة ١٠/٦٥٦ شباط ١٢٥٨ .

(١٢) يزعم ابْنُ بطُوطة أنه زار زَبيد ومنها ذهب إلى جِبْلَة ثم إلَى تَعِزَّ وصَنْعَاء . ومعنى ذالك أنه عاد على أعقابه من جِبْلَة إلى تَعِز ، ثم سافر من جديد من تَعِز إلى جبلة ومنها إلى صنعاء . ، ثم سافر من قاعدة بلاد اليمن إلى عدن فاجتاز للمرة الثالثة جبلة ، وهو يقول عنها : إنها ذات نخل مع أنها على ارتفاع يبلغ نحو ألفي متر . ولا بُدَّ له من المرور بالأراضي التي كان يحكمها الامام الزيدي إذا مازار صنعاء ولكنه أهمل ذكره تماماً .

(*) [العرب كَذَا في الأصل (يعبدون) ــ وانظر ماتقدم ــ والمسلمون لا يعبدون إلا الله وحده ، ولكنهم (يعظمون) محمداً فيقرون برسالته ، ويحبونه ، ويطيعونه ، ويعظمونه] .

(*) ليس كل الأكراد أشراراً ، هم كغيرهم من الناس ، فيهم الصالح وغيره ، والأمانة العلمية هي التي أوجبت نقل كلام الرحالة على عِلَّاتِهِ .

الاحتجاج في العربية
المحتج بهم ـ زمان الاحتجاج

كلام العرب شعراً ونثراً مصدرٌ من مصادر الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف بعد كتاب الله ـ تعالى ـ وحديث رسولِهِ ومصطفاه ﷺ .

وجميعُ العرب ولدُ إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد أنطقه الله ـ عز وجل ـ بالعربية المُبِينَةِ على غير التَّلْقينِ والتمرين ، وعلى غير التدريب والتدريج[1] .

ففي « طبقات فحول الشعراء » ـ ١ : ٩ ـ : (قال يونُسُ بنُ حبيب : أَوَّلُ من تكلم بالعربية ، ونَسيَ لسانَ أبيه إسماعيلُ بنُ إبراهيم ـ صلوات الله عليهما ـ) .

ويُستثنَى من ذالك قبائلُ جِمْيَر ، وبقايا جُرْهُمَ .

ففي « طبقات فحول الشعراء » ـ ١ : ١١ ـ : (قال أبو عمرو بن العلاء : ما لسانُ حِمْيَر وأقاصي اليمنِ اليومَ بلساننا ، ولا عَرَبِيَّتُهم بعربيَّتنا ، فكيف بما على عهد عادٍ وثمودَ مع تداعيه ووَهْيِه) .

وكان العرب ـ قديماً ـ يقطنون اليمن والحجاز وما جاورهما ، ثم انتشروا في سائر البلاد .

ففي « فقه اللسان » ـ ١ : ٣ ـ : (قال يوسف داود الموصلي في كتابه في « نحو العربية » : إن اللغة التي تُسْتَعْمَل في معظم الغربية الجنوبية من آسيا ، وفي مصر ، وسائر البلاد الشمالية من إفريقية ، وفي غير ذالك من الأمصار ، تسمى اللغة العربية نسبة إلى العرب الذين هم في الأصل سكانُ اليمن والحجاز ، وسائر ما يجاورها من البلاد المعروفة بجزيرة العرب ، وسكان صحارىَ الشام ، والجزيرة والعراق .

وكانت اللغة العربية على أنحاء شتى بسبب اختلاف قبائل العرب وتوالدهم

كما يختلف الآن لسان البلد الواحد عن لسان البلد الأخر من بلاد العرب أنفسهم) .

والعربيُّ يُحْسِنُ اختيارَ اللفظ للدلالة على المعنىٰ المقصود ، في موضعه المنشود ، وله عناية فائقة في النثر والشعر .

قال الشافعيُّ ــ رحمه الله ــ في « الرسالة » ــ ٤٢ ــ (لسانُ العرب أوسعُ الألسنة مَذْهَباً ، وأكثرُها ألفاظاً ، ولا نعلمهُ يُحيطُ بجميع علمِهِ إنسانٌ غيرُ نبيٍّ ، ولكنه لا يذهب منه شيءٌ على عامَّتها حتى لا يكونَ موجوداً فيها مَنْ يعرفه) .

وهذا كلامٌ حَرِيٌّ أن يكون صحيحاً ، ولم يَدَّعِ أحدٌ ممن مضى حفظ اللغة كلِّها[٢] .

والمراد بكلام العرب المستشهد به كلامُ القبائل العربية الموثوقِ بفصاحتها ، وصفاءِ لغتها في الجاهلية والإسلام إلى أن فسدتِ الألسنةُ بالاختلاط مع الأعاجم ، وفُشُوِّ اللحن .

وأفصح العرب قبيلةُ قريشٍ ، ولهذا نَزَلَ القرآنُ الكريم بلغتها .

قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمىٰ بـ « الألفاظ والحروف »[٣] : (كانت قريشٌ أجودَ العرب انتقاداً[٤] للأفصح من الألفاظ ، وأسهلَها على اللسان عند النطق بها ، وأحسنَها مسموعاً ، وأبينَها إبانةً عمَّا في النفس ، والذين عنهم نُقِلَتِ اللغةُ العربية ، وبهم اقتُدي ، وعنهم أُخِذَ اللسانُ العربيُّ من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأَسَد ، فإنَّ هاؤلاءِ هم الذين عنهم أكثرُ ما أُخِذَ ومعظمه ، وعليهم اتُّكِلَ في الغريب ، وفي الإعراب والتصريف ، ثم هُذَيْل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائِيِّينَ ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم[٥]) .

وقال أحمد بن فارس في « الصاحبي » ــ ٣٣ ــ ٣٤ ــ (. . . أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرُّواةُ لأشعارهم ، والعلماءُ بِلُغَاتِهِمْ وأَيَّامِهم وَمَحَالِّهم : أن قريشاً أفصحُ العربِ أَلْسِنَةً ، وأَصْفَاهُمْ لغةً ، وذالك أن الله ــ جل ثناؤه ــ اختارهم من

جميع العرب واصطفاهم ، واختار منهم نبيَّ الرحمة محمداً ﷺ .

فَجَعَلَ قريشاً قُطَّانَ حَرَمِهِ ، وجيرانَ بيته الحرام ، ووُلَاتَهُ . فكانت وُفُودُ العرب من حُجَّاجِها وغيرهم يَفِدُون إلى مكة للحج ، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم . وكانت قريش تعلِّمهم مناسِكَهم ، وتحكم بينهم . . .

وكانت قريش ــ مع فصاحتها ، وحسن لغاتها . ورِقَّةِ ألسنتها ــ إذا أتتهم الوُفود من العرب ، تخيَّروا من كلامهم وأشعارِهِم أحسنَ لغاتهم ، وأصفىٰ كلامهم ، فاجتمع ما تخيَّروا من تلك اللغات إلى نحائِزِهِمْ وسَلَائِقِهِمْ التي طُبِعُوا عليها ، فصاروا بذالك أفصحَ العرب .

ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عَنْعَنَةَ تميم[٦] ، ولا عَجْرفِيَّةَ قيس[٧] ، ولا كَشْكَشَة أَسد[٨] ، ولا كَسْكَسَةَ ربيعة[٩] ، ولا الكَسْرَ الذي تسمعه من أَسد ، وقيس مثل : يِعْلَمُون ونِعْلَم ، ومثل : شِعير وبِعير[١٠] ؟) .

والنحاة اعتمدوا في تقعيد القواعد ، وتثبيتها على لغات هذه القبائل ، فاعتمدوا على لغة قريش ، وسموها : اللغة الحجازية ، ويأتي بعدها في الفصاحة لغةُ تميم ، وتُقْرَنُ بكتب النحو والصرف بلغة الحجاز .

وللنُّحَاةِ عانيةٌ بذكر لغة قيس ، وقد تقرن بلغة الحجاز ، وبلغة تميم ، كما يعتنون بلغة بني أَسَدٍ ، وبلغة طيء ،

وفي مقدمة «فقه اللسان» ــ ١ : ٣ ــ ٤ ــ : قال الشيخ يحيى في رسالته المسماة « ارتقاء السيادة » : إن العربَ المأخوذَ عنهم اللسانُ العربيُّ ، الموثوقَ بعربيتهم هم : بنو قيس ، وتميم ، وأَسد وهُذَيْل ، وبعضُ الطائيين . اهـ .

فكانت لغةُ هذه القبائل المذكورة أفصحَ لغات العرب ، وعليها المعتمد ، وإليها المرجع ، ومن هذه القبائل : بنو قريش ، وهم بطون مضر ولد إسماعيل ، ولغتهم مفضلة على غيرهم ؛ لأنه فيها نَزَل « القرآن » .

ومضر هو ابن نزار بن معد بن عدنان وإليه تنتهي أنسابُ قريش وقيس وهُذَيْل وغيرهم[١١] .

أخرج البخاريُّ في « صحيحه » في « كتاب فضائل القرآن » ــ باب نَزَلَ القرآن بلسان قُرَيْشٍ والعَرَبِ ــ ٦ : ٩٧ ــ من حديث أنس بن مالكٍ قال : (فأَمَرَ عثمانُ زيدَ بنَ ثابتٍ وسَعِيدَ بنَ العاصِ وعبدالله بنَ الزُّبَيْرِ وعبدالرحمن بنَ الحَارثِ بنِ هشامٍ أَنْ يَنْسَخُوها[١٢] في المصاحِفِ ، وقال لهم : إذا اخْتَلَفْتُمْ أنتم ، وزيدُ بنُ ثابتٍ في عَرَبِيَّةٍ من عَرَبِيَّةِ القُرآنِ فاكْتُبُوهَا بلسانِ قُرَيْشٍ ، فإنَّ القرآن أُنْزِلَ بلسانهم ففَعَلُوا) .

وفي « فتح الباري » ــ ٩ : ٩ : قال القاضي أبو بكر بنُ الباقلانيُّ : معنى قول عثمان : نزل القرآنُ بلسان قريش ، أي : معظمُه ، وأنه لم تقم دلالة قاطعةٌ على أنَّ جميعَه بلسان قريش ، فإن ظاهر قوله ــ تعالىٰ ــ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاه قُرْآناً عَرَبِيًّا ﴾ أنه نزل بجميع ألسنة العرب ، ومَنْ زعم أنه أراد مضر دون ربيعة ، أوهما دون اليمن ، أو قريشاً دون غيره فعليه البيان ، لأن اسم العرب يتناول الجميعَ تناولاً واحداً .

وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون قولُه : نزل بلسان قريش أي : ابتداء نزوله ، ثم أُبيح أن يُقْرَأَ بلغة غيرهم . اهـ .

وتكملته أن يقال : إنه نزل أولاً بلسان قريش أحدُ الأحرفِ السبعة ، ثم نزل بالأحرف السبعة المأذون في قراءتها تسهيلاً وتيسيراً . فلما جَمَعَ عثمانُ الناسَ على حرف واحد رأىٰ أنَّ الحرف الذي نَزَلَ القرآن أَوَّلاً بلسانه أَوْلَىٰ الأحرف ، فحمل الناس عليه ؛ لكونه لسانَ النبيِّ ﷺ ، ولِمَا له من الأَوَّلِيَّة المذكورة . . .) .

و« القرآنُ الكريم » هو في أعلى مستويات الفصاحة بالإجماع .

قال ابنُ خالويه في « شرح الفصيح » : (قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وَرَدَت في القرآنِ فهي أفصحُ مما في غير القرآن ، لا خلافَ في ذلك)[١٣] .

قال أبو نصر الفارابيُّ في « الألفاظ والحروف » : (. . وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضَرِيٍّ قط ، ولا عن سُكَّان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائِرَ الأمم الذين حولهم ؛ فإنه لم يُؤْخَذْ لا من لَخْمٍ ، ولا من جُذَام ؛ لِمُجَاوَرَتِهِمْ

أهلَ مِصْرَ والقِبْط ، ولا من قُضاعة ، ولا من غَسَّان ، ولا من إياد ؛ لمجاورتهم أهلَ الشام ، وأكثرهم نصارىٰ يقرأون في صلاتهم بالعبرانية ، ولا من النَّمِرِ ، فإنهم كانوا بالجزيرةمجاورين لليُونانية ، ولا من بَكْرٍ لمجاورتهم للنَّبَطِ والفرس ، ولا من أَزْدِ عمان ، لمخالطتهم للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن[١٤] أصلا ، لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولولادة الحبشة فيهم ، ولا من بني حَنِيفة ، وسكان اليَمامة ، ولا من ثَقِيف ، وسكان الطائف ، لمخالطتهم تُجَّار الأمم المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز ؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفسدت ألسنتهم .

والذي نَقَلَ اللغةَ واللسَان العربيَّ عن هؤلاء ، وأثبتها في كتاب ، وصيَّرها عِلْماً وصناعة ، هم أهل الكوفة والبصرة فقط ، من بين أَمْصَارِ العرب[١٥] .

ونقل ذالك أبو حيان في « شرح التسهيل » معترضاً به على ابن مالك حيث عُنِيَ[١٦] في كتبه بنقل لغة لَخْمٍ وخزاعة وقُضَاعَةَ ، وغيرهم ، وقال : ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن[١٧] .

ثم الاعتماد على ما رواه الثقاتُ عنهم بالأسانيد المعتبرة من نثرهم ، ونظمهم وقد دُوِّنَتْ دواوينُ عن العرب الْعَرْباءِ كثيرة مشهورة ، كـ« ديوان امرئ القيس » والطِّرِمَّاح وزهير وجرير والفرزدق وغيرهم[١٨] .

هذه موارد الشواهد النحوية والصرفية عند البصريين الذين كانوا يتشددون في الأخذ والتحمل ، ولا يقبلون كلام من اختلط بالحواضر .

ففي « طبقات فحول الشعراء » ــ ١ : ١٢ ــ : (كان لأهل البصرة في العربية قُدْمَةٌ[١٩] ، وبالنحو ولغات العَرَب والغريب عناية) . انتهى .

أما الكوفيون فقد اعتمدوا علىٰ القبائل التي اعتمد عليها البصريون واعتمدوا على لغاتٍ أخرىٰ أَبَىٰ البصريون الاستشهاد بها ، وهي لهجات سكان الأرياف الذين وثقوا بهم ، كأعراب الحطمية الذين غَلَّطَ البصريون لغتهم ولَحَّنُوها ، واتهموا الكسائي بأنه أفسد النحو ، أو بأنه أفسد ماكان أخذ بالبصرة ، إذ وثق

بهم ، وأخذ عنهم . واحْتُجَّ على سيبويه في المناظرة التي جرت بينهما بلغاتهم[٢٠] .

أما الشعر من كلام العرب فكان النحاةُ عامة ينظرون إليه بدقة وحذر ، ولا يعتمدون إلا على ماثبت عندهم صحةُ نسبته إلى قائله ، وفصاحته ، وصدق راويه ، والوثوق فيه ، وخلوه من الضرورات ، لذلك اشتدت عنايتهم بالرواية وأنواعها وطرقها ، وبصفات الراوي ، وما يجب عليه من الأمانة والصدق ، ونحوها[٢١] .

ويعتمد في تقرير أحكام اللفظ على أشعار الجاهلية ، وهم قبل الإسلام كَأَمْرِئِ القيس وزهير والأعشى .

والمُخَضْرَمين ، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلامَ ، كحسان ولبيد والإسلاميين ، وهم الذين نشأوا في صدر الإسلام ، كالفرزدق وذي الرمة .

وأما المولَّدون ، ويقال لهم : المُحْدَثُون وهم مَنْ بعدهم إلى زماننا ، وتبتديُ طبقتهم ببشار بن برد المتوفَّىٰ سنة ١٦٧هـ[٢٢] ، وأبي نُوَاس ، الحسن بن هانئ المتوفَّىٰ سنة ١٩٨هـ[٢٣] ، فلا يُحْتَجُّ بشيء من أشعارهم في أحكام اللسان .

فالطبقتان الأُوْلَيَان يُستشهد بشعرهما إجماعاً ، وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها[٢٤] .

وكان بشار قد هجا الأخفش ، فأورد الأخفش في كتبه شيئاً من شعره ، ليكفَّ عنه[٢٥] .

وكذالك سيبويه استشهد بشيء من شعرِ بشار ؛ تَقَرُّباً إليه ، لأنه كان قد هجاه ؛ لتركه الاحتجاج بشعره[٢٦] .

واستشهد أبو علي الفارسي في « الإيضاح » : ١٠٢ ، ببيت أبي تمام الطائي ، المتوفىٰ سنة ٢٣١هـ ، وهو قوله :

مَنْ كانَ مَرْعَىٰ عَزْمِهِ وَهُمُومِهِ رَوْضُ الأَماني لم يَزَلْ مَهْزُولا[٢٧]

لأنَّ عَضُدَ الدولة كان يحبُّ هذا البيت ، وينشده كثيراً ، لا لأنَّ أبا تمام يُسْتَشْهَدُ بشعره[٢٨] .

وذهب بعض علماء العربية إلى صحة الاستشهاد بكلام من يوثَق به من المُحْدَثين .

وجَنَحَ إلى هذا المذهب الزمخشريُّ ، فقد استشهد ببيتٍ لِأَبي تمام في أوائل سورة البقرة من « الكشاف » (١ : ٤٣) ، وقال : وهو وإن كان مُحْدَثاً لا يستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فأَجْعَلُ ما يقولهُ بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيتُ الحماسة ، فيقتنعون بذلك ؛ لوثوقهم بروايته وإتقانه .

ونحا هذا النحوَ الرَّضيُّ ، فقد استشهد بشعر أبي تمَّام في عدةِ مواضع من شرحه لـ « كافية ابن الحاجب »[٢٩] .

وجرىٰ على هذا المذهب الشهابُ الخفاجيُّ فقال في « شرح درة الغواص » : أَجْعَلُ ما يقوله المتنبي بمنزلة ما يرويه[٣٠] .

وضُعِّفَ هذا المذهبُ من ناحية أن الرواية تعتمد على الضبط والعدالة . أما الثقةُ بصحة الكلام ، أو فصاحتِه فمدارُها على مَنْ يتكلم بالعربية بمقتضى النشأة والفطرة .

وكيف يُحْتَجُّ بأقوال هاؤلاء المولَّدِيْنَ وقد وقعوا في أغلاط كثيرة ، لا يستطيع أحدٌ تخريجها على وجه مقبول .

فإن ذُكِرَتْ أقوالهم على سبيل الاستئناس به ، ولم تُجْعَلْ دليلاً فلا بأس به .

ولا يُفْتَحُ بابُ الاحتجاج بأقوال المولَّدِيْنَ ؛ كيلا يلزم الاستدلال بكل ما وقع في كلام المُحْدَثِين ، كالحريري وأضرابه ، والحجة فيما رَوَوْهُ ، لا فيما رَأَوْهُ ، وقد خطَّأوا المتنبي وأبا تمام والبحتري في أشياء كثيرة ،كما هو مسطور في شرح تلك الدواوين ، ويرى ذالك بوضوح في كتب النحو والصرف .

وليس بسديد أن تُصَحِّحَ بعض الكَلِمِ أو الأساليب ، استناداً على استعمالات العلماء في مصنفاتهم إن وردت مخالفةً لأساليب العرب في عصور الاحتجاج ، فلكل جَوَادٍ كَبْوَةٌ ، ولكل صارمٍ نَبْوَةٌ .

فما يلفظ به رواة الشعر وعلماءُ العربية لا حجة فيه ، إلاَّ أن تذكَره على وجه الاستئناس ، وأنت مَالِئ يدك بما هو حجة ، أو منتظرٌ لأن تظفر بالحجة .

والفساد في اللغة أسرع إلى ألسنة أبناءِ العرب ، ومَنْ نشأ في بيئتهم منذ وَصَلَتِ الفتوحُ الإسلامية العربَ بالعجم .

وقد ظَهَرَ اللحنُ بجلاءٍ في أواخر عهد الدولة الأموية ، وكان انقراضها سنة ١٣٢هـ .

أما سكان الجزيرة فإنهم ما برحوا على فصاحة اللغة إلىٰ أواسط القرن الرابع .

وأما الخاصة من سكان المدن فبقوا على فصاحة اللهجة إلى أوائل عهد الدولة العباسية[٣٢] .

ونقل ثعلب عن الأصمعيِّ أنه قال : خُتم الشعر بإبراهيم بن هَرْمة ، وهو آخر مَنْ يُحْتجُّ بشعرهم . وقد توفي في خلافة الرشيد سنة ١٧٦[٣٣] .

والذين نشأوا في بيئة عربية لم ينتشرْ فيها فسادُ اللغة انتشاراً يرفع الثقة بفصاحة لهجتها ، يُوثَقُ بأقوالهم ، ولو كانوا في القرن الثالث .

قال ابن جني في « الخصائص » ــ ٢ : ٥ ــ : (باب في ترك الأخذ عن أهل المَدَرِ كما أُخِذَ عن أهل الوَبَرِ) عِلَّةُ امتناع ذالك ما عَرَضَ للغاتِ الحاضرةِ وأهل المَدَرِ من الاختلال والفساد والخَطَل .

ولو عُلِمَ أن أهل[٣٤] مدينةٍ باقون على فصاحتهم ، ولم يعترضْ شَيْءٌ من الفساد للغتهم ، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر .

وكذالك أيضاً لو فشا في أهل الوبر ماشاع في لغة أهل المَدَرِ من اضطراب الألسنة وخبالها ، وانتقاضِ عادةِ الفصاحة وانتشارها ، لوجب رفض لغتها ، وترك تلقِّي ما تَرِد عنها . وعلى ذالك العملُ في وقتنا هذا ؛ لأنا لا نكاد نرى بَدَوِيًّا فصيحاً . وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه ، لم نكد نعدَم ما يُفْسِدُ ذالك ويقدح فيه ، وينال ويَغُضُّ عنه .

والشافعيُّ المتوفَّىٰ سنة ٢٠٤هـ ، نشأ في بيئة عربية ، وهي مكة المكرمة وهو حجة في كلامه وعباراته ، يصح الاستشهاد بما يستعمله من الألفاظ ؛ لأنه يكتب ويتكلم بلغته على سجيته ، ويتخير من لغات العرب ماشاء .

ولقد كان الشافعي فصيحَ اللسان ، ناصعَ البيان ، في الذروة العليا من البلاغة ، تأدب بأدب البادية ، وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر .

قال أحمد : (كلامُ الشافعيِّ حجةٌ في اللغة)[٣٥] .

وقال الأزهريُّ في « إيضاح ما استشكل من مختصر المُزَنيّ » : (ألفاظُ الإمام الشافعي عربية محضة ، ومن عجمة المولدين مصونة)[٣٦] .

وقال المازني : (كلام الشافعي عندنا حجة في النحو) .

وأخرج الحاكم عن الزعفراني قال : (مارأيت الشافعيَّ لحن قط) .

وقالوا : إن كلامَ مالك ــ رضي الله عنه ــ المتوفَّىٰ سنة ١٧٩هـ حجةٌ تثبتُ به القواعد النحوية[٣٧] .

وإنني أعجب كل العجب من بعض النحاة الذين تَبَنَّوا الصدَّ عن الاحتجاج بكلام سيد الخلق محمد ﷺ ، تعللاً بالرواية بالمعنىٰ ، ورواية العجم ، مع أنَّ الدواعي متوفرة لنقل كلامه ﷺ ، والاعتناء به أكثر من جميع الخلق .

وليت شعري ، مَنْ أَوْلَىٰ من رسول الله ﷺ بالاحتجاج بكلامه ؟!

ومَنِ الشافعي ومَنْ مالكٌ ــ رحمهما الله ــ بالنسبة لحامل لواء الرسالة للعالَمِين ؟!

فمهلاً مهلاً يا مفْتُون .

* * *

ولا يجوز الاحتجاج بشعرٍ أو نثر لا يُعْرف قائله ، وعلة ذالك : الخوف من أن يكون لمولَّدٍ ، أو مَنْ لا يوثَق بفصاحته[٣٩] .

فإن روىٰ الشعْرَ عربيٌّ ينطق بالعربيَّة بمقتضىٰ السليقة فيحتجُّ به ، وكان العرب ينشُد بعضُهم شعرَهُ للآخر ، فيرويه عنه كما سمعه ، أو يتصرف فيه علىٰ مقتضى لغته ، ولهذا تكثُرُ الرواياتُ في بعض الأبيات ، ويكون كلّ منها صالحاً للاحتجاج ، كما يُحْتَجُّ بالشعر الذي يرويه من يوثق به في اللغة ، واشتهر بالضبط والإتقان وإن لم يُعْرَفْ قائِلُهُ . وقد تلقَّى علماءُ العربية شواهد كتاب « سيبويه » بالقبول ، وفيها شواهدُ كثيرةٌ لم يُعْرَفْ أسماءُ قائليها ، فإنما يكون الردُّ وجيهاً إذا روىٰ الشعر من لم يكن عربياً فصيحاً ، ولم يشتهر بالضبط والإتقان فيما يسوقه من الشعر على أنه عربي فصيح[٤٠] .

ولا يَغِبْ عنك أنَّ ما نحنُ بصدده من مواردِ العربية خاصٌّ بما يُسْتَشْهَدُ به في النحو والصرف واللغة .

أما ما يتعلق بالشواهد في المعاني والبيان والبديع فإنه يُسْتَشْهَدُ عليها بكلام الشعراء جميعاً ، سواء أكانوا في عصر الاحتجاج أم في غيره .

وإليك ماقاله الأندلسيُّ في « شرح بديعية ابن جابر » : (علوم الأدب ستة : اللغة ، والصرف ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، والثلاثة الأُوَلُ لا يُستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة ، فإنه يُستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين ؛ لأنها راجعة إلى المعاني ، ولا فرق في ذالك بين العرب وغيرهم ؛ إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذالك قُبِلَ من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحتري وأبي تمام وأبي الطيب وهلُمَّ جرا)[٤١] .

ويقول ابن جُني في « الخصائص » ــ ١ : ٢٤ ــ وقد استشهد ببيتٍ للمتنبي :

(ولا تستنكر ذكر هذا الرجل ــ وإن كان مولَّداً ــ في أثناء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه ، ولطف متسرَّبه (؟) ، فإنَّ المعاني يتناهبها المولَّدون كما يتناهبها المتقدمون . وقد كان أبو العباس[٤٢] ــ وهو الكثير التعقب لجِلَّةِ الناس ــ احتجَّ بشيء من شعر حبيب بن أوس الطائي في كتابه في الاشتقاق ، لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه) .

ويقول أيضاً في « المحتسب » ــ ١ : ٢٣١ ــ وقد استشهد ببيتٍ للمتنبي : (ولا تقل مايقوله من ضعفتْ نحيزته[٤٣] ، وركت طريقته : هذا شاعر مُحْدَثٌ ، وبالأمس كان معنا ، فكيف يجوز أن يُحْتَجَّ به في كتاب الله ــ جل وعز ــ ؟ فإن المعاني لا يرفعها تقدُّمٌ ، ولا يُزْري بها تأخُّرٌ . فأما الألفاظ فلعمري أن هذا الموضع معتبر فيها ، وأما المعاني ففائتة بأنفسها إلى مغرسها ، وإذا جاز لأبي العباس أن يحتج بأبي تمام في اللغة كان الاحتجاج في المعاني بالمولَّد الآخر أشبه) .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . .

أبها : د. محمـــود فجـــال
أستاذ النحو العربي المشارك
في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب

مصادر البحث ومراجعه :

ــ « الأعلام » لخير الدين الزركلي ــ الرابعة ــ دار العلم للملايين ١٩٧٩م .
ــ « الاقتراح » للسيوطي ــ تحقيق الدكتور أحمد محمد قاسم ــ الأولى ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م القاهرة .
ــ « الإنصاف في مسائل الخلاف » لأبي البركات الأنباري ــ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ــ الرابعة ــ ١٣٨٠هـ السعادة .
ــ « الإيضاح العضدي » للفارسي ــ تحقيق الدكتور شاذلي فرهود ــ الأولى ــ ١٣٨٩هـ مطبعة دار التأليف بمصر .
ــ « بحوث ومقالات في اللغة » للدكتور رمضان عبدالتواب ــ الأولى ــ ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٢م ــ المدني .
ــ « البداية والنهاية » لابن كثير ــ الأولى ١٣٥١هـ السعادة بمصر .
ــ « البيان والتبيين » لأبي عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ ــ الرابعة ١٣٩٥هـ .
ــ « تاج العروس » لمحمد مرتضى الزبيدي ــ الخيرية ١٣٠٦هـ بمصر .
ــ « الحروف » للفارابي ــ دار المشرق ــ بيروت ــ تحقيق الدكتور محسن مهدي .
ــ « خزانة الأدب » لعبدالقادر البغدادي ــ تحقيق عبدالسلام هارون ــ دار الكتاب العربي ــ القاهرة ١٣٨٧هـ .
ــ « الخصائص » لابن جني ــ تحقيق محمد علي النجار ــ طبع دار الكتب ١٣٧١هـ .
ــ « دراسات في كتاب سيبويه » للدكتورة خديجة الحديثي ــ الكويت ١٩٨٠م .
ــ « دراسات في العربية وتاريخها » لمحمد الخضر حسين ــ دار الفتح بدمشق ١٣٨٠هـ ــ ١٩٦٠م .
ــ « الرسالة » للشافعي ــ تحقيق أحمد محمد شاكر ــ الأولى ١٣٥٨هـ ــ ١٩٤٠م ــ مصطفى البابي الحلبي .
ــ « سيبويه إمام النحاة » لعلي النجدي ناصف ــ عالم الكتب ١٩٧٩م .
ــ « الصاحبي » لأحمد بن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر ــ عيسى البابي الحلبي ١٩٧٧م .
ــ « الصحاح » للجوهري ــ تحقيق أحمد عبدالغفور العطار ــ القاهرة ١٣٧٧هـ .
ــ « صحيح البخاري » طبع إستانبول ــ تصوير دار الفكر .

ـ « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام ـ تحقيق محمود شاكر ـ طبع المدني بالقاهرة ١٣٩٤هـ .
ـ « العربية » ليوهان فك ـ نقله إلى العربية الدكتور عبدالحليم النجار ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .
ـ « فتح الباري » لابن حجر ـ تصوير على الطبعة السلفية .
ـ « فقه اللسان » للسيد كرامت حسين الكنتوري ـ لكنؤ ـ الهند ١٩١٥م .
ـ « فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح » لابن الطيب ـ مخطوط .
ـ « القاموس المحيط » للفيروز أبادي ـ الثانية الحسينية ١٣٤٤هـ .
ـ « كتاب سيبويه » تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ـ الثانية الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ .
ـ « الكشاف » للزمخشري ـ صورة عن طبعة مصرية ـ دار المعرفة ـ بيروت .
ـ « لمع الأدلة » للأنباري ـ تحقيق سعيد الأفغاني ـ الجامعة السورية ١٣٧٧هـ .
ـ « مجالس ثعلب » تحقيق عبدالسلام محمد هارون ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٠م .
ـ « المحتسب » لابن جني ـ تحقيق علي النجدي ناصف وزميلَيْه ـ طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ١٣٨٩هـ .
ـ « المزهر » للسيوطي ـ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميلَيْه ـ عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة .
ـ « مغني اللبيب » لابن هشام ـ تحقيق الدكتور مازن مبارك ، ومحمد علي حمد الله ـ دار الفكر بدمشق ١٣٨٤هـ .
ـ « الموشح » للمرزباني ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٦٥م .

[الحـواشي] :

(١) « البيان والتبيين » ٣ : ٢٩٠ .
(٢) انظر « الصاحبي » : ٢٦ .
(٣) هكذا يسميه « السيوطي » ، وأما النسخة الخطية فتسميه « رسالة الحروف » . انظر المقدمة لرسالة « الحروف » ص : ٣٤ بتحقيق د. مهدي محسن .
(٤) النقد والانتقاد : تمييز الدراهم وغيرها . وقد تكون انتقاءً ، من انتَقَاهُ : اختاره .
(٥) « الحروف » ـ ١٤٧ ـ و « المزهر » ـ ١ : ٢١١ ـ ، و « الاقتراح » ـ ٥٦ ـ و « فيض نشر الانشراح » ـ ١٩٢ ـ خ الرباط . والظاهر أن العبارة تلخيص ماقاله الفارابي ، مع أشياء أضافها السيوطيُّ من معلوماته .
(٦) هو قلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينا ، يقولون : سمعتُ عنَّ فلاناً قال كذا ، يريدون : أن .
(٧) وعجرفية ضبة ، وهي : تقعرهم في الكلام « تاج العروس » ـ ٦ : ١٨٩ ـ .
(٨) هو إبدالهم الكاف شيناً ، يقولو : عَلَيْش بمعنى : عَلَيْك وفي « الخصائص » ـ ٢ : ١١ ـ أنها لربيعة .
(٩) هي أن يصلوا بالكاف سيناً فيقولون : عَلَيْكِسْ ، وفي « مجالس ثعلب » ـ ١ : ٨١ ـ و « الخصائص » ـ ٢ : ١١ ـ أنها لهوازن . وانظر « بحوث ومقالات في اللغة » ـ ٢٢٢ ـ .
(١٠) « المزهر » ـ ١ : ٢١٠ ـ .
(١١) « فتح الباري » ـ ٩ : ٩ ـ .
(١٢) أي الأيات أو السور أو الصحف المحضرة من بيت « حفصة » .
(١٣) « المزهر » ـ ١ : ٢١٣ ـ .
(١٤) المراد بهم العرب النازلون في اليمن من يعرب وقحطان .
«فيض نشر الانشراح » ـ ١٩٧ ـ خ الرباط .

(١٥) « الحروف » ــ ١٤٦ ــ ، و « الاقتراح » ــ ٥٦ : ٥٧ ، و « المزهر » ــ ١ : ٢١٢ ــ ، تَصَرُّفَ السيوطي في العبارة .

(١٦) اعتنىٰ ابن مالك في كتبه بنقل اللغات المذكورة ، وذالك لكثرة اطلاعه ، وسَعَة عارضته . « فيض نشر الانشراح » ــ ٢٠١ ــ خ الرباط .

(١٧) والجواب على أبي حيان : أن « ابن مالك » سار في علوم العربية سيرَ المجتهدين فلا يَرَىٰ فيها تقليدَ أحدٍ ، كما شهد له هو ــ أي : أبو حيان ــ بذلك .
« فيض نشر الانشراح » ــ ٢٠١ ــ خ الرباط .

(١٨) « الاقتراح » ــ ٥٧ ــ .

(١٩) يقال : له في الأمر قَدَمٌ وقُدْمَةٌ ، أي : تقدّم وسبق وأثر حسن بقدمه في إصلاحه . « الصحاح » ــ قدم ٥ : ٢٠٠٧ ــ .

(٢٠) انظر « مغني اللبيب » ــ ١٢٢ : ١٢٥ .

(٢١) « لمع الأدلة » ــ ٨٥ ــ و « المزهر » ــ ١ : ١٣٧ : ١٣٨ ــ و « دراسات في كتاب سيبويه » ــ ٧٣ ــ .

(٢٢) « الأعلام » ــ ٢ : ٥٢ ــ .

(٢٣) « الأعلام » ــ ٢ : ٢٢٥ ــ .

(٢٤) انظر « خزانة الأدب » ــ ١ : ٦ ــ .

(٢٥) « الموشح » ــ ٣٨٥ ــ .

(٢٦) استشهد سيبويه في الكتاب في (باب الإدغام) ــ ٤ : ٤٤١ ــ بمعجز قوله :

فما كلُّ ذي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ وما كلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَبِيبِ

جاء في « رسالة الغفران » : ٤٣١ : (وأصحاب بشار يروون له هذا البيت) ونَسَبَهُ كثيرون لأبي الأسود ، وهو في ديوانه ــ ٣٣ ــ .
وفي كتاب « سيبويه إمام النحاة » ــ ١٥٢ : ١٥٣ مايلي : (وهذا تَقَوّلٌ على سيبويه في شواهده : أنه استشهد بشعر بشار ، لا لأنه كان يرىٰ الاستشهاد به ، ولكن لأنه كان يخافه ، ويتقي مَعَرَّةَ لسانه ، فقد أنكر بشار أن لا يُستشهد به ، وتوعده بالهجاء إن هو لم يفعل ، ويذكرون أن سيبويه اضطر لذالك أن يستشهد بقوله :

وما كل مؤتٍ نصحَه بلبيبِ

وبالرجوع إلى الكتاب نجد هذا الشطر فيه دون نسبة ، فهل تظن أن بشارًا كان يمكن أن يرضىٰ بذالك ، ويجدَ فيه مقنعاً . ـهدأ ثورته ، ويرجع عن هجاء صاحبه ؟ هيهات ؛ لأن أمنية بشار أن يرفعه سيبويه إلى مرتبة مَنْ كان يحتج بهم من الشعراء ، ولا يتحقق ذالك على وجهه إلا إذا استشهد به ، وذَكَرَ اسمَهُ في الاستشهاد .
وليس لسيبويه ما يعتذر به من إغفال اسمه ، فإنه ليعلمن أن الشعر شعره غير منازع فيه ، ثم ما جَدْوَاه من إغفال اسمه إذا هو قبل الاحتجاج به ، فالخطب بعد ذالك يسير . وسيعلم الناسُ الحقيقة حتماً .
ولقد كان الهجاء هيناً على بشار ، بل لقد كان به مولعاً ، وفيه جريئاً ، حتى مايكاد يرقب فيه ذماماً أو يهاب أحداً ، فلعل سيبويه إذا صحت القصة إنما استشهد به للاستئناس ، وحين المذاكرة والدرس .

على أن البيت ليس خالصاً لبشار ، ينسبه إليه ناسٌ ، وينسبه إلى أبي الأسود ناس آخرون ، ورجعت إلى بَائِيَّاتِ بشار في الجزء الأول من ديوانه فلم أعثر على البيت فيه .) اهـ (بتصرف) . وفي كتاب « العربية » ليوهان فك ــ ٥٢ ــ مايلي : (. . . تريد إحدى الروايات أن تعرف أن سيبويه اعتبر شعر

(البنيوية) قد وَأَدَهَا أهْلُهَا
فَلِمَ نَنْبِشُ قَبْرَها ؟!

. . . وقد قرأتُ فيما قرأت في « العرب » س ٢٢ ص ٦٩٣ مقالةً حول كتاب « الخطيئة والتكفير » للأستاذ صالح بن عبدالرحمن الصالح منقولة عن جريدة « الرياض » .

بشار حجة خوفاً من سلاطة لسانه . ولكن الكتاب نفسه يدحض هذه الرواية ، حيث نبحث عبثاً عن اسم بشار فلا نجد له ذكراً . . .) .
وانظر « بحوث ومقالات في اللغة » ـ ٩٨ : ٩٩ .
توسعت في هذه المسألة ، لِتَطَلُّب المقام لها ، لأن سيبويه أولُ واضعٍ لقواعد العربية بشمولية فائقة ، بحيث لم تستطع الأجيال المتأخرة أن تغير شيئاً من أسسه وقواعده .
وسيبويه يرجع دائماً في شؤون الاستعمال اللغوي إلى العرب المتفق على الاحتجاج بهم ، ولا يحيد عن ذالك ، ولا يرهبه التهديد والتنديد .

(٢٧) استشهد أبو علي بالبيت على رفع قوله مَرْعَىٰ محلاً على الابتداء ، و (روضُ الأماني) خبره ، والجملة خبر كان ، واسم كان ضمير عائد إلى المبتدأ الذي هو مَنْ .
(٢٨) « وفيات الأعيان » ـ ٢ : ٨١ ـ ، و « الاقتراح » ـ ٧٠ ـ ، و« خزانة الأدب » ـ ١ : ٨ ـ .
(٢٩) « خزانة الأدب » ـ ١ : ٧ ـ .
(٣٠) انظر « دراسات في العربية وتاريخها » ـ ٣٧ ـ .
(٣١) « خزانة الأدب » ـ ١ : ٧ ـ .
(٣٢) « دراسات في العربية وتاريخها » ـ ١٧٤ ـ .
(٣٣) « البداية والنهاية » ـ ١٠ : ١٦٩ ـ ، و « الاقتراح » ـ ٧ ـ ، و « خزانة الأدب » ـ ١ : ٨ ـ .
(٣٤) وفي « القاموس » (عَكِد) : (أنه جَبَلٌ قُرْبَ زَبيدَ أهلها باقِيَةٌ علىٰ اللُّغَةِ الفصيحةِ) .
وقال شارحه محمد مرتضىٰ الزبيدي في « تاج العروس » ـ ٢ : ٤٢٩ ـ : أي : (إلى الآن ولا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاثة ليال خوفاً على لسانهم) اهـ ووفاة الشارح كانت سنة ١٢٠٥هـ .
(٣٥) « الاقتراح » ـ ٥٧ ـ .
(٣٦) « دراسات في العربية وتاريخها » ـ ٢٧٤ ـ .
(٣٧) « فيض الانشراح » ـ ٢٠٥ ـ خ الرباط .
(٣٨) كابن الضائع المتوفَّىٰ سنة ٦٨٠هـ ، وأبي حيان المتوفَّىٰ سنة ٧٤٥هـ ومن حَذَا حَذْوَهُمَا .
(٣٩) انظر : « الإنصاف » ـ ٢ : ٥٨٣ ـ ، و « الاقتراح » ـ ٧١ ـ .
(٤٠) انظر « دراسات في العربية وتاريخها » ـ ٣٩ ـ .
(٤١) خزانة الأدب » ـ ١ : ٥ ـ .
(٤٢) يريد المبرد ، محمد بن يزيد المتوفَّىٰ سنة ٢٨٥هـ .
(٤٣) طبيعته .

وقد أشارت المقالةُ إلى ما أحدثه كتاب « الخطيئة والتكفير » من البنيوية إلى التشريحية ــ مِنَ الدَّوِيِّ في (الساحة الثقافية) في المملكة العربية السعودية ، وأشار الكاتب إلى أن هذا الكتاب قد فاق غيره من الكتب فيما أحدثه من أثر .

قَرَأْتُ المقالة بِشَوْقٍ ، ذالك أَنِّي كُنْتُ قَدْ قَرَأْتُ الكتابَ من ذِي قبلُ ، فأشاع فِيَّ حَيْرةً ، ودفعني إلى الإحساس بالتعب ، لا لِأَنِّي شَقِيْتُ بِمَادَّتِهِ العلمية العسيرة ، بل إنَّ شقائي به قد تَأَتَّى مِنْ أَنَّ المؤلفَ قد اضْطَرَبَ أَشَّد الاِضْطراب فيما أراد أن يثبته ، وكأَنَّ المؤلفَ يسعى قاصِدًا إلى ضَرْبٍ من الإِغْمَاض ، وهو حين يجد نفسه واضحاً أمام القارئ ينقلبُ سريعاً إلى طريقته في الغموض والإغماض ، وكأنه يخشى أن يعود إلى القارئ الذَّكِيِّ بيانُهُ وفِطْنَتُهُ ، فيفهم أشتاتاً من (الكتاب) .

قَرَأْتُ (الكتابَ) وجَهِدتُّ في الوصول إلى شَيْءٍ منه يَتَّسِمُ بالبيان الواضح ، فحملته على نظائره مثل كتاب « اللغة العربية مبناها ومعناها » وطائفة أخرى من الكتب التي عرضت لما يُدْعى بـ (البنيوية) محمولة حينا على النقد الأدبي الحديث ، فيما يزعم أصحاب هذه الكتب ، وعلى (الألسنية) حينا آخر .

لقد شُغِلْتُ بهذه الكتب من حيث أنها تتصل بـ (علم اللغة) ــ كما يشير هاؤلاء المؤلفون ــ غير أنني لم أَخْرُجْ منها بِزَادٍ مفيد ، ذالك أن طريقة هاؤلاء طريقةٌ خاصَّةٌ ، تُنْكِرُ ما تعارف عليه أهلُ الدرس الجادِّ ، وكأَنَّ الزاد فيها مادَّةٌ ضيلةٌ تَتَّسِمُ بالكفاف .

ولقد شقيت بهذا الدرس الجديد لِعِلْمِي أَنَّ نَفَراً من أصحابه أساتيذُ جامعات ، والْتَفَتُّ إلى أصحابنا الذين أعرفهم ، والذين كان لهم نصيبٌ في الدرس اللغوي ، فوجدت لديهم مثلَ الذي وجدتُّه من حيرة ونصب ، واطْمَأَنَّتْ نفوسُنَا جميعاً إلى أنْ يكون أصحابُنَا العرُب الذين درسوا في الغرب قَدْ عادوا إلينا بزادٍ غير الذي اضطلعوا به في أطاريحهم العلمية ، وكأن « أدب الوزراء » لابن شاذَانَ بِضَاعَةٌ مزجاة ، لا يستطيعون أن يخطفوا بها وبِأَمْثَالِهَا من التُّراثِ العربي

أبصار القراء العرب ، لاسيَّما اؤلئك الذين لا يعرفون لغةً غربية ، ولم يذهبوا إلى الغرب دارِسِيْنَ .

راح هاؤلاء يبحثون في الشعر (الحر) وفي المسرحيات والروايات العربية بعضَ مايعينهم على إدراك (البنيوية) في هذه النماذج الجديدة . لقد اتخذوا من المصطلح الجديد كـ (البنيوية) ــ أو البنائية أو الألسنية ــ ستاراً يُعْيِنُهُمْ على الإتيان بالغموض والإبهام ، نافِرِيْنَ من المناهج العلمية التي درج عليها الدارسون في دراسة اللغة والأدب .

ولا أَتَّجِهُ في عرضي هذا إلى كتابٍ بعينه ، أو مُؤَلِّفٍ بعينه ، ولكني أتكلم في هذا (الجديد) الذي أشار إليه الأستاذ صالح بن عبدالرحمن فأقول : إن كلامي على ماكتبه العرب في هذه المواد ــ ولن أمسَّ الغربيين أمثال (رولان بارت) ولا كتابه « الدرجة الصفر للكتابة » ولا (تودروف) ولا غيرهما ، ذالك أَنَّ هاؤلاء جميعاً مجتهدون ، وصلوا في اجتهادهم إلى آراء ومقولاتٍ أثبتوها في كتبهم ، معتمدين على ما كتبه (فردناند دي سوسير) السويسري في محاضراته التي ألقاها في (جامعة جنيف) سنة ١٩١٢م ومنها أفاد (نومان تشومسكي) الأمريكي فكتب النحو التوليدي والتحويلي ، وآخرون ترسموا خُطَاه .

لقد أُعْجِبَ أصحابُنا الدراسون العربُ الذين توجهوا إلى الغرب طُلَّاباً يدرسون الأدب العربي أو اللغة العربية ، أو الفلسفة الإسلامية ، أو مواد أخرى من العلوم الإنسانية ، لقد عاد هاؤلاء غير حافلين بما درسوا من مواد تتصل باختصاصتهم ، وكتبوا فيها رسائل أجِيْزُوا عليها بلقب (الدكترة) وهو اللقب الذي شقينا به جميعاً ، ولا أريد أن أعرض لشيءٍ من ذالك ، لقد خبرَ أُولو العلم زادَ هاؤلاء فكتب استاذي الجليل الشيخ حمد الجاسر في ضرب من (عبث) هاؤلاء .

ومن عبثِ أَصْحابِنَا هاؤلاء جاءوا ــ وكأنهم اختصوا بعبث بعيد عن رسائلهم التي أفنوا فيها سنواتٍ عدة ــ لقد جاء بعضُ هاؤلاء محاولاً أَنْ يجد (البنيوية) أو الألسنية في (تطبيقه) في شعر فلان أو فلان من أصحاب الشعر الجديد ،

ولا أدري كيف جاز أن يوصف بـ (الحر) ، وزعم آخرون في كتبهم ومقالاتهم أَنَّ النحو العربي يشتمل على الأنماط العديدة من الجمل التي أشار إليها (تشومسكي) .

لقد مضى أحدهم في هذا السبيل فأثبت جُمَلاً تؤدِّي معنى واحداً مُسْتَعْمِلاً التّقديمَ والتأخير ، ظانًّا أن التقديمَ والتأخيرَ لا حدود له ، وأنه قادر على أن يقول :

إلى البستان أحمد وحيداً ذَهَب

كأنه جهلَ أَنَّ في العربية الكلام البليغ ، وهو غير اللغو والعبث .

لقد أساء هاؤلاء إلى الغربيين أمثال (تشومسكي) وغيرهِ كُلَّ الإساءة ، لأنهم جاءوا إلينا يبثُون علمهم ، مرتكبين الخطأ الفاضح ، ولو عرف (تشومسكي) وأضرابُهُ ما سيؤدِّي إليه علمهم واجتهادهم بصنيع أصحابنا وعبثهم لشدَّدُوا النكير عليهم ، لأنهم جهلوا أن لكل لغةٍ نظامَهَا الخاص .

لقد أغفل أصحابنا أَنَّ للعربية قوانين خاصة تجيز شيئاً ولا تجيز أشياء غيره ، فليس لنا أن نتجاوز حدودها في بناء الجملة ، وينبغي ألا يُفَسَّرَ هذا على أن العربية تأبى التطور ، ذلك أن العربية المعاصرة حافلةٌ بالجديد الذي لا نجده في الفصيحة القديمة ، ولكننا توسعنا في الذهاب بالقديم إلى آفاق جديدة .

ثم إنَّنا نرتكب خطأً آخرَ ونحن نأتي بهذه الاجتهادات الجديدة ، ولا نعرف لها وجها في التطبيق ، وذالك لأن هذا الجديد في الغرب لم يصل إلى درجة العلم الثابت ، فتأخذ به معاهدُ الدرس والجامعات ، وهو لا يتعدَّى كونه اجتهاداً ، والدليل على هذا أن بين الغربيين من أهل العلم من يَدْحَضُ هذا الجديد ويردُّه ويبطله ، ألا ترى أن أراء (تشومسكي) واتباعه هي الآن قديمة ، لا يعرض لها الدارسون إلا في السياق التاريخي ، وأنَّ (البنيوية) ــ وهي آخِرُ (صرخة) في عالمنا العربي ــ قد ولىَّ زمانها منذ سنين في الغرب ، أليس لي أن أقول : نُمْتَ وقد أَدْلَج القوم ؟!

ولنعرض لشيء من مذهب هاؤلاء الذين اطلعوا علينا ، نحن الدارسين العرب ، بـ (البنيوية) فأقول :

إن الأدب لدي (البنيويين) بناءٌ لغويٌ أو مجموع من الجمل كما يقول (رولان بارت) . ومن هنا تكون القصة جملة وظائف ، وهي في حقيقة الأمر ــ كما يَرَوْنَ ــ جملٌ نحوية يتصل بعضها ببعض ، بعلائق خاصة تؤدِّي في جملتها إلى مادة النصِّ الأدبي .

ومن هنا يظهر النصُّ الأدبيُّ شاخِصاً في زمانه ومكانه ، و (البنيويون) يُلْغُوْنَ علاقةَ الكاتب أو الشاعر بالنصِّ كما يلغون علاقة النصِّ بالبيئة .

والنص عندهم وحده لا صلة له بالواقع الاجتماعي ، وهو ثابتٌ غير متطور ، ومن هنا يكون النصُّ القديم والنص المعاصر مادَّةً واحدةً في الحقيقة الأدبية .

ومن هنا أيضاً لم يكن من واجب الناقد الأدبي أنْ يَذْهبَ إلى الكشف عن أثر الناحية الاجتماعية في النَّصِّ ، وليس له أن يشيرَ إلى الناحية الجمالية التي حرص الكاتب أو الشاعر أن يوفرها في مادته . وليس له أن يشير إلى الصورة الفنية ، وإلى عنصر العاطفة وعنصر الخيال ، وقد تقول : فماذا يبقى للناقد أن يقول ؟

والجواب : إن الناقد ينظر في النظام الذي ينتظم النص ، أي ماكان في بنيتِهِ الأساسية وعلاقة أشتاته بعضها ببعض .

فَأَيْنَ إذنْ التَّذَوُّقُ الفنيُّ ، والحرص على إبداع الصورة الجميلة ؟!

أقول : لِنَسْأَلَ أصحابَنَا العربَ القائلين بتحليل النصوص في ضوء ما تشير إليه (البنيوية) ــ وهي هذه الصرخة ، أو قُلِ (التقليعة) الجديدة ــ السؤال الآتي :

هل وجدتْ هذه النغماتُ الغربية طريقَها إلى أروقة الدرس الجامعي في الغرب ؟

والجواب عن هذا : لم يحدُثْ شَيْءٌ من هذا ، وبقِي أصحابُ هذا النظر الجديد يُدِيرونه في كتبهم ومباحثهم .

من شعر لبيد بن ربيعة العامري
عن مخطوطة عُمَانية كانت مجهولة

تابعت مستزيداً ومستفيداً ما تنشره مجلة (معهد المخطوطات) عن (المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة) للدكتور رضوان محمد حسين النجار ، الأستاذ في كلية اللغة والأدب العربي في تلمسان ــ الجزائر ــ وحين مَرَّ بي حديثُهُ عن شعر لَبِيْدِ بن رَبيعة العامري ، رأيته استدرك أحد عشر بيتاً ، ستة منها من كتابين معروفين ، وخمسة وردتْ شواهدَ في كتب لغوية سماها الدكتور رضوان .

وكنت قد طالعت « شرح ديوان لبيد » تحقيق أستاذنا الجليل الدكتور احسان عباس الذي نشرته (وزارة الارشاد والأنباء في الكويت) سنة (١٩٦٢م) وقابلته بمخطوطة لشعر لَبِيْدٍ ، تقع في مجموعة دواوين مخطوطة سنة (٩٧٣) محفوظة في (دار المخطوطات والوثائق) في مدينة مَسْقَط في عُمَان ، تحمل الرقم ٢/١٣٣٢ز في فهرس المخطوطات ، وفي تلك المخطوطة مقطوعات من الشعر لِلَبيد لم ترد في

← إذا كان هذا هو الواقع في الغرب ، فلم يُطَالِبُنَا أصحابُنا (البنيويون) أَنْ نُدْخِلَ هذه النغماتِ الغريبة في مناهجنا التدريسية ؟

وكيف لنا أن نصل إلى « العربية مبناها ومعناها » ونحن نجردها من تاريخها وحيويتها ؟

وأنا أختم هذه النبذة فأقول : لم يكن من وكدي أن أعرضَ لهذا الجديد الوافد ، ولم أكنْ قاصداً إلى أن أعرض لفلان أو فلان بالنقد فأتناول كتبهم وما قَمَّشُوْا بالتجريح .

ولا أدري كيف لي أن أعرض للشعر الجاهلي ولا أشير إلى البيئة الجاهلية ، وماكان عليه الجاهليون في عباداتهم وعاداتهم وطرائقهم في حياتهم البدوية والحضرية .

د. إبراهيم السامرائي
جامعة صنعاء : كلية الآداب

ديوانه المطبوع ، وهي تقارب سبعين بيتاً .

رأيتُ من المناسب أن أُعَبِّرَ عن تقديرِي لعمل الأستاذ الدكتور رضوان بتقديمها منشورة ، ولعل فيها مايفيد بعض المعنيين بدراسة الشعر العربي القديم .

أما الأبيات الخمسة التي أوردها الأستاذ رضوان نقلاً عمن استشهد بها من اللغويين فيظهر أن الدكتور اكتفى بالاطلاع على فهرس شعر لَبِيد ، من ديوانه المطبوع ، فالبيت الذي رمز له بـ (ق ٣) من قطعة في خمسة أبيات في المخطوطة (ص ٣٩٨) أورد الدكتور إحسان منها بيتين (ص ٣٥٠) نقلهما عن « تهذيب الألفاظ » و « الأساس » و « اللسان » كما أوضح ذالك (ص ٤٠١) .

والبيتان اللذان رمز لهما بـ (ق ٤) وردا في الديوان المطبوع (ص ٣٥٦) في قصيدة من الرجز تقع في عشرة أبيات نقلاً عن كتاب « الأغاني » ولعل الدكتور احسان لم يذكرها في الفهرس المخصص لشعر لبيد اعتماداً على قول صاحب « الأغاني » : إنها مصنوعة ، والقطعة كاملة في المخطوطة (ص ٣٩٠) .

والبيتان الأخيران هما في المخطوطة (ص ٣٩٥) في مقطوعة تقع في ثمانية أبيات أورد الدكتور احسان منها البيت الثاني (ص ٣٥٢) نقلاً عن « معجم البكري » . أما الأبيات الزائدة على الشعر الوارد في المطبوعة فلم أُشِر إليها ، ومن أمثلتها أن القصيدة اللامية الواردة في المطبوعة (ص ٢٦٩) تقع في ثمانية أبيات بينما هي في المخطوطة (ص ٣٩٤) تقع في أربعة عشر بيتاً مع اختلاف في ترتيب الأبيات والقطعة التي رقمها (٦٦) في المطبوعة (ص ٣٤٩) في خمسة أبيات لكنها في المخطوطة في سبعة أبيات مختلفة الترتيب أيضاً .

وها هي المقطوعات التي لم أَرَ في مطبوعة أستاذنا الدكتور إحسان لها ذكْراً مع ذكر صفحاتها في المخطوطة الْعُمَانية ، وهي كثيرة التحريف ، وقد أوردت ما نقلت منها على علاَّته محرفاً مصحفاً ، لم أهتد إلى صوابه :

[١]

[٣٧٥] وقال لبيد بن ربيعة :

ألا كل شيء ماخلا الله ذاهب وكـل نَعِيْمٍ زائِـلٌ فَمُـجَـانب

وليس لما يعطيك ذُو العرش مانع ... وليس لما ولَّى وَفَاتَكَ طالب
وكل امرءٍ لابُدَّ يوما سَيُبْتَلَى ... بشيءٍ وتُعْرِيهِ الخطوبُ النوائبُ
نوائب من خير وشرّ كِلَيْهِما ... فلا الخير ممدودٌ ولا الشرُّ لازب
ولا خُلْدَ في الدنيا ولكِنَّ متعةً ... كِلَا ذَيْنِكَ الحالَيْنِ غادٍ وآيِبُ
إلى ما قليل ثم يوماً (؟) لنعمة ... ويوم على أصحابه الشر واصب
ترى الناس منهم في المعيشة ذَا غِنى ... ومفتقراً والمرءُ ماعاش دائب
وأَغْنَاهُمَا أَرْضاهما بالذي له ... وكلٌّ له رزقٌ من الله واجب
وأَعْلَمُ أنَّ الله ما يَقْضِ للفتى ... يُصِبْهُ وتَجْلِبْهُ إليه الجوالب
فيارب لاحق حظَّهُ ما سعى له ... ويارب لاحق حَظَّهُ وهو لاعب
وخيرُ الأمورِ المقبلاتُ وإنما ... تَبَيُّنُ من لَبْسِ الأمورِ العواقب
وفي غَابِرِ الأيامِ ما يَعِظُ الفتى ... ولا خير في من لم تَعِظْهُ التجارب
وإني لآتٍ ما أَتَيْتُ وإنَّني ... لما قَارفَتْ نفسي علي لراهب

أورد الأستاذ الدكتور إحسان من هذه القصيدة ثلاثة أبيات هي الرابع والتاسع والأخير (ص ٣٤٩) نقلاً عن كتابي « التاج » و « البارع » .

[٢]

[٣٨٧] وقال لبيد بن ربيعة :

ثكلتْكَ أُمُّكَ انْ قعدت بنا ... ويَدَا أخيك تُقَطِّرَانِ دما
أَفلا تُغِيرُ بفتيةٍ شهدوا ... يَوْمَ السِّتَارِ فأَنْعَمُوا النِّعَمَا
قادُوا الجيادَ من الفُرُوق فما ... تَرَكُوا لِحَيٍّ مُحَرَّمٍ نَعَمَا
ومُحَرَّمٌ قَيْلٌ تُرِبُّ له ... نَجْرانُ والوادي الذي اعتصما
لا تبقين على الْجِيَاد وكُنْ ... كالسيف صَلْتًا ماضِيًا قُدُمَا

[٣]

[٣٩٥] وقال أيضاً يرثي سهل بن مالك :

ألا ذَهَبَ المحافِظُ والمحامي ... ومن يرعى به الأنسُ القيامُ

كـأَنَّ النَّاس مُـذْ فَقَدُوا سُهيـلا بِخَـطْمَـةَ لم يكن لهم نـظامُ
أَغَـرُّ تـفـرَّجُ الـظلماء عنـه كَـأَنَّ جبينـه عضْب حسـامُ

كذا ورد المطلع مُكَرَّراً لمطلع القصيدة ال (٢٧) في المطبوعة (ص ٢٠١) .

[٤]

[٣٩٥] وقال أيضاً :

عدتْكَ العوادِي عن سُلَيْمَي فأصبحتْ تلومكُ فيها قـدْ مضى وتلومُهَا
وفيها اصْطَنَعْنَا من نصيحة بيننا فتلك الأمـور جهلهـا وحليمهـا
ومـا النـاس إلا ذكـرة حنـظليـة تميميـة لا يستـطاع تميـمهـا
وكيف تُرَجِّيْهَا وقـد حال دونها ضبيبـة أَدْنَى دارِهـا فَقَصِيْمُهـا
فَسَلِّ الْهَوَى إنْ كُنْتَ تَنْوِي صَرِيْمَةً بحرفٍ مِنَ الْعِيدِيِّ باقٍ رَسِيْمُها
كَرَبْدَاءَ ناضَتْ من تَنُوفَ عَشِيَّةً لِبَيْضٍ بـأذراءٍ وراحَ ظَلِيمُهـا

[٥]

[٣٩٥] وقال لسهيل بن عامر ملاعب الأَسِنَّةِ ، ولعمرو بن الطفيل ، وجاره معاوية مُعَوِّد الحكماء :

يـا راكبـا إمَّـا عـرضْتَ فَبَلِّغَنْ بني جعفر حَلُّوا لدى كَلِّ موسم
عن الـراكب المتروك آخِـرَ لَيْلِهِ بسفـرتها مـابـين عَـرْوَى وجيهم
دعوتُ سُهيلا خير دعوة عارف وحيـان إذْ غُـودرت بـالمتـوهم
فقلت : انْـظُرَاني ــ لا أبا لأَبِيكُـمَا فـلم يبـقَ إلا حـاجـةُ المتـلوِّم
وذكَّـرْتُ عمـرا بـالأواصرِ بيننـا وما كان من قُرْبَي وقرض مقدم
فمنهن أَنْ نَهْنَهْتُ عن ظهر عامر وذبيـان تتـلوه بـأبيض مِخْـذَمِ
ويوم اصطفى ذو صهركم فرائسكم(؟) تدارك أسبابي لقـاح ابنِ كلثم
ويـوم أَبِي لحيان أدركت تبلكم وانكرت عمرا من علاط وروسم

البيت الثاني ورد في المطبوعة (٣٥٢) نقلا عن « معجم ما استعجم » رسم (عيهم) مع اختلاف في بعض كلماته ، والبيتان الأخير والأول وَرَدَا في « الجيم » ٣٤١/٢ ــ كما ذكر الدكتور رضوان ، وفي بعض الفاظهما مخالفة لما هنا .

[٦]

[٣٩٦] وقال ــ وكان نذر أن لا يسمع نائحة تبكي إلا وبعث نائحة على عمه طفيل بن مالك فبعث أسماء بنت أربد ، فلما سمع لبيد ملقى (؟) على النائحة ، قال :

قولا لنائحةٍ تَقُمْ تتكلمِ تُنَعِّي بأعلا صَوْتِها ابنَ الأكرم
قَيْسَ بن جَزْءٍ خيرَ مَنْ وَطِيَ الحصى صبرا وأَصرْفَ ذِي تُقًى عن مأْثَمِ

[٧]

[٣٩٧] وقال يرثي عقال بن خويلد العقيلي :

لِيَبْكِ عقالاً كلُّ حيٍّ برهوة (؟) لهم ثلة عفر
لو كنت بعض المقفرين لغربت بخَطَمة تبدي في مناكبها الفقر

[٨]

[٣٩٧] وقال يرثي أخاه عامر بن جعفر :

عُودي ولن تُحْصَى منَا قِبُ عامرٍ حتى تعودي
عودي فقولي إنه الـ ـحرَّابُ والركن الشديد
وهو الذي قطع القرا ئن بين مذوَدِّ الخدودِ
وهو الذي جنب الجيا دَ على الْوَجَى من أهل أُوْدِ
رَهْواً كأسراب القطا يجْتَبْنَ بِيْدًا بعد بِيْدِ
ومجرما كانت عليـ ـهم مثل راعية العقودِ

[٩]

[٣٩٧] وقال أيضاً :

انك لو أريت ولن تريه غداة القاع عند لوى الحريم
غداة غدت نفاثة واستجاشت طوائِفَ من سراة بني تميم
وقالوا : لا محالة أن تزولوا لنا عن جامل كالنخل كوم
وعن بيض نواعم آنساتٍ جواريَ مثل غزلان الصريم

فقالوا : ثَأْرُ شَدَّادٍ حُبَيْشٌ فقلنا : مَالِكُ بأبي حَكِيم
فلولاَ شَدَّة لأبي بَرَاءٍ لردُّونا بغير سوى الكلوم

[١٠]

[٣٩٨] وقال في أريكة خادمه ، أخذت يوم فيف الريح :

إنْ تك عامرٌ رثَّتْ قواها فإني واثق ببني زياد
كذي زادٍ متى ما يَكْرُمِنْهُ فليس وراءه ثقة بزاد
مصاعيبٌ مُحَرَّمَةٌ ذُرَاها بِفَحْلٍ لم يُدَيَّثْ باقتعاد
ألا تسعون يا أفناء كلب بحنظلة المُسَوَّقِ في صفاد
هم قسموا النساء بذي أُرَاطَى وأَحْيَوْا قَوْمَهُمْ زمنَ الْفَسَادِ

البيتان الأولان وردا في المطبوعة (٣٥٠) نقلاً عن « تهذيب الألفاظ » و « الأساس » و « التاج » .

البيت الثالث أورده الدكتور رضوان نقلاً عن كتاب « الجيم » : ١/٢٦٧ .

[١١]

[٣٩٨] وقال يرثي عروة بن عتبة :

يا عُرْوَ من للوفد إذْ رأت القرى وانسدَّ بابُهْ
والضيف إذ نزلوا ليلا ووارى الجِبْسَ بَابُهْ
يكفي الزَّلَوَّخَةَ الهَدَا نَ رحيله ثم انتصابه
جبل يلوذ الخائفو ن به فتعصمهم شعابُهْ
والسيد الغمر الذي أَوْدَى ولم تُلْبَسْ ثيابُهْ
لو كان واحدنا أصا بَ الناس أصعلهم نهابُهْ

[١٢]

[٣٩٩] وقال يعني (؟) من بني شداد بن أبي بكر يوم فيف الريح :

لولا فوارس من بقية جعفر ما آب سَبَّى من بني شداد
وعلالة من خَيْلِنا محمودة بين الذِّهَاب وبُرْقَة التوباد
أوصي بهم حكما وليس بغافل عنهم إذا برزوا له بجهاد

[١٣]

[٤٠٢] وقال أيضاً :

ماكنت أخشى على سيدنا نوى عشي ومكان براح
بل كنت أخشى على سيدنا بهلكة القوم وحدِّ السلاح
فجعني الرعدُ بذي أربد عشية الحرب وعند الصباح
ان يشغبوا فهو بهم شاغب أو يجمحوا فهو أشد الجماح
أَرْبَدُ من للحرب إذ شمرت وميسر عند مجال القداح ؟

هذا ما وجدته في المخطوطة أوردته حسب ترتيبه فيها ، ونَقَلْتُ أكثره على عِلاَّتِهِ مُصَحَّفًا مُحَرَّفًا ، كما وَرَدَ في الأصل .

[١٤]

ورأيت في كتاب « شرح الدامغة » للهمداني قطعة منسوبة إلى لبيد تتعلق بخبر عن أسرهِ في نجران ، ولارتباطها بهذا الخبر رأيت ايرادها .

والملاحظ أن في المؤلفات اليمنية أشعاراً منسوبة إلى مشاهير الشعراء لا توجد في دواوينهم التي بين أيدينا كشعر عمرو بن كلثوم وغيره ، ونسبتها بحاجة إلى التثبت وان وردت في مؤلفات علماء أجلاء .

جاء في شرح هذا البيت من « الدامغة » ــ ص ٢٠٠ ــ :

وطوقْنَا الْجَعَافِرَ في لَبِيدٍ بِطَوْقٍ كَانَ عِنْدَهُمُ ثَمِيْنَا

كان أسرهُ يزيد بن عبدالْمَدَان يوم قُتِلَ عبدُالله بن الصِّمَّةِ ــ وقد تقدم ذكر ذلك ــ وسار به إلى نجران ، فأقام عنده مُدَيْدةً ، ثم منَّ عليه وكساه وحمله ، وبعث معه صحابة إلى أرض بني عامر ، فقال لَبيد في ذالك يشكر يزيدَ بن عبدالْمَدَانِ بن الدَّيَّان بن قطَن :

إنْ كنت ساقيةً قوما على كرمٍ صَفْوَ الْمُدَامِ فأسقيها بني قطنِ
قوم إذَا وردوا أَخْلاَ لواردِهِم أَهْلُ المناهلِ صَفْوَ الوِرْدِ والْعَطَنِ
تداركتنيَ أَيْدٍ من فواضلهم والْغِلُّ مِنِّيَ في مستحكمِ الذّقَنِ
فاطلقوني ولو غابت فوارسهم عني لَقِظْتُ بدارِ الهُونِ في قَرَنِ

أنساب الأسر المتحضرة في الأفلاج

[كنت طلبت من الأخ الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله المفلح ، من الجذالين ، من الكثران (وآل كثير) من بني لأم الفرع الطائي المعروف ــ أن يفصّل لي أنساب الأسر المتحضرة في منطقة الأفلاج ، لأضيفها إلى الطبعة الجديدة من كتاب « جهرة أنساب الأسر المتحضرة » فأفضل ــ رعاه الله وادام له الخير والتوفيق بكتابة هذا البحث الضافي في الموضوع ، الذي لاشك أن المعنيّين بهذه المباحث من قراء « العرب » سيستفيدون منه] .

١ ــ آل حسن :

وهم أولاد حسن بن صُهيب بن زايد الدواسر ، انتقلوا من وادي الدواسر في أول القرن الحادي عشر الهجري ، وسكنوا الأفلاج .

وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام هي :

الفِرْجَان وآل عَمَّار والشُّكَرَةَ .

والفِرْجَان : أفخاذهم ثلاثة هي : آل مُنِيْف وآل محمد والْوَبَارِيْن .

(أ) آل منيف أقسامهم ثلاثة هي :

١ ــ آل بازع ، ومنهم آل أبوراس ، وهم أمراء آل حسن في الزمن الماضي .

٢ ــ آل حسين :

ومن آل حسين العجالِيْن ، وينقسمون إلى :

آل عبدالله وآل سعد وآل حمود وآل محمد وهم أمراء ليلى حالياً .

ومن آل حسين : آل حمدان وهم ثلاثة أقسام :

فافخرْ على مَذْحِجٍ ، مَامَذْحِجٌ فَخَرَتْ إنْ لم تَقُلْ مَذْحِجٌ مِنَّا بنُو قَطَنِ
فَإنْ تَقُلْ مَذْحِجٌ مِنَّا بنو قَطَنٍ فاذْهَبْ فأَنْتَ سَليمُ الْجَيْبِ والْبَدَنِ

وقد وردت هذه القطعة مع خبرها في مؤلف يمني لايزال مخطوطاً ، ولم أهتد إلى معرفة مؤلفه ، يسمى « الفاصل ، بين الحق والباطل » في مفاخر قحطان ألف بعد القرن الرابع الهجري ــ انظر مجلة « العرب » (س ٢٠ ص ٦٧٧) عن (الشعر العربي القديم في المؤلفات اليمنية) .

حمد الجاسر

آل حِبْشان وآل شجاع وآل ردعان .

٣ ــ آل حِجِّي ، وهم من سكان لَيْلَى .

(ب) آل محمد من الفرجان : وهم الهواملة ، ويسكنون الفيصلية في لَيْلَى .

وأفخاذهم : (آل هُويدي وآل بدرة وآل خضير وآل رميان والفوارين) .

ومن آل محمد : الصخابرة سكان البديع في الأفلاج ، وأفخاذهم :

آل صويان وآل عفيص وآل سعود وآل مُفَرِّج .

الوبارين من الفرجان : ومنهم الخضران ، سكان المقرن بالأفلاج ، ومن الخضران آل سجوان في ليلى .

آل عَمَّار : من آل حسن أفخاذهم : آل حامد وآل سعد وآل مانع وآل مبارك وتفصيلهم كالآتي :

١ ــ آل حامد (وهم غير آل حامد الأشراف) هم آل نشير وآل غانم وآل قينان وهم يسكنون سيح الأفلاج ،

٢ ــ آل سعد : وهم الشواهين وآل واسط وآل بتير ، وهم من سكان سيح الأفلاج .

٣ ــ آل مانع : وهم الدغمة والسواحلة ويسكنون مروان وسويدان في الأفلاج .

٤ ــ آل مبارك : ويسكنون الروضة في الأفلاج .

الشكرة : من آل حسن : أفخاذهم هي : آل أبو علي والبردة ، والحنابجة والجعاثنة .

أما آل أبو علي فهم آل عفدين ، وآل سفر والهراثمة وآل شنار .

وأما البردة فهم آل مسفر ، ومنهم آل هذَّال وآل وُقَيَّان ، وآل هشام .

ومن البردة أيضاً : آل دُحَيم وآل ظافر وآل ظفر وآل فراج .

ومن آل فراج : آل حفيظ .

والشكرة يسكنون الأحمر في الأفلاج ماعدا آل أبو علي ، فيسكنون البديع الجنوبي بالأفلاج ، وآل حفيظ يسكنون أُسيْلّه (وسيلة) .

٢ ــ آل نابت :

وهم من الغياثات من الصُّهَبة من بني زايد الدواسر .

وقد انتقلوا من وادي الدواسر في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، وهم يسكنون الخرفة في الأفلاج ، وأفخاذهم هي : آل مطلق وآل دِرْع وآل دايل وآل مَخَيْزِيم وآل عامر .

٣ ــ آل خليِّف :

من الوداعين من الدواسر يسكنون الهدَّار بالأفلاج .

٤ ــ الحُقْبَان :

وهم من تَغلب ، وهم يسكنون الصغو في الأفلاج ، وأفخاذهم :

آل خلف وآل جريس وآل هزاع وآل ذِيخان ومنهم آل جابر وهم من سكان ليلى .

٥ ــ المصارير :

وهم من تغلب ويسكنون الهدار بالأفلاج .

٦ ــ الجذالين :

وهم من الكُثْرَان من بني لَام من طيء انتقلوا من الْحَرِيق إلى لَيْلَى في الأفلاج في أواخر القرن الثاني عشر الهجري وأول من انتقل منهم دخيل بن جذلان ، أرسله والده إلى الدرعية لطلب العلم على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ، ثم أرسله الشيخ في أواخر القرن الثاني عشر الهجري إلى الأفلاج مع وفدٍ منهم مرشداً لهم .

والجذالين ينقسمون إلى أربعة أفخاذ هي : آل مفلح وآل فالح وآل دخيل وآل ناصر .

٧ ــ آل فُهَيْدِ :

وهم من آل مغيرة من بني لام يسكنون العمار بالأفلاج وبعضهم يسكن ليلى وأفخاذهم : آل شبيب وآل حبيب وآل تميم وآل صالح وآل عبدالله .

٨ ــ آل بشر :

وهم من آل مُغيرة من بني لام ، ويسكنون الروضة بالأفلاج وأفخاذهم : آل سفر وآل مسفر وآل سفران .

آل كليب :

وهم من آل مغيرة من بني لام ويسكنون في ليلى .

١٠ ــ آل تركي :

وهم من آل مغيرة من بني لام ويسكنون ليلى .

١١ ــ آل رحمة :

وهم من الفضول من بني لام وهم : آل نمشان وآل محمد ويسكنون ليلى وآل مفلح ويسكنون وُسَيْلَةَ (أُسَيْلَة) .

١٢ ــ الخراسين :

وهم من الفضول ، من بني لام ، وهم آل ماضي ، وآل فالح يسكنون وُسَيْلَةَ (أُسَيْلَة) بالأفلاج .

١٣ ــ آل رشود بن سعيد :

وهم من النبطة من سُبيع .

وأفخاذهم ثلاثة هي : آل راشد وآل سعيد وآل رشود بن رشود الذي سُمِّي باسم والده .

ـ آل راشد ـ الأول ـ وهم : آل منصور ، ويسكنون سيح الأفلاج ، وآل عبدالعزيز ويسكنون ليلى بالأفلاج .

ـ آل رشود بن رشود بن سعيد وهم : آل راشد ـ الثاني ـ ومنهم الشيخ : سعود ابن محمد بن عبدالعزيز بن راشد ، وآل دخيل وآل زيد وآل علي .

ـ آل سعيد بن رشود بن سعيد وهم : آل فواز وآل مساعد ، ويسكنون ليلى .

١٤ ـ آل حامد من الأشراف :

وهم : آل دِرْعَان في الروضة ، وآل شَرَف في السيح الجنوبي ، وآل خلف ، وآل إبراهيم في سيح الأفلاج الشمالي .

١٥ ـ آل يحيىٰ :

من آل شيبان من الأشراف يسكنون ليلى .

١٦ ـ آل لِحْيَان :

وهم من الشثور ويسكنون واسط

١٧ ـ آل حمود :

وهم من الشثور ويسكنون ليلى

١٨ ـ آل بصيِّص :

وهم من الشثور ويسكنون ليلى

١٩ ـ آل موسى :

وهم من الحميدات من عبدل من تميم ، ويسكنون ليلى

٢٠ ـ آل عـاتي :

وهم من آل شامر من العجمان ويسكنون ليلى

٢١ ــ آل طِلْحَاب :

وهم من بني عُقَيْل بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة ، ويسكنون البديع بالأفلاج .

٢٢ ــ النُّتَيْفَات :

وهم من جُمَيْلة من عنزة ــ يسكنون الهدّار .

٢٣ ــ آل طلّــة :

من الكُبَرا من جُميلة من عنزة ، يسكنون غرب ليلى .

٢٤ ــ آل محمــد :

من الكُبَرا من جُميلة من عنزة ، يسكنون ليلى .

٢٥ ــ آل عَرْفَج :

من جُمَيلة من عنزة ، ويسكنون وُسَيْلَة (أُسَيْلَة) .

٢٦ ــ آل عبود :

وهم من عنزة ويسكنون الخرفة بالأفلاج .

٢٧ ــ آل جلال :

وهم قبابنة ، ويسكنون الغَيْل بالأفلاج .

٢٨ ــ آل ذِيْب :

قبابنة ، ويسكنون ستارة بالأفلاج .

٢٩ ــ آل غُلَيِّظ :

قبابنة ، ويسكنون حَرَاضَة بالأفلاج .

لغـة الاعــلام :

[من الموضوعات التي اختارها (مجمع اللغة العربية) في دورته الرابعة والخمسين، التي عقدت في شهر رجب سنة ١٤٠٨هـ شباط ١٩٨٨م ــ لكي يحاضر فيها أعضاؤه (لغة الإعلام). وكان مما أُلقي عنها محاضرتان إحداهما للأستاذ الدكتور منير البعلبكي والثانية للأستاذ الشاعر حسن بن عبدالله القرشي .

وترى مجلة «العرب» اطلاع قرائها على بعض جوانب نشاط المجمع في نشر محاضرتي الأستاذين الكريمين في هذا الجزء وفي الذي بعده] .

١ ـ الاعلام واللغة الاعلامية

يُجمع الباحثون، أو يكادون، على أن الإعلام هو سمة العصر الحديث وطابعه المميّز .

وهم ينزعون اليوم ، أكثر فأكثر ، إلى إحلال مصطلح (التواصل)[١] أو (التواصل الإعلامي) محلّ مصطلح (الإعلام) ، لأن منهجية الإعلام الحديث تتخطى مجرد إبلاغ الخبر من طرف واحد لتجعل من العملية الإعلامية ضرباً من التبادل والتفاعل يشترك فيه طرفان اثنان: المُبْلِغ والمُبْلَغ، المُخْبِر والمُخْبَر[٢]، وبكلمة أخرى لتجعل من هذه العملية نشاطاً ثنائيّ البُعد بعد أن كانت من قبل نشاطاً أُحاديّ البُعد .

---

٣٠ ــ آل مطرة :

وهم من آل الْعَرْجَا من يام ، وهجرهم بين ليلى والغيل واسماؤها الرقاشية والنايفية والمودنية .

٣١ ــ الزْهَرَة :

وهم من الحباب ، ويسكنون في هجرتهم في وادي المظل غربي الروضة بالأفلاج .

٣٢ ــ آل عبدان :

من آل سليمان من العجمان ، وهجرتهم الفريشة غربي ليلى .

الأفلاج : عبدالله بن عبدالعزيز المفلح

وإنما يتجلّى ذالك ، أحسنَ مايكون التجلّي ، في الصفة الحوارية التي تطبع عملية الإعلام في يوم الناس هذا . فالإعلام هو الآن أكثرَ منه في أي وقت مضى ، حوار في الصحيفة بين المحرّر والقاريء ، وحوار في الراديو بين المذيع والمستمع ، وحوار في التلفزيون بين الممثل والمشاهد ، وحوار في الجهاز الالكتروني بين دماغ الجهاز ودماغ الإنسان[٣].

١ ـ الاعلام : ماهيته :

ولكن ما هو الإعلام ؟

الإعلام ، أو التواصل ، هو في أبسط معانيه نقل الخاطرة أو الفكرة أو الرأي أو المعلومة أو النبأ من شخص إلى آخر ومن مكان إلى مكان . أو قُلْ هو إشراك الآخرين والاشتراك معهم في المعلومات والأفكار .

والإعلام بهذا المعنى موغل في القِدَم . ولقد غالى بعضهم في التأكيد على قِدَميته فذهب إلى القول إنه ظاهرة عادية عرفتها كلّ المجتمعات منذ قالت حواء لآدم : (طيبة هذه التفاحة) ، وإنه كان ينتقل بصورة فطرية بين الناس من شفة إلى أذن . . . وذالك من طريق المصادفة حيناً ، ومن طريق التجربة الشخصية حيناً ، ومن طريق الرواة والنقلة أو عن طريق التواتر في أكثر الأحيان[٤].

والحقّ أن الإعلام لا يعدو أن يكون، كما يقول الدكتور عبدالعزيز شرف ، (عملية ترامز)[٥] ذالك بأنه يقتضي وجود مصدر يرسل الرمز بوسيلة من الوسائل ، ووجود مستقبِل يعمل على حلّ الرمز وتفسيره ، ثم يبعث برجعه أو صداه إلى المصدر ، وهكذا . . .

والرمز قد يكون إشارة أو راية ، وقد يكون حركة أو نغمة ، وقد يكون طبلاً يُقرع أو ناراً تُضرم ، وقد يكون رسماً في كهف من الكهوف أو حرفاً من الحروف . وكل هذه هي في حقيقتها (لغات) استعان بها الإنسان ــ وهو مخلوق تواصليّ بطبعه ــ على تحقيق تواصليته والعمل على تطويرها وتوسيع مداها لتصبح امتداداً للكلمة المنطوقة أو لغة بمعناها المتعارَف عليه . ومن هنا جاز القول إن

اللغة هي (القاسم المشترك الأعظم بين مختلف عناصر العملية الإعلامية من مرسل ، ومستقبِل ، ورسالة ، ووسيلة اتصال)[٦].

٢ ـ مراحل تطوره :

أ ـ مرحلة التصوير : يُعتبر اهتداء الإنسان البدائي إلى الرسم أولَ مَعْلَم بارز على طريق التطور الإعلامي أو التواصلي . ذالك بأنه استطاع بهذه الوسيلة المستحدثَة أن يسجّل خاطراته وانطباعاته وخلجات فؤاده وحكاية عصره كلها على جدران المغاور التي اتخذها منازل له قبل بزوغ فجر التاريخ المدوَّن بآلاف من السنين مؤلّفة . يدلّك على ذالك أن علماء الآثار اكتشفوا ، عام ١٩٤٠ ، في لاسكو (Lascaux) في الجزء الجنوبي الغربي من فرنسا مجموعة من الكهوف تشتمل على رسوم جدارية ترقى إلى حوالي العام ١٨,٠٠٠ قبل الميلاد ، وهي تصور حيوانات مختلفة ومشاهد رائعة أبدعها الإنسان القديم في ظلمة الكهف الدامسة ، وعلى ضوء مصابيح شاحبة قوامها بعض الطحالب المغموسة في الدّهن[٧].

وفي عهد الفراعنة ابتكر المصريون وسيلة تواصل لغوية رائدة قوامها مجموعة من الرموز التصويرية عُرفت بالهيروغليفية . ولقد اتخذت هذه الرموز شكل أشخاص حيناً وأشكال حيوانات أو أشياء حيناً آخر ، وكان كل رمز منها يمثّل كلمة أو مقطعاً أو صوتاً ، ومن هنا اعتدّها العلماء ابتكاراً مهّد السبيل لاختراع الأبجدية[٨].

ليس هذا فحسب ، بل لقد عُني قدامى المصريين في الوقت نفسه بتصوير مظاهر حياتهم، على جدران المقابر المحيطة بالأهرام ، تصويراً بارعاً يخيِّل معه لزائرها ، كما قال المؤرّخ الشهير جيمس هنري بريستد : وكأن الزمن قد رجع به القهقرى فهو يجوس خلال بيوت المصريين القدامى ويتجول في بلاد وادي النيل لحظةَ كان أهلوه يبنون تلك الأهرام العظيمة[٩].

وبذالك يكون الإعلام ، على حدّ تعبير الدكتور عبدالعزيز شرف ، قد (بدأ

مصوَّراً)[١٠]. وإذا أخذنا بعين الإعتبار ما حقّقه الإعلام في عهد التلفزة والأقمار الصناعية من انتصارات باهرة جاز لنا أن نضيف إلى هذه الملاحظة الصائبة قولنا : (وانتهى مصوَّراً) .

وبذلك أيضاً يكون الإعلام قد عرف ثورته الأولى ، وهي ثورة كان سلاحها الرسم .

ب ــ مرحلة الكتابة : أما مرحلة التطور الإعلامي الثانية فهي مرحلة الكتابة التي بدأت مع اختراع الحرف . وإنما يُعزى الفضل في هذا الإختراع إلى الفينيقيين الذين طوروا الهيروغليفية المصرية ، وابتكروا حوالي العام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، أبجدية فذة قَصَروها على عدد محدود من الرموز، أو الحروف ، التي يمثل كل منها صوتاً بسيطاً . ومن العلماء من يعتقد أن الأبجدية الفينيقية نشأت من محاولات أبجدية ساميَّة أبرزها الكتابة المعروفة بالسينائية الأم (Proto-Sinaitic) التي ترجع إلى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد .

وأياً ماكان ، فليس من شك في أن اختراع الأبجدية قد مكّن الإنسان من اختزان المعلومات والمعارف ونقلها إلى الأجيال المتعاقبة، مستعيناً على ذالك بالنقش على الطين والحجر والخشب أولاً ، ثم بالتدوين على ورق البرديّ والرقوق ، ثم بالكتابة على الورق آخر الأمر . ولعل أعظم ثمرة من ثمرات هذا التطور ظهور (الكتاب) بوصفه وعاء للمعرفة، وأداة للتثقيف ، ووسيلة لنشر الفكر الإنساني على مستوى العالم كلّه، من غير اعتبار لقيود الزمان أو المكان. وفي هذا الصدد يقول مرشال ماكلوهان (Marshall McLuhan) إن الكتاب قد أسهم في خلق الروح الوطنية ، وتحرير كثير من القوى الإجتماعية ، وساعد على تعميم التعليم وتطوير الصناعة والتجارة[١١].

وبذالك يكون الإعلام قد عرف ثورته الثانية ، وهي ثورة كان سلاحها الحرف .

جـ ــ مرحلة الطباعة : يُعتبر نشوء الطباعة المرحلة الثالثة من مراحل التطور الإعلامي . وإنما كان ذالك ، أول ماكان ــ وتلك حقيقة تغفل عنها أقلام الكثرة

الكاثرة من الباحثين ــ في القرن الثاني للميلاد عندما شرع الصينيون ينقشون النصوص الدينية على الحجر ثم يحبّرون السطوح المرتفعة ويأخذون عنها عدداً من الطبعات (impressions) . حتى إذا أطلّ القرن السادس للميلاد عرفوا الرواسم أو الكليشيهات الخشبية . ولعل أقدم أثر مطبوع بهذه الطريقة كان صلاة بوذية طُبعت على روسم خشبي حوالي العام ٧٧٠ للميلاد[١٢].

هذا بالمعنى التاريخي للمصطلح ، إذا جاز التعبير . أما الطباعة بمعناها المتعارَف عليه اليوم فقد وُلدت على يدي جوهان غوتنبرغ الذي اخترع الطباعة بالحروف المنفصلة في ما بين عام ١٤٣٦ وعام ١٤٣٨ . ومنذئذ انتشرت هذه الطريقة المستحدثة في أوروبا وشاع استخدامها بعد ذالك في أرجاء العالم كله .

وتُعتبر مطبعة بولاق التي أنشأها محمد علي باشا في مصر ، عام ١٨٢١[١٣] أعظم المطابع الرائدة في الوطن العربي ، وكانت قد سبقتها إلى الظهور مطبعة أوروبية أُنشئت في (فانو) من أعمال إيطاليا ، برعاية من الكنيسة الكاثوليكية ، ولا يزال لدينا من إصدارها كتاب صلاة يرجع تاريخ طبعه إلى العام ١٥١٤[١٤]، ومطبعة دير مار يوحنا الصابغ التي أنشأها في الشوير الراهب اللبناني عبدالله الزاخر المتوفي عام ١٧٤٨[١٥] والمطبعة التي نهبها نابوليون بونابرت من الفاتيكان وحملها معه إلى القاهرة عام ١٧٩٨[١٦].

ولقد كان من آثار اختراع الآلة الطابعة انخفاضٌ في كلفة إنتاج الكتاب ، وتكاثرٌ في عدد النسخ المتداولة من الكتاب الواحد (وانتقالُ هذا العدد من مقام العشرات والمئات إلى مقام الآلاف والملايين)[١٧]، وتوسُّع في إنشاء المدارس ودُور التعليم ، وتسارعٌ في انتشار المعارف على نطاق واسع لم يكن للإنسان عهد به من قبل . وهكذا تحقّقت ديموقراطية الثقافة بعد أن أصبحت في متناول الناس على اختلاف طبقاتهم ولم تَعُدْ وقفاً على فئة منهم صغيرة . هذا على المستوى العالمي . أما في أوروبا ، مهد الآلة الطباعية ، فقد أدى (نمو صناعة الكتب وازدهار تجارتها وتكاثر عدد مؤسسات الطباعة إلى ضعف احتكار الكنيسة والأديرة للمعرفة والعلوم ، مما جعل الطريق ممهَّداً أمام حركة الإصلاح الديني)[١٨].

وبذالك يكون الإعلام قد عرف ثورته الثالثة ، وهي ثورة كان سلاحها الآلة الطابعة .

د ــ **مرحلة الصحافة** : الصحافة ، في الأساس ، صناعة جمع الأنباء ، وإبداء الرأي فيها ، وتقديمها إلى الناس بطريقة تعتمد اعتماداً كبيراً على الصورة الممثِّلة للحدث ، وذالك على صفحات نشرة بخسة الثمن يومية الصدور في الأعم الأغلب . وقد اتسع مفهوم الصحافة في العصر الحديث فأخذت الصحف اليومية تُعنى ، إلى جانت الأخبار ، بأشياء أخرى غير الأخبار ، فأفردت زوايا من صفحاتها ، أو صفحاتٍ كاملةً منها ، للمقالات الإقتصادية والإجتماعية والدينية والفلسفية والتاريخية والأدبية والعلمية والنقدية والفنية والرياضية وغيرها ، وعُنيت فضلاً عن هذا بالتعليق على الأحداث وبإجراء مايُعرف بـ (الحديث الصحفي) و(التحقيق الصحفي) وما إليهما . ولكن العنصر الأبرز في الصحيفة اليومية يظل برغم ذالك عنصر الخبر[١٩].

والصحف ليست كلها يومية . فهناك صحف تصدر أسبوعياً ، وصحف تصدر شهرياً ، وأخرى تصدر فصلياً . وهذه هي المجلات .

والمجلّات بعضها ثقافيّ عامّ يحمل إلى قرائه قصصاً وقصائد ومقالات سياسية أو أدبية أو اجتماعية أو علمية مدروسة وموثّقة وطويلة النفس عادة . وبعضها مقصور على حقل من حقول المعرفة فهو لا يقدّم إلى قرائه غير المقالات والبحوث الداخلة في نطاق تخصصه .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان نقل الأخبار يتم ، منذ أقدم العصور ، من طريق الشفة أو من طريق المراسلة . حتى إذا اختُرعت الآلة الطباعية في القرن الخامس عشر غدا نقل الأخبار وقفاً على الصحف في المقام الأول . وإذا كان من المرجَّح أن تكون أول نشرة إخبارية مطبوعة قد ظهرت عام ١٤٥٧ للميلاد فإن الإجماع منعقد على أن صحيفة «فرانكفورتر جورنال» (Frankfurter Journal) التي صدرت عام ١٦١٥ ، وكانت أسبوعية ، هي أولى الصحف الأوروبية العصرية ، وأن صحيفة «ويكلي نيوز» (Weekly News) التي صدرت عام ١٦٢٢ ، وكانت

أسبوعية أيضاً ، كما يدل على ذالك اسمها ، هي أولى الصحف الانكليزية على الإطلاق . أما أولى الصحف العربية فكانت «الوقائع المصرية» التي أنشأها محمد علي باشا في القاهرة عام ١٨٢٨[٢٠].

والكلام على الصحافة لا يكتمل إلا إذا أشرنا ، ولو إشارة عابرة ، إلى وكالات الأنباء . ذلك بأن هذه الوكالات تقوم بجمع الأخبار التي تمس الصالح العام ، وتعمل على تزويد صحف العالم بأفضل سرد ممكن لأهم الأنباء الداخلية والخارجية[٢١]، ومن هنا اعتُبرت دعامة أساسية من دعائم الصحافة المعاصرة ، وجزءاً لا يتجزّأ من بنيتها التحتيّة .

وبفضل وكالات الأنباء هذه ، وفضل التقدم المتسارع الذي حققته الطباعة والتطور المذهل الذي شهدته وسائل التواصل السلكية واللاسلكية والإلكترونية في السنوات الأخيرة تمكنت الصحافة من إحراز الانتصار تلو الانتصار سواء على صعيد التوزيع وسعة الإنتشار ، أو على صعيد الإخبار والتثقيف ، أو على صعيد التوجيه والتنوير ، أو على صعيد الإمتاع والتسلية ، أو على صعيد تكوين الرأي العام . ومن هنا أمست وسيلةَ الإعلام الجماهيرية الأولى ، وكان لها دور كبير في تعزيز ديموقراطية الثقافة .

والواقع أن الصحافة ، كما يقول الأستاذ عبداللطيف حمزة : هي (مرآة الأمّة ، ولسانها الناطق بأفكارها وآرائها ، ورغباتها وحاجاتها ، وآلامها وآمالها)[٢٢]. وهي إحدى القوى ذات السلطان في دروة الحياة الحديثة ، ومن أجل ذالك عُدَّت السلطةَ الرابعة في الدولة ، أي السلطة التي هي في حوزة جميع القوى السياسية والتي تجسد ، إلى حد ما ، كل القوى الشعبية التي تعتبر نفسها غير ممثَّلة بالسلطات الثلاث التقليدية : التشريعية والتنفيذية والقضائية[٢٣].

ليس هذا فحسب ، بل لقد ذهب برنار قُوَيَنْ (Voyenne) إلى أبعد من ذالك فاعتدها السلطة الأولى على اعتبار أنها تمثل تيارات الرأي ، والرأي ــ وبخاصة في الأنظمة الديموقراطية ــ هو الذي يجسد قِيَم المجتمع ويفرض ذاته على المشترع ، وعلى السلطتين التنفيذية والقضائية أيضاً[٢٤].

هذا ، وعن الصحيفة المطبعية انبثقت الصحيفة السينمائية ، والصحيفة الإذاعية ، والصحيفة التلفزيونية . ولن ينقضي غير وقت قصير حتى تصبح الصحيفة الإلكترونية في متناول الناس جميعاً[٢٥]. وليس هذا بعجيب البتّة . أما أصبحت بعض الصحف الكبرى تُطبع ، اليوم ، بين قارة وأخرى من طريق التواصل الفضائي[٢٦]؟

وبذالك يكون الإعلام قد عرف ثورته الرابعة ، وهي ثورة كان سلاحاها الجريدة والمجلة .

هـ ــ مرحلة الإذاعة : وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عرف العالم وسيلة إعلام جديدة نقلت التواصل من المرحلة المكتوبة إلى المرحلة المسموعة ، وساعدت على (تصغير) العالم ، إذا جاز التعبير ، وربط بعض أجزائه ببعضها الآخر . ولم تكن هذه الوسيلة الجديدة غير المذياع أو الراديو .

وإنما أُنشئت أُولى محطات الإذاعة ، في العالم ، في الولايات المتحدة الأميركية ، عام ١٩٢٠ . ومنذئذ انتشرت هذه المحطات في مختلف الأقطار وأصبح المذياع وسيلة تواصل جماهيرية تنقل الصوت ، كلاماً كان أو نغماً ، إلى ملايين المستمعين في كل مكان . حتى إذا اختُرع الترانزستور غزت الإذاعة كل زاوية من زوايا الأرض ، وبخاصة في بلدان العالم الثالث ، وغدا في ميسور الناس أن يستمعوا إلى برامج الإذاعات المحلية والعالمية وهم في منازلهم أو في مكاتبهم أو في طريقهم إلى العمل أو خلال تنزّههم في الحدائق العامة . . .

ليس هذا فحسب ، بل لقد حل المذياع في كثير من الأحوال محل الجرائد والمجلات ، سواء أكان ذالك على صعيد الإخبار أو على صعيد الإمتاع وإن لم يوفَّق إلى حمل الناس على الاستغناء عن الجريدة أو المجلة ، وكاد يحل محل الكتب كوسيلة تثقيف وتوعية .

والحق أن المذياع قد عمل على تعزيز ديموقراطية الثقافة التي انبثقت مع اختراع الطباعة ونشوء الصحافة ، وذالك من خلال ما راح يقدمه إلى مستمعيه ، على اختلاف طبقاتهم ، وبصرف النظر عن كونهم متعلمين أو أميين ، من أحاديث

أدبية ودينية وعلمية ومن برامج ثقافية أو تعليمية ميسَّرة . ولعل هذا هو الذي حمل الدكتور طه حسين على اعتبار الإذاعة والتلفزة من العوامل التي تعوق الثقافة ، ودفعه إلى القول بأنه كان يظن أن الراديو سيكون أداة صالحة لنشر الثقافة والمعرفة في أعماق الشعوب فإذا به يؤدي إلى عكس ماكان يُرجى منه . ذالك لأن الإذاعة تريد أن تصل إلى طبقات الشعب على اختلاف حظوظها من المعرفة ، وهي من أجل ذالك مضطرة إلى أن تصطنع اليسر والسهولة لتبلغ هذه الطبقات المختلفة التي تتفاوت حظوظها من المعرفة . . . وإذا اعتمدت الإذاعة على السهولة واليسر اضطرت إلى تجنب المعرفة الرفيعة والثقافة العميقة والواسعة[٢٧].

وأياً ماكان فقد وُفِّقت الإذاعة إلى الفوز برضا الجماهير العريضة بفضل هذا اليسر نفسه الذي يأخذه عليها الدكتور طه حسين ، والذي لولاه لا نفضّ الناس من حولها كما ينفضّون اليوم من حول البحوث المعمَّقة والكتب الموضوعة لخاصة المثقفين دون عامتهم .

وبذالك يكون الإعلام قد عرف ثورته الخامسة ، وهي ثورة كان سلاحها الصوت .

و ــ مرحلة التلفزة : ولم ينقض على اختراع المذياع غير ربع قرن حتى اختُرعت ، في مابين عام ١٩٢٣ وعام ١٩٢٤ ، وسيلة تواصل جماعية جديدة عُرفت بالتلفزة ، وقوامها تحويل مشهد متحرك ومايرافقه من أصوات إلى إشارات كهربائية ثم نقل هذه الإشارات وإعادة تحويلها من طريق جهاز الاستقبال إلى صورة مرئية مسموعة[٢٨]. ومن هنا اعتُبرت خطوة على طريق الإعلام متقدمة على المذياع أو الراديو ، إذ جمعت بين الصوت الذي هو ميزة الراديو وبين الصورة التي هي ميزة السينما ، ومتقدمة على السينما أيضاً لأنها عبارة عن شاشة سينمائية صغيرة تقدّم إلى المرء ضروباً من الأفلام المشوِّقة ، فضلاً عن آخر أنباء العالم وصنوف البرامج التثقيفية والترفيهية ، وهو مسترخٍ في منزله ، لا يغادره إلى دور السينما كلما حلا له أن يشاهد مايُعرض على شاشاتها الكبيرة من ذالك كله .

وسرعان ماغزا التلفاز في الأربعينات من هذا القرن الكثرة الكاثرة من البيوت

وبعض المعاهد والمؤسسات في كثير من بلدان العالم وأصبح علامة فارقة تميّز الحياة المعاصرة وضرورة لا يُستطاع تصوّر المدنية بدونها .

وكما ظُنّ ، في باديء الأمر ، أن المذياع سوف يغني الناس عن الجريدة أو المجلة ثم قام الدليل على أنه أعجز من ذالك فكذالك ظُنّ في أول عهد الناس بالتلفزة أنها سوف تلغي الإذاعة أو تسد مسدها ، ولكنّ تعاقب الأيام مالبث أن خيّب هذا الظن وأثبت أنه كان مجرّد وهم كبير .

هذا ، وقد خطت التلفزة في السنوات القليلة الماضية ، بفضل التقدم التكنولوجي الحديث ، خطوات واسعة إلى الأمام ، فأصبح في إمكان الإعلاميين أن ينقلوا برامجهم التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية ، وأخذَ بلايين الأشخاص يشاهدون في ساعة واحدة ، وفي اللحظة عينها ، هبوط أول إنسان على سطح القمر ، ويحضرون الألعاب الأولمبية ، ويشاركون في اللقاء بين شخصيتين عالميتين في أي مكان من العالم[٢٩].

وبذالك يكون الإعلام قد عرف ثورته السادسة ، وهي ثورة كان سلاحاها الصوت والصورة .

٣ ـ أهميته ومستقبله :

تلك هي أبرز معالم التطور الإعلامي وأهم وسائله ، منذ العهود السابقة للتاريخ المدوَّن حتى الآن . فإذا أضفت إلى الوسائل التي تحدّثنا عنها وسائل أخرى لم يتّسع مجال البحث للكلام عليها ، كالمنبر (الخطبة والمحاضرة والمناظرة) والمسرح والسينما والإعلان والعقل الإلكتروني أدركت أي مقام يحتلّه الإعلام في دنيا الناس ، وأيقنت أننا نعيش اليوم في عصر متميّز هو (عصر الإعلام) بعد أن عشنا منذ إطلاق أولى المركبات الفضائية (عصر الفضاء)[٣٠].

وسواء أصحَّ هذا أم لم يصحَّ فإن الإجماع منعقد على أهمية الآثار التي أحدثها الإعلام في حياتنا المعاصرة ، وهو ما يتجلى لنا من قول مارشل ماكلوهان إن وسائل الإعلام قد حوّلت العالم إلى (قرية عالمية Global village) صغيرة[٣١]، ومن

نظريته الشهيرة التي ذهب فيها إلى القول إن كل وسيلة إعلامية جديدة ، من تلك الوسائل التي أشرنا إليها ، هي امتداد تكنولوجي لحاسّةٍ بعَيْنها من حواس الإنسان . فالطباعة التي نشرت القراءة هي امتداد لحاسّة الإنسان البصرية ، والإذاعة التي عمّمت الصوت هي امتداد لحاسة الإنسان السمعية ، والتلفزة التي أشاعت الصوت والصورة معاً هي امتداد للحاستين البصرية والسمعية ، والعقل الإلكتروني الحافظ للمعلومات والمحلّل لها هو امتداد لذاكرة الإنسان وفكره[٣٢] .

ويتوقع الباحثون أن يشهد الإعلام ، عمّا قريب ، مستجدات جديرة بأن تغيّر وجه الحياة الإنسانية . ومن هنا قالوا إن التعليم في البيت سيحل محل التعليم في المدرسة ، وإن عملية تكوين العقول وإعدادها لمواجهة الحياة ستعود مرة أخرى ، ولكن على مستوى أرفع بكثير ، إلى المنزل ، وبذالك يمكن الاستغناء عن التعليم النظامي الذي يتلقّاه الطلاب في المدارس على اختلافها[٣٣]، وقالوا أيضاً إن المنزل سوف يصبح مركزاً إعلامياً ثنائيَّ التحرك ، فيتلقّى ساكن المنزل الجريدةَ التي يريدها ، إلكترونياً أو تلفزيونياً ، ويتبادل الآراء مع محرريها ، ويختار البرنامج التلفزيوني أو الإذاعي الذي يفضّل ، ويبعث بالتعليقات الفورية إلى مخرج ذالك البرنامج ، ويتسلّم الكترونياً صفحة الكتاب التي يحتاج إليها من المكتبة من غير أن يغادر منزله ، ويجري مناقشة إلكترونية تلفزيونية مع جيرانه وأعضاء ناديه وكلٌّ منهم ملازم داره ، ويخاطب بجهاز هاتفي فضائي مخصوص كلَّ من يشاء وهو يشاهده وكأنه جالس معه[٣٤] .

وإذا اعتبرنا أن مراحل التقدم الإعلامي قد تمّت على نحو متسارع، بمعنى أن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الأولى (مرحلة التصوير) والمرحلة الثانية (مرحلة الكتابة) قد نيّفت على ستة عشر ألف عام ، وأن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة (مرحلة الطباعة) بلغت نحوا من ثلاثة آلاف عام ، في حين أن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الخامسة (مرحلة الإذاعة) والمرحلة السادسة (مرحلة التلفزة) لم تزد على ربع قرن . . . أقول إذا اعتبرنا هذه الصفة التسارعية التي طبعت تاريخ تطور الإعلام حقَّ لنا أن نكون على مثل اليقين من أن

المستجدّات المستقبلية التي يتوقّعها الباحثون سوف تصبح حقيقة ملموسة بأسرع مما نتصور ، وربما خلال سنوات معدودات لا تزيد على أصابع اليدين .

١ ــ اللغة الإعلامية : طبيعتها ومزاياها :

إن مهمة الإعلاميّ ، سواء أكان صحافياً أو إذاعياً أو مشتغلاً في حقل التفلزة ، تقتضيه أن يواجه الجمهور يوماً بعد يوم ، ليطلعه على أنباء الساعة ، أو ليحلّلها له ، أو ليبدي رأيه فيها . وكثيراً ماتقتضيه مهمته النهوض بأعباء أخرى كالإقناع والتوجيه والتثقيف ، والتعبير عن موقف سياسي أو اجتماعي أو عقائدي معيّن ، والعمل على تجسيد آمال المجتمع وتطلعاته ، فضلاً عن الإمتاع والمؤانسة وما إليهما .

وهذا الجمهور الذي يخاطبه الإعلاميّ جمهور عريض تتفاوت أعمار أفراده وحظوظهم من الثقافة والمعرفة . ففيه الكبير وفيه الصغير ، وفيه الطالب وفيه المعلِّم ، وفيه الأديب وفيه المهندس والطبيب ، وفيه ذو الثقافة الرفيعة وفيه نصف المثقف بل والأمّي في بعض الأحيان ، وكلٌّ من هؤلاء يتوقّع أن تكون الوسيلةُ الإعلامية ، مفصَّلةً على قياسه ، وأن ترتفع (أو أن تهبط) إلى مستواه ، والإعلاميُّ في حيرة من أمره لا يدري من يُرضي ومن يُغضب .

وإذْ كان من هَمِّ الإعلاميّ أن يوصل رسالته إلى هؤلاء جميعاً ، وإذْ كانت لغة الإعلام لغة تواصلٍ في المقام الأول ، فقد تعيَّن عليه أن يراعي مختلف المستويات والمدارك ، فلا يقول كلاماً يعجز بعض من جمهوره عن فهمه ، ولا يصطنع بياناً يعجز بعضه الآخر عن تذوقه . وهذا ما حمل الدكتور إبراهيم إمام على القول : إن الإعلاميّ مضطر إلى افتراض إنسان متوسط الثقافة يوجّه إليه إعلامه[٣٥] .

وقد توسع الدكتور عبدالعزيز شرف في الكلام على هذه النقطة فقال ما خلاصته : إن وسائل الإعلام ، في سعيها الدائب لاجتذاب أكبر عدد ممكن من القراء أو المستمعين أو المشاهدين ، تتوجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمّع حولها أكبر عدد من الناس ، ونادراً ما تكون هذه النقطة هي أدنى المستويات .

وإن رؤساء تحرير الصحف درجوا على توجيه المندوبين الناشئين إلى ذالك الشخص الذي يحرّك شفتيه عندما يقرأ ، يعني إلى الشخص الذي يمثّل أدنى مستوى ثقافي بين قراء الصحف ، وإذا كان هذا الشخص قادراً على فهم الأخبار الصحفية فإن القراء الذين يفوقونه ثقافةً قادرون على ذالك . وإنه لمّا كانت وسائل الإعلام تخاطب قارئاً أو مستمعاً أو مشاهداً افتراضياً فليس عجيباً أن تفتقد روحَ الألفة التي تسود عند الإتصال بشخص واحد . فالتقرير الذي تنشره صحيفة عن حدثٍ ما ، يفتقد كثيراً من الألفة التي يتميز بها خطاب يرسله صديق إلى صديقه عن هذا الحدث[٣٦].

وتفاوُت أعمار الأفراد وحظوظهم من الثقافة والمعرفة ليس وحده ما يَحْكُم لغة الإعلاميّ وأسلوبه ، فثمة عوامل أخرى تحكم هذه اللغة وذاك الأسلوب . ومن أبرز هذه العوامل (آنيّة) الخبر اليومي الذي يشكّل مادة الإعلام . ذالك بأن هذه الآنيّة ترسم للإعلاميين حدوداً لا يستطيعون أن يتخطوها ، وهذه الحدود تُلزمهم باصطناع أسلوب في الكتابة لا يحتمل الحذلقة والتقعّر والزخارف اللفظية .

ليس هذا فحسب ، بل إن هـذه الصفة الآنيّة ، التي تطبع النشاط الإعلامي تفرض على العاملين في هذا الحقل قيوداً من نوع آخر لا يفرضها الإنشاء الأدبي أو العلمي أو الفلسفي أو الفني على أصحابه . فالأديب ، كما يقول الدكتور محمد حمد خضر : حر في أن يكتب في يومه عن أمسه السحيق لغده البعيد . وكذالك العالم والفيلسوف والفنان . أما الصحافي فمُلْزَم أن يكتب في يومه عن يومه وليومه . أي أنه يكتب اليوم عن أحداث اليوم لقراء اليوم ، ولا محلّ في عمله للتأجيل ولا مجال للهروب من الماضي[٣٧]. وهذا مايجعل الإنشاء الإعلامي متّسماً بطابع السرعة والاستعجال ، والسرعةُ والاستعجالُ عدوّان لدودان للتدبّر والتعمّق .

وإذْ كان نقلُ الأخبار والتعليق عليها يحتِّم الالتزام بالواقعية والموضوعية فقد تعيَّن أن تتّسم لغة الإعلاميين بالطابع الواقعي والموضوعي . وفي هذا المعنى يقول الدكتور إبراهيم إمام : إن التحرير الإعلامي تحرير موضوعي يبتعد عن الذاتية

التي يتّصف بها الأديب مثلاً . فالأديب يُعْنَى بنفسه ، ويقدم لنا ما يجول في خاطره ، ويسجّل ما يراه وفقاً لرؤيته الخاصة وبرموز تنم عن ثقافته وعقليته . وهو في هذا الصنيع يصف النفس الإنسانية ويتعمّق أسرارها ويكشف عن حسناتها ومساوئها ، ويكون لأوصافه صدًى في نفوس القراء من كل جنس ، وفي كل عصر ، ما داموا قادرين على قراءته وفهمه والاستفادة منه . فالأديب حرّ في اختيار ما يقول والقراء أحرار في قراءة ما يكتب الأديب[٣٨]. أما الإعلامي فلا يعبّر ، كالأديب ، عن أفكاره وتجاربه الخاصة . إنه يعبّر في المقام الأول عن أفكار المجتمع وتجاربه[٣٩].

وفي هذا أيضاً يقول الدكتور محمد حمد خضر : إن الكاتب الإعلامي لا يسخِّر قلمه لوصف مظاهر الطبيعة أو رسم طبائع البشر ، أو تصوير خلجات النفس أو التعبير عن الانفعالات الوجدانية إلا إذا كان من شأن ذالك كله أن يؤدّي إلى تكثيف الطاقة المحرّكة للرأي العام نحو الهدف الإعلامي المطلوب[٤٠].

ويقول في موضع آخر: يحقّ للأديب والفنان والفيلسوف أن ينقلوا كلاماً عن أشخاص غير موجودين في الواقع يخترعهم الخيال وتولّدهم التصوّرات . . . كما يحق للأديب أن يستنطق الحيوان ، وأن يُحيي الجماد ، وأن يخلط بين الواقع والحلم . . . وليس للصحافي من هذا كله شيء ، فهو مُلْزَم بنقل وقائع الحياة الموضوعية بصورتها الحقيقية بأكثر ما يمكن من الدقة وأكمل ما يكون من الموضوعية[٤١].

وعلى ضوء هذه الملاحظات كلها نخلص إلى القول إن للإعلام لغته الخاصة التي تختلف عن لغة الأدب ولغة الشعر ولغة العلم . ذالك بأن لغة الأدب ذاتية في المقام الأول ، ولغة الشعر مجنَّحة بالرؤى والأخيلة ، ولغة العلم مثقلة بالمصطلحات الفنية والأسماء العلمية ، أما لغة الإعلام فتتميّز أول ما تتميز بالواقعية والموضوعية ، وتتّسم ــ أو يجب أن تتّسم ــ بالبساطة ، والوضوح ، والسلاسة ، والإيجاز ، والمرونة ، والحَرَكية ، والنفاذ المباشر ، والقدرة على الإمتاع ، فضلاً عن السلامة من الناحيتين الصرفية والنحوية .

وتجدر الإشارة ، في هذا المقام ، إلى أن أسلوب الإنشاء الإعلامي يختلف باختلاف الوسائل والمؤسسات الإعلامية . فهو في الصحافة غيره في الإذاعة أو التلفزة ، وهي في مجلة «تايم» غيره في مجلة «نيوزويك» . ليس هذا فحسب ، بل إن أسلوب الإنشاء الإعلامي يتفاوت تبعاً للمادة الإعلامية ذاتها ، ضمن الوسيلة الإعلامية الواحدة ، فهو في الخبر غيرُه في التعليق ، وهو في الصفحة الأدبية أو العلمية غيره في الصفحة الرياضية أو الفنية أو الإمتاعية ، وهكذا .

وسنحاول في مايلي أن نلقي نظرة عجلى على واقع لغة الصحافة العربية وواقع لغة الإذاعة والتلفزة العربيّتين .

٢ ــ لغة الصحافة :

كانت الكتابة العربية في القرن التاسع عشر مكبَّلة بأغلال التقليد ، رازحة تحت أثقال السجع ، غارقة في لُجَج الجناس والطباق وما إليهما . وكانت برغم ذالك كله مهلهلة النسج ، هزيلة المضمون ، بعيدة كل البعد عن سحر البيان العربي وروعته . ولقد كان طبيعياً أن ينعكس ذالك على لغة الصحافة منذ اليوم الأول لنشوئها فتنجرف في تيار السجع ، وترسف في إسار الضعف ، وتتردّى في مهاوي التكلّف ، وتعوزها جودة السّبك ، كما نرى في افتتاحية العدد الأول من جريدة «الوقائع المصرية» التي أنشأها محمد علي باشا في القاهرة عام ١٨٢٨ والتي تُعتبر أقدم الصحف العربية على الإطلاق[٤٢] .

قال محرر «الوقائع»: الحمد لله باري الأمم ، والسلام على سيد العرب والعجم . أما بعد ، فإن تحرير الأمور الواقعة مع اجتماع بني آدم ، المتدبّجين في صحيفة هذا العالم ، ومن ائتلافهم وحركاتهم ، وسكونهم ومعاملاتهم ، ومعاشراتهم التي حصلت من احتياج بعضهم بعضاً ، هي نتيجة الانتباه والتبصّر بالتدبير والإتقان ، وإظهار الغيرة العمومية وسبب فعّال منه يطّلعون على كيفية الحال والزمان[٤٣] .

وقد دفعت هذه الحقيقةُ أحد الغيارى على العربية إلى أن ينشر عام ١٨٨٦ في أحد أعداد مجلة «المقتطف» مقالاً شكا فيه من ركاكة الأسلوب الصحافي كما

يظهر في ما كان يُترجم من اللغة التركية وبعض اللغات الأجنبية الأخرى ، مقدِّماً على ذالك أمثلة كثيرة ، داعياً إلى درء هذه المفاسد ، ونبذ الكلام الركيك الفاسد ، وذالك بمطالعة كتب أئمة البيان العربي القدامى[٤٤].

ولئن كانت الصحافة قد وفقت ، بعد انقضاء فترة يسيرة ، إلى التغلب على هذه الركاكة وعلى غيرها من مواطن الضعف ، إلا أنها عجزت على التفلت من قيود السجع الثقيلة . ولعل خير دليل على هذه الواقعة افتتاحية العدد الأول من صحيفة «لسان الحال» الصادرة في بيروت عام ١٨٧٧ ، أي بعد صدور «الوقائع المصرية» بخمسين سنة تقريباً . قال محرّر «اللسان» : الحمد لله الذي يسبِّح بحمده في الغدوّ والآصال ، وينطق مُفْصِحاً بتعداد آلائه لسانُ الحال ، حمداً يدوم آناء الليل وأطراف النهار ، ما غرّد قُمْرِي وترنّم هزار[٤٥].

وبالإضافة إلى السجع ، لم تستطع الصحافة العربية في ذالك العصر التخلص من المبالغة الممجوجة ، والإطراء الرخيص المتمثل أكثر ما يكون بإسباغ الألقاب الطنانة على من تتحدث عنهم . ومن الأمثلة على ذالك قول جريدة «وادي النيل» لمناسبة صدور مجلتين بيروتيتين هما «الزهرة» ليوسف شلفون المتوفي عام ١٨٩٠ و«الجنان» للمعلم بطرس البستاني المتوفي عام ١٨٨٣ : وكلتاهما من الطرافة والكياسة ، وعظم الفائدة والنفاسة ، في درجة عالية ، وهيئة حالِيَة ، وكأنهما فتاتان من الجزر الأوروبية ، وقد بدتا في كنائس نصرانية ، متجملتين بمآزر مشرقية عربية ، أو برانس مغربية . . . إحداهما تُنشر باسم «الزهرة» بتأليف وإدارة الأديب الأريب ، والكاتب اللبيب ، والآخذ من الكتابة بمجامع الفنون ، المدعو بيوسف الشلفون . . . والثانية تظهر باسم «الجنان» ، جمع جنّة ، بقلم وإدارة المؤلف اللطيف ، والمصنف المتقن الظريف ، أصمعي هذا العصر الثاني ، المشهور باسم بطرس البستاني ، مع شبله الشاب الفهيم ، المعروف كذلك باسم سليم[٤٦].

وماهي غير فترة قصيرة حتى تحررت الصحافة من السجع نفسه بعد أن استشعرت أنه قيد ثقيل يحدّ من حركتها ، ويتعارض مع ديناميتها ، ولا ينسجم

مع رسالتها كوسيلة إعلام جماهيرية يتعيّن عليها أن تخاطب الناس بأسلوب يتمشّى مع روح العصر الذي وُصف في تلك الفترة بعصر السرعة ، فإذا بنا نقرأ كلاماً جديداً لم تألفه الصحف من قبل ، كلاماً مرسلاً رقراقاً لا يتكلّف السجع ولا يضحّي بالمضمون على مذبح التأنق اللفظي والمحسنات البيانية . ومن ذالك قول منشئ «المقتطف» يعقوب صروف المتوفي عام ١٩٢٧ في وصف قصر من قصور البندقية (فينيسيا) : أما مقاصير هذا القصر ومافيها من الصور والتحف فمما لا يُستوفى وصفه إلا في مجلد كبير ، لأن أعظم مصوّري البندقية ونقاشيها أفرغوا جهد صناعتهم وغاية ماوصل إليه حذقهم في نقشها ، فزينوها بالصور التاريخية والخيالية والنقوش والتماثيل ، إلى أن يقول في كلامه على إحدى هذه المقصورات : وقد وقفت في هذه المقصورة ساعة من الزمن حائراً مدهوشاً . ولا أدري ممّ دهشتي ــ أمن اتساعها الفائق ، أم من كثرة صورها ، أم من بديع الوانها وإحكام رسمها ، أم من صورة الفردوس فيها ؟ ولقد وددتُ لو أن الساعة صارت شهراً ، وعيني صارت منظاراً ، حتى أنعم النظر في كل صورة ومشهد وأستخلص تاريخ هذه المدينة العظيمة من صُوَر قصرها[٤٧].

وليس أدل على (جوهرية) هذا التطور من مقارنة وصف منشئ «المقتطف» لذالك القصر بوصف معاصره السيد محمد توفيق البكري المتوفي عام ١٩٣٢ لقصر مماثل من قصور فيينا وفيه يقول : وصلتُ إلى ذالك القصر ففُتح الباب ، وكُشف الحجاب ، فإذا جنّة وخرير ، وملك كبير ، ودنيا في دار ، وليل ونهار ، ووجوه تشرق ، وحلى تبرق وسقوف من مرمر ، وأرض من عرعر ، وكأن كل سقفٍ لوح مصوّر ، وكل أرض روض منوّر . . . وقام على الأركان تماثيل وتصاوير ، وأنصاب وقوارير ، فكأنما الدار زُوْن (أي موضع تُنصب فيه الأصنام) ، أو معرض فنون . . . وتدلّت الثريات كأنها أشجار مفتّحة الأنوار وكأن أقباسها آذان جياد ، أو عيون جراد ، أو قِطَع أفلاذ ، أو صفائح فولاذ[٤٨].

ومع ذالك فإن لغة الصحف لم تَنْجُ من نقد كبار اللغويين الذين تتبعوا سقطاتها وعملوا على تصحيح مغالطها . ولعل أشهر هؤلاء الشيخ إبراهيم اليازجي الذي

نشر في مجلة «الضياء» مقالات متتابعة عنوانها (لغة الجرائد). وقد صدرت هذه المقالات في مابعد في كتاب يحمل الاسم نفسه ، وذالك في القاهرة عام ١٣١٩ للهجرة . وقد قدم لهذا الكتاب بالقول: إننا لا نزال نرى في بعض جرائدنا ألفاظاً قد شذّت عن منقول اللغة فأُنزلت في غير منازلها أو استُعملت في غير معناها ، فجاءت بها العبارة مشوّهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السَّبك فضلاً عما يترتب على مثل ذالك من انتشار الوهم والخطأ ، ولا سيما إذا وقع في كلام من يوثق به فتتناوله الأقلام بغير بحث ولا نكير[٤٩].

والواقع أن كثيراً مما أورده اليازجي في كتابه هذا يظلّ محلّ خلاف بين العلماء لأنه استند في رفضه إياه إلى مجرد القول إن كتب اللغة لم تنصّ عليه ، وكأنَّ كتب اللغة قد نصّت على كلام العرب كله ، أو وكأن كتب اللغة القديمة مفروض فيها أن تنصّ على ماقضت ضرورات هذا العصر باستخدامه . ومع ذالك فمن المفيد أن نورد هنا نماذج من الأخطاء التي سردها لأنها تلقي الضوء على بعض عثرات الأقلام في زمن اليازجي ولأن عدداً غير يسير من هذه الأخطاء لا يزال يتردد صداه في صحفنا ومجلاتنا حتى يوم الناس هذا .

قال صاحب «لغة الجرائد»: ويقولون: غصن يانع أي نضير أو رطب ، وكذا زهرة يانعة وروض يانع ، ولا يأتي (ينع) بهذا المعنى ، إنما يقال ثمر يانع وينيع ، أي ناضج ، وقد ينع الثمر وأينع إذا أدرك وحان قطافه...[٥٠].

ويقولون: ذهب الرجلان سوية ، أي ذهبا معاً . وإنما السّوية بمعنى السّواء . يقال قسموا المال بينهم بالسوية ، وهذا حكم لا سوية فيه ، وهي النَّصَفة والعدل...[٥١].

ويقولون: هو يسعى لنوال بغيته، وإنما النوال بمعنى العطاء ، أي الشيء الذي يعطَى ، وليس بمصدرٍ لنالَ ، والصواب لنيل بغيته...[٥٢].

ويقولون: نيّف وعشرون ديناراً ، فيقدمون النيّف ، والمسموع تأخيره . يقال عشرون ونيف ، ومئة ونيف...[٥٣].

ويقولون: هو مدمن على هذا الأمر ، أي مواظب عليه ، مديم لفعله ،

والصواب ترك الجارّ لأن هذا اللفظ يتعدّى بنفسه. . .[٥٤].

ويقولون: عوّدته على الأمر ، وتعوّد عليه ، واعتاد عليه ، والصواب حذف الجارّ في الكلّ. . .[٥٥].

ويقولون: رأيته أكثر من مرة ، وجاءني أكثر من واحد . والظاهر أن هذا التعبير منقول عن التركيب الأجنبي . والعرب يستعملون لفظ غير . يقولون : رأيته غير مرة وجاءني غير واحد ، لأن غير الواحد لا بدّ أن يكون اثنين فما فوق. . .[٥٦].

ويقولون: رجل ثوروي على مثال فوضوي ، أي من أصحاب الثورة ، وهم ثورويون . ولا وجه لزيادة هذه الواو قبل ياء النسبة وكأنهم يتجافون عن أن يقولوا ثوريّ لئلاّ يلتبس بالمنسوب إلى الثور ، على أن الثور لو فطنوا مشتق من الثَّورَان ، لأنه يثور أو لأنه يثير الأرض فالشركة حاصلة على كل حال. . .[٥٧].

وأيا ماكان ، فقد خطت اللغة الصحافية ، منذ عهد الشيخ اليازجي ، خطوات واسعة على طريق الصحة والنصاعة وحسن البيان، ووضعت ألفاظاً لم تكن ، كالسيَّارة والدرّاجة والمُجهر والهاتف والمِنْطاد ، واشتقّت صيغاً من بعض الأسماء مثل قَوْلَبَ من القالب ، وموّل من المال ، وبرمج من البرنامج ، وقنّن من القانون ، وعَلْمَنَ من العلمانية ، وطوّر من الطَّوْر ، وعلّب من العلبة ، ومصّر من مصر ، ولَبْنَنَ من لبنان ، وقيّم من القيمة ، وجدولَ من الجدول ، واستجوب من الجواب ، واستشرق من الشرق . وليس هذا فحسب ، بل لقد وفّقت ، فضلاً عن ذالك كله ، إلى مخاطبة جماهير الشعب في غير ما ابتذال أو إسفاف ، وإلى التعبير عن حاجات العصر مستوعبة خلال ذالك كلّ جديد في ميادين الفكر والعلم والاجتماع .

وإذا صحّ أن البلاغة ، كما عرّفها بعض شيوخنا القدامى ، هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ، فعندئذ يكون في ميسورنا أن نزعم أن لغة الصحافة قد بلغت اليوم مرتبة صالحة من البلاغة . وهذا ما أكّد عليه نقيب الصحافة اللبنانية ، محمد البعلبكي ، بقوله : إن لغة الصحافة العربية بوجه

الإجمال لغة فصيحة يندر فيها الخطأ اللغوي ، سواء من حيث قواعد النحو أو من حيث تركيب الجملة ، بل إنها لغة ترتفع في بعض المقالات إلى درجة البلاغة ، بكل مافي البلاغة من تحسين وإبداع[٥٨].

والحق أن الصحافيين المعاصرين لم يرتقوا بلغة الصحافة إلى مرتبة من البلاغة صالحة فحسب بل ارتقوا من طريق ذالك بلغة الناس اليومية أيضاً ، فهذّبوا حاشيتها ، وأثروها بطائفة من الألفاظ والصيغ التي ابتكروها أو روّجوا لها ، وهكذا جرت على الألسن كلماتٌ وتعابير مستحدثة مالبثت أن أصبحت جزءاً لا يتجزأ من اللغة المحكية . ومن الأمثلة على ذالك قولهم : السيّارة ، والدرّاجة ، والقطار ، والقاطرة ، والمدمّرة ، وجواز السفر ، وتأشيرة الخروج ، وتذكرة الهوية ، وحظر التجول ، وصفارة الإنذار ، والهاتف ، والبرقية ، والديموقراطية ، والدكتاتورية ، والأرستوقراطية ، والبورجوازية ، والاشتراكية ، والشيوعية ، والتعاونية ، والمأساة ، والكارثة ، والمهزلة ، والتطبيع ، والتصنيع ، والتطويع ، والتعليب ، والبرج العاجي ، وغزو الفضاء ، والقمر الصناعي ، والمركبة الفضائية . وقولهم : (وضعه في الصورة) ، و(بدأ العدّ العكسي) و(فاوض من موقع القوة) ، و(فقدت الدولة مصداقيتها) ، و(أعطاه الضوء الأخضر) ، و(شدّ الحزام) ، و(عضّ على جرحه) ، و(انطوى على نفسه) و(لعب ورقة الصراع الطائفي) ، و(أحصى عليه أنفاسه) ، و(خرج عن طوره) ، و(خرج من جلده) ، و(دفع الثمن غالياً) ، و(ذرّ الرماد في العيون) ، و(دقّ ناقوس الخطر) ، و(توترت العلاقات) ، و(تكهرب الجوّ) ، و(قرأ مابين السطور) ، و(دخل التاريخ من أوسع أبوابه) ، و(على مستوى العاصمة أو الجمهورية) الخ[٥٩] .

وهذه الملاحظة تقودنا إلى ثلاث ملاحظات متلازمة معها :

أولها أن الصحافة قد أنزلت الأدب من برجه العاجي ووَسَمَتْه بسِمَةٍ ديموقراطية جديدة ، فتعايش مع الناس وعُني بمعالجة قضاياهم اليومية والمصيرية .

والثانية أنها أعادت العربية إلى أصالتها بوصفها لغة أدب وعلم وحضارة بعد أن أحالتها عصور الانحطاط إلى لغة أدب وبديع وبيان ليس غير .

والثالثة أنها أغنت المعجم العربي بما استحدثه رجالها من تعابير فرضتها عليهم الأحداث الجارية أو حملتهم على ابتداعها ضروراتُ الترجمة عن مصادر الأنباء أو عن موارد المعرفة من كتب ومجلات علمية وموسوعات عامة[٦٠] فقالوا: سياسة المحاور، وسياسة اللاعنف، وسياسة النعامة، وسياسة فرّق تسد، وسياسة الحياد الإيجابي وسياسة التمييز العنصري، وسياسة الاقتصاد الحرّ، وسياسة الاقتصاد الموجّه، وسياسة التهدئة، وسياسة الحافة أو سياسة حافة الهاوية[٦١]، وسياسة شدّ الحزام . . .

وقالوا: الحرب الخاطفة، والحرب الباردة، وحرب الإبادة، وحرب الإذاعات، وحرب الإشاعات، والحرب بين الإخوة، وتوازن القوى، وتوازن الرعب، والتوازن الاستراتيجي، والغارات الجوية الوهمية، والانتفاضة الشعبية . . .

وقالوا: المقاومة السلبية، والعصيان المدني، والتعايش السلمي، وحقوق الإنسان، والحقوق المدنية، وعواصم القرار، والإرهاب الدولي، وحمّام الدم، وبؤر التوتر . . .

وقالوا: العالم الثالث، والإصلاح الزراعي، والأمن الغذائي، وبنك الدم، وإصلاحية الأحداث، والآثار الجانبية، واستطلاع الرأي، وناطحات السحاب، والضريبة التصاعدية، والحاسبة الإلكترونية أو الدماغ الإلكتروني، والعدّ العكسي، وغزو الفضاء، والقمر الصناعي، والمركبة الفضائية . . .

وقالوا: حقّ النقض، والعملة الصعبة، والقطع النادر، والروتين الحكومي، ومجّانية التعليم، وديموقراطية الثقافة، ومسرح الدمى، ومسرح اللامعقول، ومسرح العبث، ودواليب الحظّ، ومحكمة التاريخ، والبنية التحتية، والتكامل الاقتصادي، والتبادل الثقافي، والمدرسة النموذجية، والحلقة الدراسية، وقصر الثقافة، وبيت الطلبة، والمدينة الجامعية، والمدينة الصناعية، والمدينة الرياضية، ومدينة الملاهي، ومدينة الأشباح . . .

وقالوا: قصيدة النثر، وعروس المدن، وفتاة الغلاف، وملكات الجمال، والجريدة الناطقة، وكاميرا الأخبار، ومجلة المجلات، ومجلة التلفزيون، والأسلوب البرقي، والرقص التعبيري . . .

وقالوا: عقدة النقص، وتنازع البقاء، وبقاء الأصلح، والصراع بين الطبقات، والمدارس الأدبية، والمجامع العلمية، والجماعات الأصولية، وموضوع الساعة، وساعة الصفر، ومقبرة المشاريع . . .

وقالوا: المعدن الأصفر، والذهب الأسود، والضوء الأخضر، والخط الأحمر، والكذبة البيضاء، والانقلاب الأبيض والثورة البيضاء، والسوق السوداء . . .

ويحسن بنا قبل الانتقال إلى الكلام على لغة الإذاعة والتلفزة أن ننصّ على أن الصحافة كان لها أكبر الفضل في نشوء فنّ (المقالة) الحديث، وذالك لحاجة الصحف والمجلات إلى معالجة مختلف الموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والفلسفية والتاريخية وغيرها في فصول مركّزة لا تحتلّ من صفحاتها غير حيّز محدود. والحق أن (المقالة) استقطبت نفراً من كبار كتّاب العصر، فانبروا إلى امداد الصحف والمجلات بفيض خواطرهم ووحي أقلامهم. وقد جُمع كثير من ثمرات هذا النشاط الخصب في كتب قيّمة أضافت إلى الأدب العربي ثروة جديدة.

٣ ــ لغة الإذاعة والتلفزة:

إن ماذكرناه عن لغة الصحافة ينطبق انطباقاً شبه كامل على لغة الإذاعة والتلفزة. ولا عجب، فقد بدأ الإعلام المسموع (الإذاعة) والإعلام المسموع المرئي (التلفزة) من حيث انتهى الإعلام المقروء، بمعنى أنهما لم يكونا في حاجة إلى تجشّم مشاقّ الرحلة الطويلة التي تعيّن على الصحافة القيام بها لكي تكتشف لغتها المميزة. ومن هنا اتسمت لغتهما الفصحى، منذ البدء، بالبساطة والوضوح والإيجاز والمرونة والنفاذ المباشر والقدرة على الإمتاع، فضلاً عن السلامة النسبية من الناحيتين الصرفية والنحوية.

نقول السلامة (السلامة النسبية) لأن مستوى لغة الإذاعة والتلفزة يبدو لنا دون مستوى لغة الصحافة . وهذا الهبوط في المستوى لا يتأتى دائماً عن ضعف في النصوص المكتوبة ، فالنصوص قد تكون خالية من الشوائب في كثير من الأحيان ، ولكنه يتأتى عن ضعف في الأداء ناشئٌ في أسوأ الأحوال عن أميّة بعض المذيعين ــ وبخاصة في حقل التلفزيون اللبناني ــ وفي أحسن الأحوال عن ضآلة حظوظهم من الثقافة اللغوية .

ذالك بأن لِلغة الإذاعة والتلفزة ، بخلاف لغة الصحافة ، وجهين اثنين: وجه الكتابة ، ووجه التلاوة . وهذا ما فصّله نقيب الصحافة في لبنان محمد البعلبكي في قوله : إن ماقد يختفي وراء الحرف المطبوع في الصحافة ينكشف على لسان المذيع أو المتحدّث في الإذاعة والتلفزيون . . . وإن أبرز ماتعانيه اللغة العربية في هذا المجال هو ما اتصل بمخارج الحروف من حيث التفخيم والترقيق ، وما اتصل أيضاً بلجوء المذيعين إلى اعتماد تسكين أواخر الكلمات باستمرار ، مما يُنْبِئُ عن جهل ويؤدّي إلى تقطيع الجُمَل تقطيعاً يُفسد المعنى أو يؤذي بلاغة الأداء ، حتى إذا أقلع المذيع عن التسكين وقع في أخطاء نحوية من مثل خفض المنصوب أو نصب المرفوع أو تأنيث المذكر وتذكير المؤنث ومختلف الضمائر العائدة إليهما[٦٢] .

وقريب من ذالك قول فيكتور سحاب في كتابه «أزمة الإعلام الرسمي العربي»: وفي هذا النطاق يدخل أمر تحريك أواخر الكلمات . ذالك أن عجز معظم المذيعين عن التحريك السليم ألجأهم إلى اتباع أسلوب بشع في الإلقاء يقضي أن يسكّنوا آخر كل كلمة ويقطعوا انسياب الجملة التي يجب أن تكون متصلة بفضل الحركة في آخر كل كلمة . . . وفي هذا النطاق أيضاً يدخل أمر التفخيم والترقيق . ومعظم المذيعين الآن لا يعرفون أيّ الحروف تفخّم وأيها ترقق[٦٣] .

وقوله في موضع آخر: إن مذيعينا توقفوا منذ ردح من الزمان عن السعي إلى اللفظ السليم والتحريك الصحيح ، بل توقفوا عن التحريك على الإطلاق ، فقطعوا الكلام كلمة كلمة . . . وفقدوا الحسّ بالإيقاع العربي للكلم ، والتنغيم السليم للجملة . . . وفي الماضي لم تكن تلك هي حال الإعلام الرسمي . كنا

نستمع إلى مذيعين هم أشبه بالأدباء منهم بالنمط الذي نعرف اليوم . لقد نما حجم الإعلام وعظم شأنه ولم يواكب ذالك نماء في كفاءة العاملين فيه ، بل أدّت الحاجة إلى الكثرة إلى التساهل في المعايير[٦٤] .

ويتجلى ضعف المذيعين اللغوي في مجالات غير هذه أيضاً . ذالك أن نفراً غير يسير منهم يجهل في الأعم الأغلب معاني الحروف ومواضع استعمالها ، ولا يميز بين همزة القطع وهمزة الوصل فهو يصطنع الأولى حيث ينبغي أن تُصطنع الأخرى ، ولا يراعي أحكام العدد ، ولا يكسر همزة (إن) بعد فعل القول ، ولا يكلّف نفسه عناء ضبط عين الفعل من طريق العودة إلى المعجم .

هذا فضلاً عن بعض الأخطاء المفردة التي يرتكبونها عادةً ، من مثل قولهم (احتَضر) بدلاً من (احتُضر) ، وقولهم (اضطُرّه الأمر إلى كذا) بدلاً من (اضطَرّه الأمر إلى كذا) يتوهمون أن هذا الفعل لا يأتي بغير صيغة المجهول البتّة ، وقولهم (مزّقه إرباً إرَباً) بدلاً من (مزّقة إرْباً إرْباً) ، ومن عجب أن اليازجي نبه على هذا الخطأ في كتابه «لغة الجرائد» منذ مئة عام على وجه التقريب ، ومع ذالك فلا تزال طائفة من المذيعين تقع فيه ، وقولهم (عن كَثْب) بدلاً من (عن كَثَب) ، وقولهم (الأزَمة) بدلاً من (الأزْمة) ، وقولهم (المُعْدَم) بمعنى المعوز والفقير بدلاً من (المُعْدِم) ، وقولهم (من جِراء) بدلاً من (من جَرّاء) ، وقولهم (إحدى المستشفيات) بدلاً من (أحد المستشفيات) ، وقولهم (غادر سماحتُه إلى الديار المقدسة) بدلاً من (غادر سماحته العاصمة أو المدينة إلى الديار المقدسة) غافلين عن أن (غادر) فعل مُتَعَدٍّ وليس فعلاً لازماً ، وقولهم (سوف لا يَحْضر) بدلاً من (لَنْ يحضر) ، وقولهم (نفّذت بيروت إضراباً شاملاً) بدلاً من (أضربت بيروت إضراباً شاملاً) ، وقولهم (نفّذ طيران العدو غارة على الجنوب) بدلاً من (قام طيران العدو بغارة على الجنوب) أو (شنّ طيران العدو غارة على الجنوب) ، وغير ذالك مما سمعناه ودوّنّاه في أثناء إعداد هذا البحث .

وأياً ماكان ، فرفْعُ مستوى لغة الإذاعة والتلفزة ليس بالأمر العسير إذا صدقت النيّات وصحّ منا العزم . ونحن نقترخ ، توصلاً إلى ذالك ، الأخذ بالتوصيات التالية :

١ ــ إنشاء فروع في كليّات الإعلام لتخريج المذيعين والمذيعات وبخاصة في علمي الصرف والنحو وفي الأدب العربي وتاريخه .

٢ ــ العناية في هذه الفروع بتدريس القرآن الكريم وعلومه ، وبخاصة علم التجويد ، لما لذالك من أثر بعيد في تقويم ألسنة الطلاب ، وإثراء ثقافتهم اللغوية ، وفتْح أعينهم على جمالية «العربية» وأسرار بلاغتها .

٣ ــ قَصْر إسناد وظيفة المذيع أو المذيعة على خريجي هذه الفروع وخريجاتها .

٤ ــ إخضاع من تختارهم هيئة الإذاعة أو هيئة التلفزيون ، لهذه الوظيفة ، لدورة تدريب يركّز فيها في المقام الأول على حسن الأداء وجودة الإلقاء .

٥ ــ تعويد المذيعين والمذيعات مراجعةَ المعاجم ابتغاء التأكد من صحة ما يستعملون من ألفاظ سواء من حيث المعنى أو من حيث البنية ، وابتغاء ضبط عين الفعل الثلاثي في الماضي والمضارع ، وما إلى ذالك .

٦ ــ إنشاء هيئة مراقبة مهمّتها الاستماع إلى المذيعين والمذيعات ، على نحو موصول ، وتسجيل الأخطاء التي يقعون فيها وإرشادهم إلى وجه الصواب في كل منها بُعيد انقضاء الفترة الإذاعية .

ومهما يكن من أمر ، فإن مشكلة الأداء والإلقاء ليست العقبة الوحيدة التي تعترض سبيل لغة الإعلام الإذاعي والتلفزيوني وتهبط بها إلى ما دون مستوى لغة الصحافة باعتبار أن الصحافة ليس عندها مشكلة أداء وإلقاء . . . ذالك بأن ثمة مشكلة أخرى عانى منها الإعلام الإذاعي والتلفزيوني منذ نشأته ، ولا يزال ، في حين ظلّت الصحافة في نجوة من مفاعيلها السلبية منذ اللحظة الأولى حتى اليوم . عَنَيْت مشكلة العامية والفصحى ، وهي أشدّ خطراً وأكثر تعقيداً من مشكلة الأداء والإلقاء .

وواضح أن نشرات الأخبار الإذاعية والتلفزيونية تقع خارج مشكلة العامية والفصحى هذه ، لأنها حُرّرت أول ماحررت ــ ولا تزال تحرَّر إلى الآن ــ بالعربية الفصحى . ومن هنا اقتصرت هذه المشكلة على مختلف البرامج الإذاعية

والتلفزيونية باستثناء النشرات الإخبارية .

والحق أن الكثرة الكاثرة من الذين كتبوا أو ألفّوا في موضوع الإعلام توقفت عند هذه المشكلة وحاولت أن تبدي رأياً فيها ، أو تقترح حلاً لها . وإذْ كانت هذه الآراء وتلك الحلول تلتقي كلها عند نقطة مركزية واحدة فقد رأينا أن نورد في مايلي نموذجين اثنين منها ليس غير .

أولهما قول الدكتور فؤاد زكريا : وفي هذا الإطار ذاته ، إطار نشر الثقافة تندرج مشكلة اللغة الفصحى واللهجات العامية . . . ومن هنا رأى البعض أن التوجه إلى الجماهير العربية من خلال اللغة الفصحى وحدها هو أشبه بصرخة في الفلاة ، لا تجد من مستجيب ، وأكّد هذا البعضُ أنك إذا أردت أن تسمعك الجماهير حقاً ، وتستجيب لندائك ، فلا مفر لك من التضحية برونق الفصحى ، ومن مخاطبة هذه الجماهير باللغة التي تحيا بها حياتها اليومية وتعبّر بها عن انفعالاتها وتشرح من خلالها أحاسيسها . . . وأستطيع أن أقول إنه إذا كان هناك أي حل لهذه المشكلة فإن أقرب الأجهزة إلى تحقيق هذا الحل هو الإذاعة المرئية ، ففي استطاعتها أن تستخدم في برامجها المختلفة لغة عامية ممزوجة بالفصحى مزجاً يزداد قوة بالتدريج ، وأن تعوِّد الجماهير العربية ــ دون نقلة مفاجئة ــ على أن تألف سماع الفصحى والتعبير عن نفسها من خلالها ، وذالك بأن تضع خطة مدروسة للغة المستخدمة في برامجها ، حتى الترفيهية منها ، وكلنا نعلم أن هناك عامية تتضمن كثيراً من التعابير الفصيحة ، وأن هناك لغة متوسطة ، لا هي بالعامية الخالصة ، ولا هي بالفصحى الكاملة . مثل هذه اللغة إذا استُخدمت على نطاق واسع وازداد نصيب الفصحى فيها بالتدريج كانت كفيلة بأن تعيد إلى اللسان العربي وحدته دون عناء كبير[٦٥].

وثانيهما قول الدكتور نديم نعيمة ، أستاذ الأدب العربي الحديث في الجامعة الأميريكية في بيروت: الواضح في نظري أن مشكلة الإعلام مع لغة الكلمة عندنا هو أنه مايزال يتعثّر غالباً بين عامية وفصحى متنقلاً بين لغتين اثنتين بلغتا في تباعدهما حدّ الاستقلالية ، بحيث أصبح لكل منهما دائرتها وجمهورها . فكأن

الإعلام إذ يعتمد الواحدة أو الأخرى إنما يتوجه إلى فئة من فئتين مستقلتين في المجتمع الواحد . المنتظر من إعلامنا ، وهو ما بدأنا نرى بوادره ، خاصة في لبنان ، ليس أن يهرب من الفصحى إلى العامية بهدف التعميم ، أو من العامية إلى الفصحى توسيعاً لدائرة الانتشار ، بل أن يخلق لغة هي (عامية الفصحى) تماماً كما هو حاصل في لغات العالم المتقدم . فهناك (عامية الانكليزية) لا الانكليزية العامية ، وهناك (عامية الفرنسية) لا الفرنسية العامية ، وكذلك هي الحال في الألمانية والإيطالية والإسبانية وغيرها . و(عامية العربية) ليست اللغة المحكية بل هي الفصحى وقد أكسبها الاستعمال ما للعامية من حركية وأسقط عنها الكثير من أصولية ارستوقراطيتها اللفظية والإعرابية والبلاغية والبيانية وغيرها دون أن يحوّلها إلى لغة عامية مستقلة(٦٦) .

ولئن كان نطاق هذا البحث لا يتسع لمزيد من التفصيل فإنه لن يضيق ببضع ملاحظات تختصر رأينا في هذه المشكلة :

١ ــ إن لغة الإذاعة والتلفزيون مرشحة لأن تكون هي لغة الناس المحكية في المستقبل ، بل لغة العرب الجامعة لهم ، وذلك نتيجة لاستماع الجماهير إليها على نحوٍ موصل ، ونزوعهم إلى محاكاتها على نحو لا واعٍ . ومن هنا تعيّن أن تُدرس أعمق الدرس وتُرسم لها الخطط العلمية التي تفضي إلى حلّ مشكلتها حلاً نهائياً .

٢ ــ إن كل حلّ صحيح لهذه المشكلة يجب أن ينطلق من حقيقة أساسية هي أن الفجوة بين العامية والفصحى واسعة إلى حدّ يتعذّر معه ردمها في فترة قصيرة . وهذه الحقيقة تفرض علينا أن لا نتعجل الحلّ المنشود وأن نعمل على بلوغه خطوة خطوة ومرحلة بعد مرحلة .

٣ ــ وتأسيساً على هذا ، نرى أن تكون لغة الإذاعة والتلفزيون ــ في الوقت الحاضر على الأقل وربما تصبح هذه اللغة لغة الناس المحكية في يوم من الأيام ــ على مستويات ثلاثة :

أ ــ مستوى (العربية الفصحى) . والواقع أن الإعلام المسموع والإعلام المرئي اصطَنعا هذه اللغة ، منذ نشأتهما الأولى ، في نشراتهما الاخبارية كلها ،

ولا يزالان . ونحن نقترح أن يصطنعاها أيضاً في كل مايقدمانه إلى المستمعين والمشاهدين من أحاديث ، وندوات ثقافية ، وبرامج تعليمية ، ومقابلات مع رجال الفكر والسياسة الخ .

ب ــ مستوى (اللغة المتوسطة) . وهي اللغة التي تقع في منزلة بين منزلتي العامية والفصحى ، والتي أطلق عليها الدكتور نديم نعيمة اسم (عامية الفصحى) ونحن نرى أن يصطنع الإعلام الإذاعي والإعلام التلفزيوني هذه اللغة في برامجهما الترفيهية على اختلاف أنواعها .

جـ ــ مستوى (اللغة الدارجة) . ونعني بها العامية المهذبة بعض الشيء ، والمرشحة لأن تهذَّب باستمرار ، وعلى نحوٍ تدريجي ، كلما آنس رجال الإعلام استعداداً من جمهور المستمعين والمشاهدين لتقبّل هذا التهذيب ومقدرةً على استيعابه . ونحن نذهب إلى القول بأن التمثيليات الإذاعية والتلفزيونية كلّها يجب أن تُكتب بهذه اللغة إلا إذا كانت تمثيليات تاريخية أو مترجمة عن إحدى اللغات الأجنبية .

٤ ــ إن لغةً إعلامية موحَّدة لا بدّ أن تنبثق ــ مع الأيام ، وعلى نحو طَبَعيّ ــ من المستويات اللغوية الثلاثة التي ذكرنا ، وبذالك تحلّ مشكلة العامية والفصحى في الإذاعة والتلفزيون ، وتمهَّد الطريق إلى حلّها في حياة الناس اليومية أيضاً .

د. منير البعلبكي

[الحواشي] :

(١) يستخدم معظم المؤلفين في حقل الإعلام لفظ (الاتصال) بدلا من لفظ (الإعلام) وعندنا أنهم لا يضيفون بذالك إلى معنى الإعلام أي بعد جديد . لأن (الاتصال كالإعلام) ، عملية من جانب واحد ، و (التواصل) هو اللفظ المعبر تعبيراً صحيحاً عما يقصدون إليه ، كما سنرى .

(٢) الدكتور حسن صعب ، « اعجاز التواصل الحضاري الإعلامي » ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٤، الصفحة ١٢٠ ــ ١٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٧٥ ــ ٧٦ .

(٤) الدكتور أنيس مسلم ، « وسائل الإعلام بين الرأي العام والإرادة الشعبية » ، التعاونية اللبنانية للتأليف والنشر ، الطبعة الأولى ، جونيه ، لبنان ، ١٩٨٥م ، الصفحة ١٤ ــ ١٥ .

(٥) الدكتور عبدالعزيز شرف ، « المدخل إلى وسائل الإعلام » ، دار الكتاب المصري ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٠م ، الصفحة ٧٩ .

(٦) المصدر نفسه الصفحة ٧٩ .

(٧) منير البعلبكي « موسوعة المورد » ، المجلد الثاني ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م ، الصفحة ١٩٣ .

(٨) منير البعلبكي ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، الصفحة ٨٦ .

(٩) الدكتور عبدالعزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٧٦ والصفحة ٩٦ .

(١٠) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٩٩ .

(١١) الدكتور أنيس مسلم ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٢٢ ــ ٢٣ .

(١٢) منير البعلبكي ، المصدر الذي سبق ذكره ، المجلد الثامن ، الصفحة ٨٢ .

(١٣) أحمد حسن الزيات « تاريخ الأدب العربي » ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة السادسة والعشرون ، الصفحة ٤٢٥ .

(١٤) فيليب حتي وأدورد جرجي وجبرائيل جبور « تاريخ العرب » ، دار غندور ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٧٤ ، الصفحة ٨٤٦ .

(١٥) رئيف خوري « التعريف في الأدب العربي » ، لجنة التأليف المدرسي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦٢م ، الصفحة ٤٤٦ .

(١٦) فيليب حتي وادورد جرجي وجبرائيل جبور . المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٨٤٣ .

(١٧) الدكتور محمد حمد خضر « مطالعات في الإعلام » ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٧ ، الصفحة ١١٧ (لا ذكر لمكان الطبع) .

(١٨) الدكتور عصام سليمان عيسى « تاريخ الاتصال ووسائله » « مجلة الدراسات الإعلامية » ، العدد ٣٨ ، دمشق ١٩٨٧ ، الصفحة ١٤ .

(١٩) منير البعلبكي ، المصدر الذي سبق ذكره ، المجلد السادس ، الصفحة ٢١ .

(٢٠) منير البعلبكي ، المصدر السابق ، الصفحة ٢١ .

(٢١) الدكتور حسن الحسن « الدولة الحديثة إعلام واستعلام » ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٦ ، الصفحة ١٥٢ .

(٢٢) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٤٣٥ .

(٢٣) الدكتور أنيس مسلم ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٣٢ .

(٢٤) المصدر السابق ، الصفحة ١٧٦ .

(٢٥) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٢٢ .

(٢٦) المصدر السابق ، الصفحة ٢٥ .

(٢٧) الدكتور عبدالعزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، صفحة ٢٣٠ .

(٢٨) منير البعلبكي ، المصدر الذي سبق ذكره ، المجلد التاسع ، الصفحة ١٨٤ .

(٢٩) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٢٤ ــ ٢٥ .

(٣٠) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ١٢٩ .

(٣١) الدكتور عصام سليمان عيسى ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ١٨ .

(٣٢) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٧٠ .

(٣٣) الدكتور عبدالعزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٢٧٣ .

(٣٤) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٧٦ .

(٣٥) الدكتور عبدالعزيز شرف ، المصدر الذي السابق ، الصفحة ٦١ .

(٣٦) الدكتور عبدالعزيز شرف ، المصدر الذي السابق ، الصفحة ٦٨ ــ ٦٩ .

(٣٧) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ١٢٢ .

(٣٨) الدكتور عبدالعزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ١٧ .
(٣٩) المصدر نفسه ، الصفحة ١٨ .
(٤٠) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر السابق ذكره ، الصفحة ١٣٣ .
(٤١) المصدر نفسه ، الصفحة ١٢٣ .
(٤٢) وهذا ما يجعل تلك الافتتاحية أول مقالة تسطَّر في تاريخ الصحافة العربية .
(٤٣) أنيس المقدسي « الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث » ، الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٢م ، الصفحة ٤٤٩ .
(٤٤) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(٤٥) الدكتور محمد حمد خضر ، المرجع الذي سبق ذكره ، الصفحة ١٥٤ .
(٤٦) المصدر السابق ، الصفحة ١٤٠ . وقد علّق الدكتور محمد حمد خضر على هذا الشاهد بقوله : فتصوروا لو كان على الصحافي المعاصر أن يستخدم هذه اللغة وان يعتمد على هذا الإيقاع التعبيري لتغطية اختطاف طائرة أو نقل أنباء غارة حربية . . . !
(٤٧) أنيس المقدسي ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٤٥٢ .
(٤٨) المصدر نفسه ، الصفحة ٤٥٢ أيضاً .
(٤٩) الشيخ إبراهيم اليازجي « لغة الجرائد » الطبعة الأولى ، مطبعة المعارف ، القاهرة ١٣١٩ للهجرة ، الصفحة ٥ ــ ٦ .
(٥٠) المصدر نفسه ، الصفحة ١١ .
(٥١) المصدر نفسه ، الصفحة ١٨ .
(٥٢) المصدر نفسه ، الصفحة ٢١ .
(٥٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٥ .
(٥٤) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٦ .
(٥٥) المصدر نفسه ، الصفحة ٣٢ .
(٥٦) المصدر نفسه ، الصفحة ٤٩ ـ ٥٠ .
(٥٧) المصدر نفسه ، الصفحة ٥٢ ــ ٥٣ .
(٥٨) محمد البعلبكي ، من رسالة بعث بها إلى صاحب هذا البحث في نطاق استطلاع للرأي اجراه حول لغة الإعلام .
(٥٩) من أراد التوسع في هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب الأستاذ أحمد أبو سعد « معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية القديم منها والمولد » ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٧م .
(٦٠) اجتمع لدينا خلال إعداد هذا البحث مئات من هذه التعابير نكتفي هنا بذكر طائفة منها .
(٦١) Brinkmanship —
(٦٢) محمد البعلبكي ، المصدر السابق ذكره .
(٦٣) فيكتور سحاب « أزمة الإعلام الرسمي العربي » ، الطبعة الأولى ، دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٥م ، الصفحة ٩٧ ــ ٩٨ .
(٦٤) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٠ ــ ٢١ .
(٦٥) الدكتور عبدالعزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٢٧١ ــ ٢٧٢ .
(٦٦) الدكتور نديم نعمية ، من رسالة بعث بها إلى صاحب هذا البحث في نطاق استطلاع للرأي أجراه حول لغة الإعلام .

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٥٢ ـ

٢٤١ ـ بابُ حَبِيسٍ : وخُنَيْسٍ [١]

أَمَّا الْأَوَّلُ : بَعْدِ الْحَاءِ الْـمَفْتُوحَةِ باءٌ مُوَحَّدَة مَكْسُورَةٌ وآخرهُ سِينٌ مُهْمَلَةٌ ـ: مَوْضِعٌ بِالرَّقَّةِ ، فِيْهِ قُبُورُ قَوْمٍ [مِنَ الشُّهَدَاءِ] شَهِدُوْا صِفِّيْنَ مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه[٢].

وذَاتُ حَبِيْسٍ مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ[٣].

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ : (بَابُ حَبِيسٍ ، وحُبَيْشٍ وخُنَيْسٍ) .

(٢) نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ ـ بَعْدَ كلامِهِ الآتي عَنْ ذَاتِ حَبِيْسٍ ـ ومثله في «معجم البلدان» بزيادة (شُهَدَاءَ) عن كلمة [الشُّهداء] الواردَةِ في النسخة الثانية مِنْ كتابِ الحازميِّ ، وَلَمْ تَرِدْ في نسخة الْأَصْلِ .

(٣) قَالَ نَصْرٌ : ذَاتُ حَبِيْسٍ مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ ، هُنَاكَ الْـجَبَلُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ أُظْلَمُ . وفي «معجم البلدان» ، ذَاتُ حَبِيسٍ مَوْضِعٌ بمكَّة ، بِقُرْبِ الْـجَبَلِ الْأَسْوَدِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ أَظْلَمُ ، قَالَ الرَّاعِي :

فَلَا تَصْرُمِيْ حَبْلَ الدُّهَيْمِ جَرِيْرَةً ... بِتَرْكِ مَوَالِيْهَا الْأَدَانِيْنَ ضُيَّعَا
يُسَوِّمُهَا تَرْعِيَّةٌ ذُوْ عَبَاءَةٍ ... بِمَا بَيْنَ نَقْبٍ فَالْحَبِيْسِ فَأَفْرَعَا

والْحَبِيسُ قَلْعَةٌ بِالسَّوَادِ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ، يُقَالُ لَهَا حَبِيْسُ جلدك . انتهى . وجَبَلُ أَظْلَمَ الَّذِي تَقَعُ ذَاتُ الْـحَبِيسِ بِقُرْبِهِ يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الْأَزْرَقِيِّ أَنَّهُ يَقَعُ في أَعْلَى مكَّة خَارِجَهَا وَرَاءَ أَذَاخِرَ عَلَى مَحَجَّةِ الْعِرَاقِ ـ «أخبار مكة» : ٢/٢٨٨ و٣٠٠ ـ وهُنَاكَ جَبَلٌ بهذا الاسْمِ (أَظْلَم) على مَقْرُبَةٍ من الْـجِعْرَانَةِ قد يَكُونُ هُوَ . أَمَّا اسْتِدْلَالُ ياقوتٍ بِشِعْرِ الرَّاعِي عَلَى الـمَوْضِعِ الْـوَاقِعِ بِقُرْبِ مكَّة فَـمَا أَرَاهُ في مَحَلِّهِ إِذْ بِلَادُ الرَّاعِي وقَوْمِهِ بَنِي نُمَيْرٍ في وَسَطِ نَجْدٍ في مِنْطَقَتَيِ الْعِرْضِ والسِّرِّ وماحَوْلَهُمَا ـ وانظر عنها كتاب «بلاد العرب» ـ وأَغْرَبَ البكريُّ بِقَوْلِهِ : الْـحَبِيْسُ : ... وهو موضِعٌ بِالْبَحْرَيْنِ ، قَالَ الرَّاعِي :

يُسَوِّمُهَا تَرْعِيَّةٌ ذُوْ عَبَاءَةٍ ... لِمَا بَيْنَ نَقْبٍ والْحَبِيْسِ وأَفْرَعَا

وبِهَذَا الموضِعِ قُتِلَ أَحْمَدُ بْنُ حُمَيْدٍ في حَرْبِ بَابَكَ ، قَالَ الطَّائِيُّ في رِثَائِهِ :

سَقَى الْـحَبِيْسَ ومَحْبُوساً بِبَرْزَخَةٍ ... مِنَ السُّمَيِّ كَفِيْتُ الْوَدْقِ يَطَّرِدُ

وقَدْ وَهِمَ الصُّولِيُّ في تفْسِيرِ هَذَا البَيْتِ فقال : يَعْنِي بِالْحَبِيْسِ أَخَاهُ ، لأَنَّهُ مَحْبُوسٌ عَنِ الْـحُزْنِ . انتهى . وَوَجْهُ الْـغَرَابَةِ عِنْدَ البكريِّ أَنَّهُ عَدَّ الْـحَبِيْسَ مِنْ بِلَادِ الْبَحْرَيْنِ ، ثم اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ الرَّاعِي ، وأَيْنَ بِلَادُ الرَّاعِي مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، ثم أَضَافَ إلى ذَالِكَ أَنَّهُ الموضِعُ الذي قُتِلَ فيه ابنُ حُمَيْدٍ ، وهَذَا قُتِلَ في بلادِ العجم ، بعيداً عن البحرين ـ وانظر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم المنطقة الشرقية رسم الحبيس ، ومِمَّا تَقَدَّمَ يَتَّضِحُ أَنَّ الْحَبِيْسَ اسْمٌ لِمَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَةٍ في بِلَادِ الْعَرَبِ وغَيْرِهَا .

وأَمَّا الثَّاني : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا نُونٌ مَفْتُوحَةٌ والْبَاقِي نَحْو الْأَوَّلِ : ــ رَحْبَةُ خُنَيْسٍ بِالْكُوفَةِ تُنْسَبُ إِلَى خُنَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ، أَخِي النُّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ ، وَهُوَ جَدُّ أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ خُنَيْسٍ (٤) .

٢٤٢ ــ بابُ حَبِيبٍ : وخُبَيْبٍ ، وخُبَيْتٍ ، وجُبَيِّبٍ(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : بِفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَة وآخِرُهُ بَاءٌ أُخْرَى ــ : بُطْنَانُ حَبِيبٍ بَلَدٌ بِالشَّامِ (٢) .

وأَمَّا الثَّاني : ــ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ،

---

(٤) اكْتَفَى نَصْرٌ بِقَوْلِهِ : ــ بَعْدَ ضَبْطِ الاسْمِ : رَحْبَةُ خُنَيْسٍ مَحَلَّةٌ بِالكُوفَةِ . ويَاقوت في «المعجم» أَحَالَ إِلَى (رَحْبَة) وعِنْدَ ذِكْرِهَا أَوْضَح الْمَعْنَى اللُّغَوِيَّ وأَنَّها الفَضَاءُ بَيْنَ أَفْنِيَةِ البُيُوتِ أو القوم والمَسْجِد ، وهي الواسع من الأرض ، ثم ذَكَرَ رَحْبَةَ خُنَيْسٍ بِنَحْوِ ماذَكَرَ الْحَازِمِيُّ ــ وأَبُو يُوسُفَ القاضي يَعْقُوبُ بْنُ حَبِيبِ بن خُنَيْس بن سَعْدِ بْنُ حَبْتَةَ (١١٣ / ١٨٢هـ) من بني سُحْمَةَ مِنْ بَجِيْلَةَ ــ «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ــ ٣٨٩ ــ وهو صاحِبُ الإِمَامِ أَبِي حَنِيْفَةَ ، ومكانَتُهُ في الْعِلْمِ وشُهْرَتُهُ تُغْنِيَانِ عَنِ التوسُّعِ في الحديثِ عَنْهُ ، وجَدُّهُ سَعْدُ بنُ حَبْتَةَ صَحَابِيٌّ ، والنُّعْمَانُ بْنُ سَعْدٍ تابِعِيٌّ .

وزَادَ نَصْرٌ في الْبَابِ : (حُبَيْش) قائلًا : ــ بِضَمِّ الحاءِ وفَتْحِ الْبَاءِ وآخِرُهُ شِينٌ مُعْجَمَةٌ ــ : مَوْضِعٌ . وانْتَهَى كَلَامُهُ ، وعَنْهُ نَقَلَ يَاقُوتُ ولَمْ يَزِدْ . ولكنَّ البَكْرِيَّ في «معجم مااسْتَعْجم» قَالَ : حُبَيْشُ ــ بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَى لَفْظِ التَّصْغِيرِ وَبِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ــ : اسْمُ وَادٍ ، قال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

حُبَيْشاً فَسُلَّانَ الظِّبَاءِ كَأَنَّمَا ... عَلَى بَرَدٍ تِلْكَ الْهُشُومَ يَجُودُهَا

هَكَذَا صُحِّحَ الضَّبْطُ في هذا الْبَيْتِ ، أَرَادَ : كَأَنَّمَا بَرَدٌ يَجُودُ تِلْكَ الْهُشُومَ فَقَلَبَ ، شَبَّهَ سُرْعَةَ بَعِيْرِهِ بِجَوْدِ الْمَطَرِ وَحَبِيْشٌ ــ عَلَى مِثَالِ هِجَاءِ الَّذِي قَبْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ مُكَبَّرٌ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وكَسْرِ ثانِيهِ ــ : جَبَلٌ بِمَكَّةَ وبِهِ سُمِّيَتِ الْأَحَابِيْشُ ، وأَهْلُ الْحَدِيْثِ يَقُولُونَ حُبْشِيٌّ ــ بِضَمِّ أَوَّلِهِ مَنْسُوبٌ عَلَى مِثَالِ فُعْلِيٍّ ــ : مَوْضِعٌ عَلَى عَشرةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ ، به مَاتَ عَبْدُ الرحمنِ بن أبي بَكْرٍ وصِحَّتُهُ ــ والله أَعْلَمُ ــ حَبِيْشُ ــ انتهى كلامُ الْبَكْرِيِّ . وَلَيْسَ في «ديوان حُمَيْدٍ» الْمَطْبُوعِ مايَرْتَبِطُ بِالْبَيْتِ الذي اسْتَشْهَدَ بِهِ الْبَكْرِيُّ للاسْتِنَارَةِ به في مَعْرِفَةِ الْمَوْقِعِ ، وبِلَادُ حُمَيْدٍ وقَوْمِهِ في الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ نَجْدٍ ، فيما حَوْلَ بِيْشَةَ وَرَنْيَةَ . أَمَّا جَبَلُ حُبْشِيٍّ الْقَرِيْبِ مِنْ مَكَّةَ فَلَا يَزَالُ مَعْرُوفاً في الْجَنُوبِ مِنْهَا ، وقدْ أَوْشَكَ أَنْ يَبْلُغَهُ عُمْرَانُهَا .

(١) البابُ بِنَصِّهِ في كِتَابِ نَصْرٍ .

(٢) عِنْدَ نَصْرٍ : أَمَّا بِفَتْحِ الْحَاءِ وكَسْرِ الْبَاءِ : ــ جَبَلٌ حِجَازِيٌّ ، وبُطْنَانُ حَبِيْبٍ : بَلَدٌ بالشَّامِ . انتهى . ولَمْ يَذْكُرْ يَاقوتُ في «معجم البلدان» الْجَبَلَ الحِجَازِيَّ ، وإِنَّمَا قَالَ : حَبِيْبٌ ــ بالْفَتْحِ ثُمَّ الكَسْرِ ويَاءٍ سَاكِنَةٍ وبَاءٍ أُخْرَى : ــ بَلَدٌ من أَعْمَالِ حَلَبَ ، يُقَالُ لَهُ بُطْنَانُ حَبِيْبَ ــ ذُكِرَ في بُطْنَانَ ــ ودَرْبُ حَبِيْبَ : بِبَغْدَادَ مِنْ نَهْرِ مُعَلَّى ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْمُحَدِّثُونَ هِبَةُ الله بن محمد بن الحسن . . . الْحَبِيبِي ــ الخ ــ ذَكَرَهُ أَبُو سَعْدٍ في معجمه ــ يعني السَّمْعَانِيَّ ــ

والْبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلِ : ـ مَوْضِعٌ بِمِصْرَ[٣].

وَأَمَّا الثَّالِثُ : ـ آخِرُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ ، والْبَاقِي نَحْو الَّذِيْ قَبْلَهُ ـ: مَاءٌ بِالْعَالِيَةِ يَشْتَرِكُ فِيهِ أَشْجَعُ وَعَبْسٌ ، وَفِي شِعْرِ نَابِغَةِ بَنِي ذُبْيَانَ :

إِلَى ذُبْيَانَ حَتَّى صَبَّحَتْهُمْ وَدُوْنَهُمُ الرَّبَائِعُ وَالْخُبَيْتُ

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : مَاءآنِ لِبَنِي عَبْسٍ وَبَنِي أَشْجَعَ[٤].

---

(٣) نَصُّ كَلامِ نَصْرٍ ، وأَوْرَدَهُ يَاقُوتُ مَنْسُوباً إِلَيْهِ ، وزَادَ : قَالَ كُثَيِّرٌ :

إِلَيْكَ ابْنَ لَيْلَى تَمْتَطِي الْعِيْسَ صُحْبَتِي تَرَامَى بِنَا مِنْ مَبْرَكَيْنِ الْمَنَاقِلُ
تُخَلِّلُ أَحْوَازَ الْخُبَيْبِ كَأَنَّهَا قَطَا قَارِبٌ أَعْدَادَ حُلْوَانَ نَاهِلُ

رَوَاهُ أَبُو عَمْرٍو : الْخُبَيْتُ ـ قَالَ ابنُ السِّكِّيْتِ : هُوَ تَصْحِيفٌ ، إِنَّمَا هُوَ الْخُبَيْبُ ـ بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ـ وَهُوَ أَسْفَلُ سَيْلِ يَنْبُعَ ، حَيْثُ وَاجَهَ الْبَحْرَ ، وحُلْوَانُ بِمِصْرَ . انتهى . والبَيْتَانِ في «ديوان كُثَيِّر» ـ ٢٩٤ ـ وابْنُ السِّكِّيْتِ أَبْصَرُ بِالْمَوَاضِعِ المذكورة في الشِّعْرِ مِنَ نَصْرٍ والْحَازِمِيِّ وغيرِهِمَا مِنَ الْمُتَأَخِّرِيْنَ ، ولَعَلَّ الَّذِي حَمَلَ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْخُبَيْبَ في مِصْرَ وُرُوْدُهُ في قَصِيْدَةٍ مُدِحَ بِهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بن مَرْوَانَ وهُوَ في حُلْوَانَ مِنْ مِصْرَ .

(٤) مِنْ جُمْلَة : وفي شِعْرِ نَابِغَةِ بَنِي ذُبْيَانَ مِنْ زِيَادَاتِ الْحَازِمِيِّ عَلَى مافي كِتَابِ نَصْرٍ ، وأَوْرَدَهُ يَاقُوتُ بِنَصِّهِ غَيْرَ مَنْسُوبٍ ، مُضِيْفاً إِلَيْهِ بَيْتَيْنِ لِكُثَيِّرٍ عَزَّةَ فيهما ذِكْرُ الْخُبَيْتِ وغَالِبٍ . وَأَضَافَ نَصْرٌ إلى تَعْرِيفِهِ الْمُتَقَدِّمِ الذي أَوْرَدَهُ الْحَازِمِيُّ ـ: وأَيْضاً : مَوْضِعٌ أَسْفَلَ يَنْبُعَ يُوَاجِهُ الْحَرَّةَ ، وقِيْلَ : بِطَرِيْقِ الشَّامِ . انتهى وكلمة (الحرة) لاَشَكَّ أنها تصحيف كلمة (البحر) ملحقة بها الفاصلة (،) إِذْ لاَ حَرَّةَ أَسْفَلَ وادِي يَنْبُعَ ، بَلْ سَهْلٌ مُنْبَسِطٌ ذُو رَمْلٍ ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِطَرِيقِ الشَّامِ أَيْضاً ، وهو الْمَوْضِعُ الَّذِي قَبْلَ هذا ونَقَلَ فيهِ يَاقُوتُ كَلاَمَ ابْنِ السِّكِّيْتِ بِتَخْطِئَةِ مَنْ قَالَ فِيهِ الْخُبَيْتُ ، وأَنَّهُ الْخُبَيْبُ ـ بِالْبَاءَيْنِ الْمُوَحَّدَتَيْنِ . وفي «معجم مااسْتعجم»: الْخُبَيْتُ ـ عَلَى لَفْظِ التَّصْغِيرِ ـ: ماءٌ لبني عَبْسٍ وأَشْجَعَ ـ ثم أَوْرَدَ بَيْتَ النَّابِغَةِ وأَضَافَ : وهُمَا مَاءَانِ لبني عَبْسٍ وأشجَعَ ، وبِالرَّبَائِعِ مَاتَ ضَابِئُ بنُ الْحَارِثِ الْبُرْجُمِيُّ ـ ثمَّ أَوْرَدَ بَيْتاً لأَبِي صَخْرٍ الهُذَلِيِّ فِيهِ ذِكْرُ الْخُبَيْتِ والنَّقِيعِ والْعَقِيقِ وَغَيْرِهَا وقَالَ : وَالْخُبَيْتُ عَلَى بَرِيْدَيْنِ مِنَ الْمَدِيْنَةِ . كَذَا قالَ ، وهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الماءِ الْوَاقِعِ فِي الْعَالِيَةِ الَّتِي هِيَ عِنْدَ الإِطْلاَقِ عَالِيَةُ نَجْدٍ ، وَمَا أَرَى إِلاَّ أَنَّ الخُبَيْتَ ـ تَصْغِيرَ الخَبْتِ الَّذِي هُوَ فِي الأَصْلِ وَصْفٌ لِمَا انْخَفَضَ مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَماً لِمَوَاضِعَ ـ وكَذَا مُصَغَّرُهُ الْخُبَيْتُ ، وَبَيْتُ النَّابِغَةِ ـ كَمَا في «ديوانه» ـ ١٥٢ ـ مِنْ قَصِيْدَةٍ يُعَاتِبُ فِيْهَا سَيِّدَيْ بَنِي عَامِرٍ حِيْنَ أَغَارَا بِقَوْمِهِمَا عَلَى ذُبْيَانَ بَعْدَ صُلْحٍ بَيْنَهُمَا وبَيْنَ النَّابِغَةِ ، فَغَدَرَا وقَبْلَ الْبَيْتِ :

فَمَا حَاوَلْتُمَا بِقِيَادِ خَيْلٍ يُصَانُ الْوَرْدُ فِيْهَا والْكُمَيْتُ

إِلَى ذُبْيَان ـ الخ ـ

وفي شرحهما ـ لابن السِّكِّيت ـ: الرَّبَائِعُ والخُبَيْتُ مَاءَانِ لِبَنِي عَبْسٍ وَأَشْجَعَ ، ويُرْوَى (الْبَرَابِعُ) وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي عَبْسٍ أَيْضاً ، وقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الْبَرَابِعُ مَوْضِعٌ دُفِنَ فِيهِ ضَابِئُ بنُ الْحَارِثِ الْبُرْجُمِيُّ ، وكَانَ حَبَسَهُ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ ، ولَهُ حَدِيْثٌ طَوِيْلٌ .

آل حسين وآل مَرْشد
في حوطة بني تميم

[كتب الأخ الكريم الأمير سعد بن عبدالله المهنا أمير بلدة القويع في منطقة حوطة بني تميم إلى المجلة ماملخصه]:

وأَمَّا الرَّابِعُ : ـ أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ، وآخِرُهُ بَاءٌ أُخْرَى : ـ وَادٍ عِنْدَ كُحْلَةَ ، وفِي شِعْرِ دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ :

فَكُنْتُ كَأَنِّيْ وَاثِقٌ بِمُصَدَّرٍ يُمَشِّيْ بِأَكْنَافِ الْجُبَيْب فَمُحْمَدِ(٥)

---

(٥) الْجُبَيْبُ : قَالَ نَصْرٌ : ـ بِضَمِّ الْجِيمِ ، وبَاءَيْنِ مُوَحَّدَتَيْنِ ـ: وَادٍ عِنْدَ كُحْلَةَ ، وَهِيَ وَادٍ آخَرُ مِنْ أَوْدِيَةِ أَجَإٍ . انتهى وَجَعَلَ يَاقُوتُ في «معجم البلدان» عِبَارَتِي نَصْرٍ والْحَازِمِي تَنْطَبِقَانِ عَلَى مَوْضِعَيْنِ فَقَالَ : الْجُبَيْبُ ـ تَصْغِيرُ الْجُبِّ ـ: قَالَ نَصْر : هُوَ وَادٍ عِنْدَ كُحْلَةَ ، قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّة :

فَكُنْتُ كَأَنِّيْ وَاثِقٌ بِمُصَدَّرٍ يُمَشِّيْ بِأَكْنَافِ الْجُبَيْبِ فَمُحْمَدِ

وَالْجُبَيْبُ ـ أَيضاً ـ : وَادٍ آخَرُ مِنْ أَوْدِيَةِ أَجَإٍ ، قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :

خَلَدَ الْجُبَيْبُ وبَادَ حَاضِرُهُ إِلَّا مَنَازِلَ ، كُلُّهَا قَفْرُ

الجُبَيْبُ لايَزَالُ معروفاً مِنْ أَوْدِيَةِ أَجَإٍ ، يَنْحَدِرُ مِنْهُ صَوْبَ الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ ، وفِيْهِ نَخْلٌ قَلِيْلٌ . وكُحْلَةُ لَمْ أَجِدْ مَنْ يَعْرِفُ هذَا الْمَوْضِعَ في مِنْطَقَةِ الْجَبَلَيْنِ (حائِل) ومَا أَرَى بَيْنَ دُرَيْدٍ وابْنِ أَحْمَرَ يَنْطَبِقَانِ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي مِنْ أَوْدِيَةِ أَجَإٍ ، لِبُعْدِ بِلَادِ الشَّاعِرَيْنِ عَنِ الْجَبَلَيْنِ ، وَبَيْتُ دُرَيْدٍ مِنْ قَصِيْدَتِهِ الَّتِي أَوْرَدَهَا صاحب «جَمْهَرَةِ أشعارِ الْعَرَبِ» ـ ٥٩٧ ـ ولكنَّ العَجُزَ عِنْدَهُ : يُمَشِّي بِأَكْنَافِ الْجُبَيْلِ فَنَهْمَدِ . وفي «الأَصْمَعِيَّاتِ» : ـ ١١٤ ـ: يُمَشِّي بِأَكْنَافِ الْحبيب فَمَحْتِد .

لَيْسَ الإِشْكَالُ فِي اخْتِلَافِ النُّسَخِ في كتابَةِ اسْمِ الْمَوْضِعِ الأَوَّل (الْجُبَيْب) و(الحبيب) و(الجبيل) كَبِيراً إِذْ يُمْكِنُ إِرْجَاعُهُ إِلَى التَّصْحِيفِ ، ولكن المشكل الاختلاف في الاسْمِ الثَّاني بَيْنَ (مَحْمِد) وهي وَاضِحَةٌ في مَخْطُوطَتِي كتابِ الْحَازِمِيِّ ، وَ(مَحْتِد) في «الأصمعيات» . و(نَهْمَد) كما في «الْجَمْهَرَة» فَـ (مَحْمِد) لَمْ أَرَهُ فِيمَا اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْمَاءِ المواضِع ، و(مَحْتِد) عَدَّهُ يَاقُوتُ في «معجم البلدان» اسْمَ مَوْضِعٍ ، ولَمْ يُحَدِّدْ مَوْقِعَهُ ، و(نَهْمَدُ) مِنَ الْمَوَاضِعِ الْمَشْهُورَة في عالِيَةِ نَجْدٍ ، في منطقة حِمَى ضَرِيَّةَ ، وبِلَادُ دُرَيْدٍ وَقَوْمِهِ في نَوَاحِي الطَّائِفِ . والبَيْتُ في وَصْفِ الْفَرَس ، والْمُصَدَّرُ السَّابِقُ مِنَ الْخَيْل . ودُرَيْدُ مِنْ سَادَاتِ هَوَازِنَ مِنْ بَنِي جُشَمٍ مِنْهُمْ ، ومِنْ أَشْهَرِ فُرْسَانِ الْجَاهِلِيَّة وشُعَرَائِهَا أَدْرَكَ الإِسْلَامَ هَرِماً ولَمْ يُسْلِمْ ، وقُتِلَ في أَوْطَاس ، في غَزْوَةِ حُنَيْن .

آل حسين في حوطة بني تميم :

سكان الحوطة هم آل حسين ، وآل مرشد ابني محمد بن سعود بن مانع ، فمن فروع آل حسين : آل سعود بن حسين منهم الرزاقا وآل مَنْحُوفُ وآل محمد أبو فهيد ، وآل ابراهيم بن ناصر الملقب (أبو بطين). أما جد عيال الوَلاد هو أحمد بن راشد بن حمد بن سعود بن حسين وآل راشد بن حسين منهم آل ضَفِيف أبناء محمد بن راشد بن زيد بن راشد بن حسين ، وآل علي بن حسين منهم آل مزيد بن حمد بن سعود بن علي بن حسين ، وآل محمد بن حسين ، وآل عبدالله بن حسين ، وآل رشود بن حسين: منهم آل شريم بن رشود بن حسين ، ومن فروع آل مرشد : آل عثمان ، وآل رقيب (واسمه حمد) ، وآل رشود ، فمن آل عثمان بن مرشد : آل علي وآل راشد وآل رشيد .

ومن آل رقيب بن مرشد : آل راشد وآل مرشد منهم : آل أبو فهيد وآل عبد المحسن ، وآل محمد لم يبق منهم إلا محمد الملقب الْـمِحَلي وهم أبناء سعد بن راشد بن مرشد بن رقيب (حمد) وآل علي بن راشد وآل حمد بن راشد أبناء مرشد بن حمد (رقيب) وآل عبدالله بن سعد أبناء مرشد بن حمد (رقيب) .

ومن آل رشود بن مرشد: آل خْشِيبَانَ وآل رويغَانَ وآل أبو خضراء أبناء سعود بن رشود بن مرشد .

ومن آل رشود أيضاً : آل مبارك (ومن هاؤلاء الوسواس) أبناء مبارك بن رشود ، وآل أبُو حيرْ أبناء زيد بن رشود ، والصَواتَا (؟) أبناء محمد بن رشود ، وآل موسى بن رشود ، وآل أبو رشيد أبناء راشد بن رشود ، وآل مريفق أبناء مرشد بن رشود ، والحبُورْ (؟) أبناء عثمان بن رشود ، وآل عميقان أبناء أحمد بن رشود ، والمَتَوّاسِينْ (؟) أبناء علي بن رشود .

وآل فواز أبناء فواز بن موسى بن رشود بن مرشد .

آل مرشد في القويع والحلوة ــ بمنطقة حوطة بني تميم :

هم آل شامان وآل عثمان وآل عبدالله وآل عمر وآل علي أبناء مرشد بن ربيعة

ابن عثمان بن مانع .

فعمر جد أهل القويع .
وعلي جد آل مسلم .
وعبدالله جد آل عبدالله .
وعثمان جد آل درويش في المنطقة الشرقية .

وشامان جد آل خريف بن محمد بن زيد بن شامان ، وآل جحيش بن زيد بن محمد بن زيد بن شامان ، وآل عديان بن زيد بن محمد ، وآل معدي بن زيد بن محمد ، وآل محمد بن زيد بن محمد بن زيد بن شامان .

تنبيه : بعض المهتمين بالأنساب من أهل الحوطة يؤكد أن آل مرشد في القُويع والحلوة من حوطة بني تميم المشار لهم فيما تقدم ــ هم أبناء مرشد بن محمد بن سعود الملقب (هميلان) فأخوه حماد بن محمد بن سعود أرث مرشد بن حماد وجَدّ آل مرشد المعروفين في الحوطة وحسين بن حماد جدّ آل حسين المعروفين في الحوطة ويرجع نسب الجميع في محمد بن سعود (هميلان) كما هو موضح في الشريحة المرفقة آمل الاطلاع ونشر هذا في الكتاب لتكون الرؤية واضحة أمام الجميع .

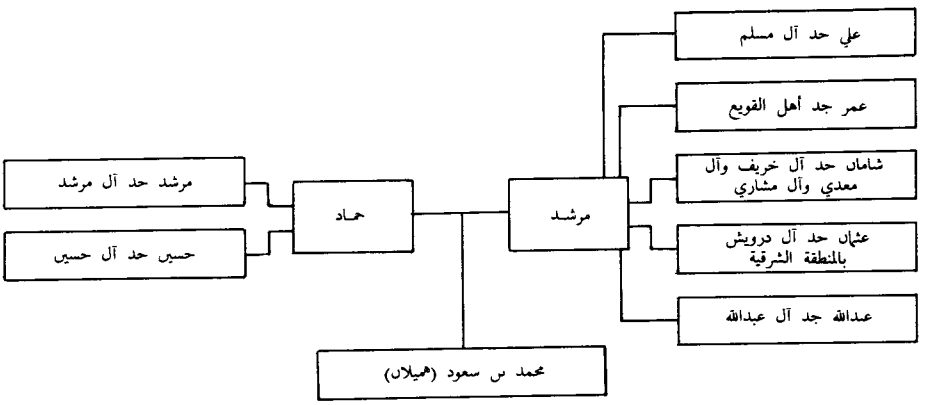

القويع : سعد بن عبدالله المهنا

حـول تاريـخ صحافتنا

أُمْتِعْتُ بالكلمة التي قرأتها في « المنهل » العذْب (جزء جمادى الأولى ١٤٠٨هـ ص ٣٠) من ذكريات الأستاذ أحمد جمال حول صحافتنا ، وأعْجِبت حقاً بمتابعة الصديق أحمد لما يدور حول الصحافة في فترات متباعدة .

وكنت أودُّ لو أنه قرأ مادار في الندوة التي عُقِدَتْ في نادي جدة الأدبي بين الدكاترة الثلاثة الحارثي وهاشم وخيرية ، وهم من فرسان صحافة اليوم بحقٍّ لكي يضيف بما يراه فيزيد القراء إمتاعاً وفائدة ، لقد طالعت ملخص مادار بين الأساتذة في جريدة الرياض (عدد الخميس ١٨ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ ص ١٢) مع تعليق الأستاذ عزيز ضياء .

وكان مما أعجبت به مما قرأت ما أدركته من تغيير في النظرة إلى الصحافة ، فقد كانت الفكرة الغالبة بين كثير من أبنائنا المشرفين على شؤون الصحافة هي النظرة إليها باعتبارها (صورة وخبر) أما ما لمسته في الذي قرأته من ملخص ذالك الحوار فهو النظرة إلى الصحافة باعتبارها عاملاً مؤثراً في الحياة الثقافية في مستقبل الأمة كذا أحسست بعد انتهائي من قراءة ذالك الملخص .

ولما لم أكن على ثقة من عمق نظرتي فيه رأيت أن أبعث به إلى الصديق الكريم الأستاذ أحمد جمال مشفوعاً بشكري له ، حيث ذكرني ذكره ــ الله بخيرــ في ذكرياته عن الصحافة .

ولا أجد غضاضةً في أن أعلق على تلك الذكريات الحبيبة للأخ الحبيب بأنني لا أذكر أنني كنت يوماً ما ممن حاول حصر النقد أيًّا كان اتجاهه بجهة أو صحيفة ، بحيث يصح القول عني بأنني أرى أن مجال النقد الأدبي في المجلات الأدبية وإن اعتبرتها أحـد مجالاته الرحبة .

ولقد كنت أصدر صحيفة ليست أدبية ، وكان من جراء فتح باب النقد فيها أنني أَثَرتُ غضب رئيس المؤسسة التي تصدر عنها الصحيفة بنشر نقد عملٍ يتعلق بجهة تُعْنَى بتنظيم شؤون الإدارة العامة في الدولة ، مما أغضب أحد الوزراء ،

فغضب رئيس المؤسسة لغضبه ، حتى تَحيَّنَ الفرصة لفصلي من العمل في الصحيفة التي أسستها أنا .

أما ما أشار إليه الصديق الكريم عن سبب إنشاء صحافة المؤسسات ، فلعل أحدنا خانته الذاكرة ، حين ذكر أن أحد الإخوان تقدم لمعالي وزير الاعلام الشيخ جميل الحجيلان مطالباً بأجرة اعلانات ، فالذي أذكره وأعلمه أن أحدالإخوة[1] تقدم لوزير المالية ــ وقد انتقل الآن إلى رحمة الله ــ وكان في مطار جدة يتأهب للسفر للرياض فطلب منه المساعدة في صرف أجرة اعلانات متأخرة لصحيفته فما كان من ذالك الوزير إلا ان استكثر المبلغ بالنسبة لفرد يعمل في صحيفة ، فكان أن قدم تقريراً بطلب نزع الصحافة من تصرف الأفراد ، فشكلت لجنة لدراسة هذا الأمر مكونة من وزير الاعلام ووزير الخارجية ووزير البترول والثروة المعدنية ، وكانوا إذ ذاك المشائخ جميل الحجيلان ، وإبراهيم السويل (رحمه الله) وأحمد زكي يماني .

وأعتبرها مناسبة طيبة لأقدم أطيب التحيات لأخي الأستاذ أحمد ، ولهذه الصحيفة الكريمة التي لا أزال ــ وسأبقى دائماً ــ أحمل لها أجمل الذكريات .

حمد الجاسر

(١) وللتاريخ : فإن الصحفي هو الأستاذ حسن قزار ، صاحب جريدة (عرفات) والمبلغ يزيد على الأربع مئة ألف ريال بقليل ، والوزير هو الأمير مساعد بن عبدالرحمن الفيصل ــ تغمده الله بواسع رحمته .

الأسر المتحضرة من سبيع في الحريق ونعام

اننا نشكر لكم هذا الجهد الواضح الذي بذلتموه في مؤلفكم الثمين « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » وجزاكم الله خيراً عن هذا العمل الكبير .

وقد جاء في كتابكم : (آل خثلان : في الحريق بفتح الحاء من سُبيع) وهذا غير كاف وفقكم الله .

وأيضاً الأسر السُّبيعية في المنطقة ليس لها ذكر . وقد قرأت في مجلتكم « العرب » س ٢٢ ص ٦٨٩ مقال أحمد آل سليمان بعنوان (أنساب أسر بلدتي الحريق ونعام) .

وأنا هاهنا سأصحح الأخطاء الخاصة بالأسر السُّبيعية في الحريق ونعام وهي :

١ ــ آل خثلان : في الحريق والرياض من الجبور من الخضران من بني عمرو من سُبيع من عامر بن صعصعة من هوازن من قيس بن عيلان بن مضر من عدنان .

وفروع آل خثلان هي :

أ ــ آل زيد وهم : البرازات وآل حمد .

ب ــ آل سلمان وهم : آل عبدالله وآل مهنا .

جـ ــ آل علي بن حمد . د ــ آل رشيد .

هـ ــ آل عزّام . و ــ آل حنتوش .

ز ــ آل فرحان . حـ ــ آل حمادي .

وهناك فخذ من آل خثلان يسكنون في الاحساء .

٢ ــ آل هويدي : من الجبور من الخضران من بني عمرو من سُبيع ، وقد انتقل معظمهم من الحريق إلى المزاحمية .

٣ ــ آل مسعد وآل وطيان : من النبطة من الخضران من بني عمرو من سبيع في الحريق والرياض .

٤ ــ آل دُغيم : من المفالحة من آل عمير من سبيع في الحريق والرياض .

٥ ــ القويزاني : من القبابنة من الشماسات من سبيع ، في الحريق وفي الرياض .

٦ ــ آل فارس : من العرينات من الخضران من بني عمرو من سبيع في نعام والرياض .

٧ ــ آل حركان : من المدارية من الصعبة من بني عمرو من سبيع في نعام والرياض .

٨ ــ آل ذوَّاد : من القواودة من بني عامر من سبيع في نعام والرياض .

٩ ــ الروافع : من آل محيميد من المشاعبة من آل عمير من سبيع .

١٠ ــ آل إدريس : من آل رميان من سبيع قال هذا د. محمد الدبل وأضاف : (ذكر الشيخ الحقيل أنهم من عائذ والصحيح ما ذكرنا) ، انتهى كلام الدبل . في كتاب « منطقة الحريق وتاريخها وحاضرها » ص ٧٥ الطبعة الأولى .

الرياض : عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

الشيخ راشد بن خنين : نسبه ومذهبه

سبق أن ذكرتم في « العرب » (س ٥ ص ٧٩٦) أن الشيخ راشد بن خُنَيْنٍ تميميُّ النسب ، مالِكِيُّ المذهب .

ونبهكم الشيخ حمد الحقيل ، بأنه اتصل هاتفياً بالشيخ راشد بن خُنَين وكيل وزارة العدل[1] في ذالك العهد ، فعلم منه بأن الأسرة من قبيلة عائذ ، كما جاء في مجلة « العرب » بتاريخ جمادى الآخرة ١٣٩١هـ (س ٥ ص ١١٥٧) وكما أوضح لكم أحد أفراد الأسرة بهذا الشأن . . « العرب » (س ٦ ص ٧٢) .

وفي كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » ــ ص ٢٣٧ ــ ذكرتم انتساب الأسرة إلى (عائذ) .

ولكنكم نقلتم عن الشيخ ابن بسام ان (العالم المشهور راشد بن خنين مالكي المذهب) إلى آخر مانقلتم .

والشيخ راشد ليس مالكي المذهب ، بل حنفي ، والأدلة على ذالك كثيرة .

منها : أن آل المُلاَّ في الأحساء هم أحناف ، قد أوقف جدهم الحاج بكر الملا القاري ــ على الشيخ راشد وقفاً في الأحساء لايزال قائماً يستغِلُّ ريعَهُ ورثةُ الشيخ من آل خنين ، ومنها أن الشيخ عثمان بن سند قد تحدث عن الشيخ ابن خنين في كتابه « سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد » فأطنب في حديثه ، ومما ورد ما ملخصه : أنه قدم الزبارة ، وهي في غاية العمارة فأكرمه ابن رزق ، ووفى عنه دينه ، فقام في الزبارة بتدريس العلوم ، وقال ابنُ سَنَدٍ من شعر يمدحه به :

العلمُ عِلْمُ ابنِ لَيْلَى وحِلْمُهُ حِلْمُ صَخْرِ
ياوَيْحَ نَجْدٍ جَفَتْهُ وكان فيها كبدر

وفي قصيدة أخرى :

العلم عِلْمُ أبي حَنيفة والدَّها كدهَاءِ عَمْرو والذكَا كَإياسِ
لو أبصر النُّعْمَانُ حسنَ قياسِهِ لقضى له بالفضل بين الناس

وأشار إلى أنه توفي في الزبارة ، وأن ابن رزق صاحبها وصل أولاده بالأرزاق .

والمقصود الإشارة إلى أنه حنفي المذهب ، ولاتزال أسرته تحتفظ ببعض المؤلفات القديمة في الفقه الحنفي التي خلفها الشيخ .

أما القصيدة التي أثنى عليها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، فهاهو نصها ــ بعد حذف الأبيات التي كان علماؤنا ــ رحمهم الله ــ لهم عليها مآخذ ، وهي منقولة عن خط صالح الصيرامي وآل الصيرامي في الخرج مشهورون باجادة الخط.:

قال الشيخ راشد بن محمد بن خُنَين الحنفي مذهباً والخرجي وطناً :

خَلِيلَيَّ هل فيكُمَا من مُرَافِقٍ صديقٍ صدوقٍ في المودة رافِقِ
رؤوفٍ عطوفٍ ذي صفاءٍ وعفَّةٍ خلِيٍّ من الإغْشاشِ غير مُمَالِقِ
يُساعِدُني في تركِ دنياً دَنِيَّةٍ مُعَانِقُهَا تَبأَلَهُ من مُعَانق
إذَا اقبلتْ تَزْهُو جمالاً كأنَّهَا من الْعُرُبِ الأترابِ في عينِ عَاشِقِ
فَيَغْتَرُّ ذُو الجهلِ العظيمِ بحسنها ويتبعُ في تحصيلها كُلَّ ناعِقِ

وتُشْغِلُهُ عن ذكرِ مولاهُ دائماً ... وفيها يُعادِي مَنْ له من أُصَادِقِ
يَضِنُّ بها من جَهْلِهِ وهْيَ جِيْفَةٌ ... وَيَحْسِبُهَا خِلاًّ له لم يفارق
وعما قليلٍ سوفَ يُؤْخَذُ عنوةً ... وتَهْوِي بِهِ الأَيَّامُ مِنْ رَأْسِ حَالِقِ
ألاَ إنَّها لا تنقضي نكباتُها ... على كل ذِي لُبٍّ من الناسِ حاذِقِ
وفيها بَخِيلٌ مُمْسِكٌ حازَ نعمةً ... تَفَكَّهَ فيها كَالْكَفُورِ الْمُشاقِقِ
ولو انها تَسْوَى جناحَ بعوضَةٍ ... لما ذاق منها شَرْبَةً كلُّ فاسِقِ
ولكنَّها حَظُّ الشقي فَدَأْبُهُ ... إذَا أَبْطرْتُه كَالْحِمَار المناهِقِ
لقد ضاع عمرٌ منهُ في اللهو والْمُنَى ... ونومٍ واكلٍ فَهْوَ أَوْبَقُ آبِقِ
عليكَ بتقوى الله ما اسْطَعْتَ يافَتَى ... وخُذْ كُلَّ ما آتاكَ خَيْرُ الْخَلاَئِقِ
وعما نَهَاكَ انْتَهْ وَجنِبْ جميعَهُ ... تَنَلْ فَرَجاً عندَ اشْتِدَادِ الْمَضَايِقِ
وَلا تَبْتَدِعْ فَالشَّرُّ في كُلِّ بِدْعَةٍ ... ومَنْ يَبْتَدِعْهَا لاَ تَصِلْهُ بِدَانِقِ
وَبَيْنَ السَّمَا وَالأَرْضِ لِوْ طَارَ عَابِدٌ ... وَسَارَ على وِجْهِ الْمِيَاهِ الدَّوَافِقِ
فَزِنْهُ بِمِيزَانِ الْمُطَهَّرِ شَرْعُهُ ... فَإِنْ وَافَقَ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ فَوَافِقِ
وَعَظِّمْهُ بَيْنَ العالَمِينَ فَإِنَّهُ ... وَلِيٌّ قَفَى آثارَ أَهْلِ الْحَقَائِقِ
وَإِنْ لَمْ يُوَافِقْ فالرَّجِيْمُ أَضَلَّهُ ... بِتَخْيِيْلِ نُوْرٍ في دُجَا اللَّيْلِ شَارِقِ
وَشَعْبَذَةٌ مِنْ نَوْعِ سِحْرٍ مُحَرَّمٍ ... بِهَا صارَ للشيطانِ أدْنَى مُصَادِقِ
فَجَنِّبْهُ واحْذَرْ أَنْ تُحَسِّنَ فِعْلَهُ ... وحَذِّرْ جميع الناس عن كلِ مائِقِ
وفي الشرع مايغنيك عن كل بدعة ... وفعلِ جهول للشريعة خارق
وبِالْعُرْفِ مُرْ واصبر لتغيير منكر ... فصمتُكَ إن عايَنْتَهُ غيرُ لاَئِقِ
وفي سابقٍ لَيِّنْ له القولَ مُخْفِياً ... ليبلغ فيه النصحُ ثُمَّ بِلاَحِقِ
إذا لم يَتُبْ فالْفِعْلُ بِالْيَدِ واجبٌ ... عليك إذا أَدْرَكْتَ إبطالَ زَاهِقِ
وإنْ لم تُطِقْ بالفعلِ تغييرَ منكرٍ ... فبالقولِ جَهْراً لَوْ بأَرْفَعِ شاهِقِ
والا بقلبٍ ، وهو أضعفُ حالَةٍ ... كذا رتَّبَ الهادي على كل رَامِقِ
وحاذِرْ ثلاثاً هُنَّ كِذْبٌ ، خِيانَةٌ ... وإخْلاَفُ وَعْدٍ ، آيةٌ لِلْمُنَافِقِ
وإيَّاكَ اياك الزناءَ فإنه ... طريقة سُوءٍ من أضل الطرائق
فمن عَفَّ في الدنيا تَعِفُّ نساؤُه ... وإلاَّ يُجازَى بالجزاءِ الموافق

ولَا تُـرَ مغتـابـاً حقـوداً مـرائيـاً ... ولا تَطْلُبَنَّ الرزقَ من غير رَازِقِ
ولا تصحبِ النمامَ والحاسِدَ الذي ... يَضُرُّكَ كالشيطانِ منْ غَيْرِ فارِقِ
ولا تتكـبرْ لا تكن مُعْجَبـاً ولا ... تَـكُ مَكَّارًا فـالمكر سـوءَ حائِقِ
ولا تبغ في الأرض الفساد كظالم ... وقاطع طُـرْقِ المسلمين وسـارق
ولا تقتـل النفس المحـرم قتلهـا ... وقل : لست للخمر القبيح بذائق
ولا تكن للتنبـاك يومـاً بشـارب ... مدى العمر ، أو في مِنْخِرَيْكَ بِناشق
فـذاك خبيث ذو فسـاد وعلة ... يسـوقهـما للجسم أسـرعُ سـائق
فيـا أيهـا الملتـذ بـالتتن عـادة ... وَسَمْتَ ٱلْمَحَيَّا بِـالسَّـوادِ ففـارقِ
عليـك كـرام كـاتبـون أسـأتهم ... بمنتنِ ريحٍ منك في الفم لاصق
لقد عم في كل الأقاليم جملة ... فـلا حـول عـما عم إلا بخـالقي
ومـاهـو إلا كـالحشيش محـرم ... ومـاهـو إلا من كبـار الصـواعق
وما كلُّ ذي طبع سليم من الورى ... إلى شرب كـل المنتنـات بتـائق
واما الذي تُحْيِيـه رِيحٌ كـريهـة ... إذا ماتَ مِنْ طِيْبٍ مِنَ الْوَرْدِ عَابِقِ
فـذا جُعَلِيُّ الـطبع لاتعتبرْ بـه ... فَلَيْسَ لمـألـوفـاتِـهِ بـالمفـارق
ولا تـك مُغْـتَرًّا بصـاحبِ هَيْئَـةٍ ... فكم خادع من خُلَّبٍ ضَوْء بارِقِ
وحافظْ على الإِسْـلَامِ إِنَّ بناءَهُ ... على عَدَدٍ قد جاءَ في نقل صادقِ
فتشهد أَنَّ الله في الذاتِ وَحْدَهُ ... وفي الوصف والأفعال ربُّ المشارقِ
وتنفي جميـعَ العـابـدين لغـيره ... وَمَعْبُودَهُمْ في الحالِ من غيرِ عائِقِ
وتشهد أن المصطفى خير خلقه ... محمـد المبعـوث أصـدقُ نـاطق
ولا تَتَمَـاهَنْ بـالصـلاةِ جميعهـا ... إذا قال داعيها : هَلِمُّوا ، فسابق
وكن خاشعا فيها بقلب وقالب ... ولا تتفكـر في بحـور المغـارق
وأَدِّ زكاةَ المالِ فوراً فَلَسْتَ من ... حِبَـالِ الـرزايـا وَٱلْمَنَـايَـا بِـوَاثِقِ
بها المال يَنْمُو كُلَّ حين ، ومَنْعُهَا ... إِذَا وَجَبَتْ لِلْمَالَ أَسْرَعُ مَاحِقِ
وصُمْ إن شَهِدتَّ الشهرَ لكن بِنِيَّةٍ ... ولا تتعـرضْ فيـه كـل البـوائق
وإِنْ كُنْتَ مَعْذُوراً فَبَادِرْ قَضَاءَهُ ... وحُـجَّ لبيتِ الله قبلَ العـوائِقِ
على الفور اذْ تَمَّتْ أدًا ، مُوجِباتُهُ ... وخُـذْ فِي أَدَا أَفْعَالِـهِ بالتنـاسق

ومن بعد ما تقضي المناسكَ كُلَّهَا فَخُذْ مسرعاً في قطع كل العوائق
وبادرْ إلى الإقدام إنْ كنت عاشقاً وسِرْ لو على الأقدَام في جوف غاسق
إلى طيبةَ الغرَّاءِ والْزَمْ سكينةً إذَا جِئْتَهَا في دُورها والمرافق
ولا تُهمِلِ الآدَابَ من حيثُ تَنْتَهِي إلى حضرة المبعوثِ أصدقِ ناطق

من هنا الأبيات التي أخذت عليه وهي[٢] :

وكن قاصداً بالسير منك زيارة . . . . . .
وأزكَى صلاةِ اللّهِ ثم سلامُهُ على المصطفى والآل أهل الحقائِقِ

هذه معلومات أحببت اتحافكم بها ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

أخوكم : . . . . . .

العرب : حقا لقد كان فيما كتب صاحب مجلة « العرب » عن الشيخ راشد بن خنين من أنه عارض دعوة الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب ، ماكان أثره ناشئاً عما تلقاه من مشائخه ، وكان بحاجة إلى التثبت ، أما مخالفته رأي المحققين من العلماء في القصد من الزيارة ، فهذا يدل عليه ماورد في كتاب « الأسنة الحداد » للشيخ سليمان ــ رحمه الله ــ .

وقصيدة الشيخ راشد ، تدل على اقراره بأنواع التوحيد الثلاثة ، وهذه القصيدة كما وصفها الشيخ ابن بسام فيها حكم وآداب ، أما وصفها بأن فيها غلوا أخرجها عن مذهب السلف في اخلاص العبادة ، فقد يكون فيما هو محذوف منها ، ولا يمكن الحكم عليه قبل التثبت منه ، ومع ذالك فالشيخ راشد قَدِمَ على ما قدَّمَ ، ورحمة الله واسعة ولا تُعْرف خاتمة حاله .

أما ما وقع في نسبته إلى تميم ، فمنشأ ذالك أن هناك أسرة تميمية النسب تدعى آل خنين (انظر « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة » ــ ص ٢٣٦ ــ .

ولكن اتضح فيما بعد التغاير بين الأسرتين في النسب .

والقول بأنه مالكي المذهب قد سُبِقَ إليه صاحب مجلة « العرب » ومن آخر من قال بذالك الشيخ عبدالله البسام في كتابه « علماء نجد » فقد ذكر (ص ١٩) :

مانصه : الغالب على أهل الخرج أنهم كانوا على مذهب الإمام مالك ، ومن علمائهم الشيخ راشد بن خنين العائذي نسباً المالكي مذهباً المعاصر والمعارض للشيخ محمد ودعوته .

وكرر مثل هذا القول (ص ٥٦٧) .

ولكن لاشك أن ما أورده الكاتب الكريم يُؤَيِّدُ نسبة الشيخ إلى مذهب الإمام أبي حنيفة .

وشكراً للكاتب الكريم على ما أتحف به القراء من ترجمة هذا العالم .

[**الحواشي**] :

(١) الشيخ راشد هو ابن صالح بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد آل خنين والشيخ راشد الأول هو ابن محمد آل خنين فأبوه هو أخ لعبدالعزيز الجد الخامس للشيخ راشد .

(٢) انظر كتاب « الأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد » للشيخ سليمان بن سحمان ــ رحمه الله ــ ص ٢٦٧ الطبعة الهندية .

حساب الجُمَّل

طالعت في مجلة « العرب » في جزءيها الحادي عشر والثاني عشر الصادرين في الجماديين سنة ١٤٠٨هـ مقالة عن كتاب (عارف حكمت) وملاحظات على تحقيقه بقلم الدكتور : علي جواد الطاهر .

وانتهز الفرصة لأعرب عن عظيم احترامي للدكتور الطاهر وتقديري لجهده في البحث والتحقيق وبخاصة جهده المشكور في محاولة حصر المؤلفين السعوديين ومؤلفاتهم ؛ تلك المحاولة التي انقطعت منذ فترة ، وكنت أتابعها وأنتظر بشوقٍ وصولها إلى نهايتها ، لأحظى بِشَرَفِ تدوين اسمي ضمن المؤلفين السعوديين ، الذين يقوم الدكتور الطاهر بعرض مؤلفاتهم ، ومازِلْتُ أتطلع إلى أن يواصلَ جهده المشكور في هذا الصدد ، وأن يصدر معجمعه بعد ذالك في كتاب أتوقع له رواجاً وانتشاراً .

وقد لاحظت في مطالعتي لبحث الدكتور الطاهر عن كتاب (عارف حكمت)

أنه قال في الفقرة (١٦) : (إن للتاريخ بالحساب الأبجدي اسماً خاصاً هو حساب الجُمَّل بضم الجيم وتشديد الميم) .

وأقول ــ مع الاعتذار للدكتور الطاهر ــ : إن حساب الْجُمَّل ليس أسماً للتاريخ بالحساب الأبجدي ، وإنما الحساب الأبجديُّ وَجْهٌ من وجوه استعمال حساب الْجُمَّلِ . أما حساب الجُمَّل ذاتُهُ فإن صاحب « لسان العرب » يقول عنه : (حساب الجمَّل بتشديد الميم : الحروف المقطعة على أبجد ، قال ابن دُريد : لا أحسبه عربياً) انتهى « لسان العرب » لمحمد بن مكرم بن منظور مادة (جمل) .

ويقول صاحب « المنجد » : (حساب الجمل هو حساب الأحرف الهجائية المجموعة في أبجد ، ويقال له حساب الأبجديَّة ، وعليه تُبْنَى التواريخ الشعرية) انتهى « المنجد في اللغة والاعلام » مادة (جمل) .

وعندي أن تعريف صاحب « المنجد » أقرب إلى الشمول من تعريف صاحب « لسان العرب » وإن كان أيًّا من التعريفين لم يكن جامعاً مانعاً ، ذالك أن حساب الْجُمَّلِ لا يقتصر استعماله على التاريخ الشعري وانما يُسْتعمل أيضاً من قِبَلِ بعضِ مُدَّعي التنجيم في حساب البروج التي يزعمون أن الناس ينتمون إليها ، أو يتأثرون بها ، ويفعلون ذالك بحساب اسم الشخص واسم أمه (لحب اليقين كما يقول أبو العلاء المعري) بما يقابل كل حرف من الأرقام ثم يقسمون المجموع على (١٢) وما بقي يكون هو الرقم الدال على البرج ، فإذا كان الباقي (١) فالبرج هو الحمل وإن كان (٢) فالبرج هو الثور ، وهَلُمَّ جَرًّا ، أما إذا لم يبق شيء فالبرج هو (الحوت) ويبنون على هذا التقسيم فنوناً من الدجل والإيهام بأنهم يعرفون طالع الشخص ، وأنهم قد يتدخلون للتأثير عليه من خلال معرفتهم لبرجه أو طالعه .

ونحن نرى في بعض الجرائد والمجلات ــ غير السعودية ــ زاوية خاصة لهذا الدَّجل والهراء ، ونرى كثيراً من الناس يتهافتون لمعرفة ما يخبئه لهم القدر من واقع

قراءة ما هو مذكور في زاوية (النجوم) ، وبعض الناس يُصَدِّقُ مايقال ، ويثق فيه ثقة تامة ، وينسى ماجاء في الأثر : « كذب المنجمون ولو صدقوا » فهم كاذبون مجازفون ، حتى لو صدق بعض حدسهم عن طريق المصادفة .

ومما يدل على كذبهم أننا لو فتحنا عدداً من الصحف والمجلات الصادرة في يوم واحد لوجدنا فيها تكهنات مختلفة بل متناقضة لصاحب كل برج ، مع أنها كلها تكتب بعبارات تحتمل تأويلات كثيرة غير محددة .

وبعد : فشكراً مكرراً للدكتور الطاهر رجائي لمجلتنا « العرب » الرواج والانتشار الذي تستحقه بصفتها موسوعة علمية موثوقاً بها يكتب فيها نخبة ممتازة من العلماء والمفكرين والمؤرخين .

والله الموفق ، ، ،

الفريق : يحيى عبدالله المعلمي

العرب :

ان مؤلف الدكتور علي جواد الطاهر عن المؤلفات السعودية وأصحابها قد صدر سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) في مجلدين ضخمين تبلغ صفحاتهما (٦١٨ + ٧٤٠ = ١٣٥٨) صفحة ، وقد تحدث الدكتور عنكم (ج ٢ ص ٥٩٦) بما هذا نصه :

*** يحيى المعلمي :**

ولد سنة ١٣٤٧هـ ــ تلقى دراسته الابتدائية والثانوية بمكة المكرمة ، وطلب العلم بالمسجد الحرام على يد الشيخ محمد بن مانع التحق بكلية قوى الأمن الداخلي (مدرسة الشرطة) وتخرج وتقلب في عدة وظائف للشرطة مديراً عاماً ثم حصل عام ١٣٨٦هـ على الماجستير في إدارة الشرطة والأمن العام مع التخصص في إدارة المرور من الولايات المتحدة وعين مديراً عاماً للمرور ، رأس عدة وفود إلى الخارج .

من مؤلفاته :

١ ــ الأمن والمجتمع ــ الزعيم يحيى المعلمي ، الرياض ، مؤسسة الجزيرة ١٣٩٣ ، ١٠١ ص + المؤلف في سطور .

٢ ــ مكارم الاخلاق في القرآن الكريم ــ اللواء يحيى المعلمي ، المطبعة العالمية بالقاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ١٨٤ ص + ٢ .

٣ ــ الأمن والتخطيط ــ اللواء يحيى عبدالله المعلمي ، مطبعة الشرطة بالإدارة العامة للسجون ج.ع.ل ، ٧٥ ص + ٢ د د.ت .

وله تحت الطبع : فن القيادة وآداب المرور ، جولات في رياض الأدب ، الأمن في القرآن الكريم ، الأمن في المملكة : ١٩٧٩ ، ١٩١ ص .

(اعـلان) ... بالمجـان !!

صدقوني : !! صدقوني :

أيها القراء ! إنَّ الْهِمَّ الهَرِمَ الذي بلغ من الكبر عِتِيًّا ، تنتابه حالات يعيش فيها بعقل فطير ، كعقل الطفل الغرير ، انني أتحدث عن نفسي لكيلا أوصم بانني أتهم الشيوخ بما ليس فيهم !!

انني حين تبدو صورتي في احدى الصحف ــ وقد لا أبصرها إلا بلفت النظر إليها ــ أُعْمِّقُ النظرة فيها فتنبسط أسارير وجهي ، واكاد أهتز عجباً وسروراً ، وقد أعمق النظرة الفاحصة فيها : لماذا المصور أمال الطيلسان (الشماغ) ولماذا برز طرف الطاقية ، وفيها أثر تمزيق ؟ ولماذا وجهي مظلم وماكنت عابساً حين التصوير ؟ ، بل كان وجهي مشرقاً كالبدر المنير !! هداه الله !! لقد أبرزني كما شاء هو ، لا كما ينبغي أن يكون !!

انني لا أزال أذكر أحد أيام الاحتفال بانتهاء الدورة السنوية لمجمع اللغة العربية في القاهرة قبل ربع قرن من الزمان ، وكان في فندق (شبرد) وكان يرأس المجمع الأستاذ الدكتور لطفي السيد (باشا) وأمينه العام الدكتور منصور فهمي (باشا) بعد ان ألغيت الألقاب ، إلاَّ أن أعضاء المجمع وأكثرهم من الشيوخ

يتشبثون باستعمالها بينهم ، لأنها آخر مابقي لهم من أيام مجدهم الغابر ، وكانت مجلة « آخر ساعة » من أبرز الصحف في ذالك العهد بين أيدي كثير من الحاضرين يتصفحونها ، وصاحبها الأستاذ محمد التابعي ، ومن أبرز محرريها مصطفى وعلي أمين .

وكان الأستاذ عبدالعزيز البشري المعروف بخفة روحه وببراعته في فن التنكيت والتندر من موظفي المجمع ، وكثيراً مايتخذ مما يدور فيه مجالا لنكته ونوادره ، وكان الأستاذ محمود تيمور أحد أعضاء المجمع ، يُعْنَى بجمع كتابه عن (ألفاظ الحضارة) ومنها أسماء الألبسة ، وكان يعرض في كل دورة من دورات المجمع طائفة مما اختار من الأسماء لتحل محل الأسماء الأعجمية ، فجرى البحث في نوع من أنواع أزياء النساء ، وهو النصف السفليُّ من الحُلَّة التي تلبسها المرأة المعروف في لبنان باسم (تَنُّورة) وفي مصر باسم (الجونلة) أعلاه ضيق بضيق الخصر ، وأسفله متسع ، إنه يشبه (القفة) فمها ضيق وبطنها واسع ، ومن هنا جادت بديهة الأستاذ البشري ، فنسب إلى المجمع أنه اختار بدل (الجونلة) اسم (القفة) .

وهاهي مجلة « آخر ساعة » التي يتداول الحاضرون مطالعتها ، قد نشرت في إحدى صفحاتها بان المجمع اختار اسم (القفة) بدل (الجونلة) ، وهاهما الكاتبان البارعان ابنا أمين ، قد أوحيا إلى رسام المجلة بفكرة هذا الرسم الهزلي (الكاريكاتيري) الذي قد ملأ صفحة كاملة صورة شيخ معمم ، وكثير في أعضاء المجمع من هو بهذه الصفة يداعب شعرات منتشرة فوق لحيته بأصابعه ، وقد بَحْلَقَ (عينيه) نحو فتاة تبادله النظرات ، قد برزت (مأكمتها) أشبه شيء بالقفة ، والشيخ يكرر كلمات : (ما أحلى القُفَّة ، على ذات العِفة ؟!) . ومن بين الحضور يدنو الدكتور منصور من الدكتور لطفي السيد رافعاً صوته ــ فسمع الدكتور لطفي ضعيف : (دُول أولادْ أمين مايستحوا ياباشا ؟ فيجيب : (عملوا إيه ؟) فيقرأ له مافي الصحيفة ويشرحه متوقعاً ان تثور ثائرة الرئيس الجليل ــ وهو هو مقاماً ونفوذاً ــ .

ولكن الدكتور لطفي السيد يجيب بهدوء : (ياباشا) سِيْبْهُمْ يذكروننا بخير أو بشر ، فيه حَدّ دَارِي عنَّا) ؟! .

وهنا يأتي دور استيضاح مجلتنا الكريمة « إقرأ » (ع ٦٥٦ في ١٤٠٨/٦/١٦هـ ص ٧٤) عن رأيي فيما كتب ابناي الكريمان الأستاذ محمد الوعيل والأخ المعقب على كلامه في جريدة « الجزيرة » [ع ٥٥٩٦ في ١٤٠٨/٦/٥هـ وع ٥٦٠٠ في ١٤٠٨/٦/٩هـ] ــ إنه لا يعدو رأي طيِّب الذكر (جحا) يروون عنه أنه تولى القضاء ، فدخل عليه رجل شكا خصماً ، وأنه فعل معه كذا وكذا ، فقال القاضي : الحق معك ، فخرج وسرعان مادخل خصمه فادَّعى بأن خصمه ظلمه ، اذْ نسبَ إليه مالم يحدث منه ، فما كان من القاضي إلا أن قال : الحق معك أنت أيضاً !! فخرج ، ثم دخل القاضي عند زوجته فعاتبته لكونه حكم للأول قبل أن يسمع كلام الثاني ، ثم حكم للثاني وقد حكم للأول ، فما كان من القاضي إلا أن قال : وأنت الحق معك أيضاً !!

وهكذا أنا ! .

(مجلة « اقرأ » ع ٦٥٧ في ١٤٠٨/٦/٢٣هـ ــ ١٩٨٨/٢/١١م)

حمـد الجاسـر

بنو الحارث (الشلاوى) قبيلة قحطانية

سألني الأخ الكريم النقيب عبدالله بن محمد الحلافي عن نسب بني الحارث (الشَّلاَوَى) الذين يحلون في وادي ترج وما حوله ، إلى من يرجع أصلهم من القبائل ؟!

وكنت قد تحدثت بتفصيل في مجلة «العرب» (س ٦ ص ٥٩٣ ومابعدها) وفي كتاب «في سراة غامد وزهران» ص ٤٣٦ ومابعدها .

وهاهو ملخص ماتحدثت به عن هذه القبيلة إجابة لسؤال الأخ الكريم .

مما ينبغي أن يلاحظه القارئ أن اسم (بني الحارث) يطلق على قبائل كثيرة ،

لأنه من الأسماء المألوفة قديماً عند العرب ، على ماورد في الأثر: (أحبُّ الأسماءِ إلى الله عبدالله وعبدالرحمن ، وأصدقها حارث وهَمَّام ، وأقبحها حرب ومُرَّة) . ولو فتحت كتاباً من كتب الأنساب وليكن «جمهرة النسب» لابن حزم لوجدت عشراتِ القبائل تُدْعى بني الحارث .

وقد تسهل كلمة (بني) فيستعاض عنها بـ(الباء) فيقال: بَلْحَارِث وبَلْعَنْبر وبلهجيم ، وهذه لغة فصيحة معروفة ، قال في «تاج العروس»: بَلْقَيْن ، كما قالوا : بلحارث وبلهجيم ، وأصله بنو القين ، وبنو الحارث ، وبنو الهجيم ، وهو من شواذ التخفيف . قال ابن ٱلْجُوَّانِي: العرب تعتمد ذالك فيما ظهر في واحدهِ النطق باللام مثل الحارث والخزرج والعجلان ، ولا يقولون فيما لم تظهر لامُهُ ، لذالك لا يقولون: بلنجار في بني النجار لأنَّ اللام لا تظهر في النطق بالنجار فلا تُجَوِّزُهُ العربيةُ ، ولم يُقَلْ في الأنساب . انتهى .

أما القبيلة (بَلْحَارِث) التي هي موضوع الحديث فهي التي تسكن في سراة الحجاز بين سراة الطائف وسراة زهران ، وسراة بَجِيلة ، وهذه القبيلة قد اتضح لي من خلال ما طالعته من نصوصِ المتقدمين أنها من قبائل الأزد ، وأنها فرع من قبيلة زهران ، وكان مما قلت بعد أن ذكرت سلسلة نسبها وتفرعها: وهذا الفرع حدث بينه وبين دَوْسٍ ــ وهم من فروع زهران أيضاً ــ حروب تقدم ذكر بعضها ، ولا يستبعد أن تكون من الأسباب التي فصلتْ هذا الفرع عن أصله ، وأخرجته من وسط بلاده إلى أطرافها ونواحيها ، وليس هذا موضع جزم ويقين بل موضع بحث وتَحَرٍّ للحقيقة .

وليس من المغالاة في القول الجزم بأن هذه القبيلة أزدية ، دخلتها فروع عدنانية ، إذْ من أشهر فروعها ناصِرة ، وفيها من ينتسب إلى العترة النبوية يدعون (المشايخ) يسكنون وادي مُرَيفق ، أما صلة القبيلة بالأزد فالجوار في الدار ، وقربها من البقوم وهي قبيلة أزدية .

ومنزل بلحارث من السراة هو مايعرف قديماً بسراة عَدْوَان ، بين سراة الطائف وسراة الأزد (زهران) جنوباً وشمالاً ، وسراة بجيلة غرباً .

ومما يلفت النظر أنَّ فرعَ ناصِرة من القبيلة من أكثر فروع القبيلة عدداً وهو يسكن السراة ، وإذا أدركنا أنَّ من قبيلة عدوان فرعاً يدعى ناصرة ــ كما سيأتي في نسب عدوان ــ تبادر إلى الذهن أن هذا الفرع بقي في بلاده القديمة ، وانْضَوَى في كنف بلحارث التي لابُدَّ أن تكون أقوى منه ، وهكذا الحال بالنسبة لكثير من القبائل ، عندما تستولي قبيلة قوية على بلاد قبيلة أضعف منها فإن الضعيف يندمج في القوي . وسيأتي عن عدوان أن الحروب أنهكتها وفرقتها ، ولا يعزب عن البال أنَّ اسم ناصرة يطلق أيضاً على فخذٍ من ثَقِيف ، وفرع من بني سعد بن بكر بن هوازن ، ومن ناصرة هاؤلاء حَلِيمة مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تكون الفروع الثلاثة اجتمعت ، واختلطت بسبب إطلاق اسم واحد عليها ، ولهذا أمثلة بين القبائل العربية . انتهى .

وعندما أَوْردتُ بيان بعض منازل بلحارث القديمة وفصلت فروعها اعتماداً على ماكتب به إليَّ أخوان كريمان من القبيلة نفسها هما عبدالعزيز بن دخيل الله بن غزال ، من شيوخ القبيلة ، وزيد بن نَجَا بن ناجي من شبابها المثقف ، أوضحا لي أن تلك القبيلة تتفرع إلى ثلاثة فروع :

١ ــ بني يوس (بنو أوس) ٢ ــ الشَّلاَوَى ٣ ــ ناصرة .

وبعد إيراد الأفخاذ مفصلةً لهذه الفروع الثلاثة مع ذكر القرى والشيوخ ذكرت أنَّ في وادي تَرْجٍ المعروف فرعاً من قبيلة بلحارث ، يحمل هذا الاسم ، نزح من بلاد القبيلة الأُمِّ وسط السراة ، واستقر هناك ، وأوضحت سبب النزوح كما رُوِيَ لي وهو أنه حدثت حرب بين بني خالد المعروفين الآن بالشلاوى من بني الحارث وقد حدثت هذه الحرب بين الشيخ نجم بن صالح ــ والشيخ بريمان الحنيش ، وكان من نتيجتها نزوح قوم نَجْمِ بن صالح إلى وادي تَرْجٍ ، وفي ذالك يقول شاعرهم حمد بن قين المخلدي نسبة إلى بني خالد من قصيدة نبطية تبلغ ١٥ بيتاً :

يقولَ الصبيّ المخلدي وَاقْ فِي ٱلْحَجَا ... فِي قِنّةٍ ما حوْلَهَا إلا صْقُورْهَا
أعذِلِ عْيُونٍ تَخْلطَ الدَّمْعْ بالدّما ... كِنَّ ٱلْمَلَايِلْ تِلْتِهِبْ في حْجُورْهَا
عـلى بني عَمِّي لْيَـازَل سُـرْبَـهْ ... ولْيا السُّربة النمرى تجدد وُثُورْهَا
مَطافيقٍ إنْ رَكْبوا علَى اكْوار ضُمَّرْ ... ومسافِيرٍ انْ جَتْنَا تَهاوَى صْدُوْرهَا

وبعد أن انتهت الحرب بين الطرفين ، ونزح قسم منهم إلى تَرْجٍ ، سأل شخصٌ عن البقية الباقية من بني خالد ، فأجابه شخص منهم : لم يبق سوى شِلْوَة حَرْب ، ومن هذه الكلمة تحول اسم بني خالد إلى اسم (الشَّلاَوَى) ، وقد عرفنا أن عدد بطونهم أربعة عشر بطناً وهم : المرازيق ــ والفضل ، وآل ربيع ، والحراملة ، والحرشة ، والشملة والخرصة والبطلان والعيسى والشحوف والعرمة والعطف وآل زياد والهماسية .

وقد اعتمدت في كل ماتقدم على معلومات اتضح لي صحتها .

ثم رأيت في كتاب اطلعت عليه حديثاً نسبة قبيلة (الشَّلاَوَى) إلى بني الحارث بن كعب القبيلة المشهورة التي كان منها بنو عبدالْمَدَانِ حُكَّام نجران ، وأنا لست على ثقة مما في هذا الكتاب ، ولكنني أورده على عهدة قائله ، قال صاحب «امتاع السامر» : (وأخضع العجمانَ الذين انضموا إلى بني الحارث بالحلف ، واستقروا بينهم ، ثم عين الأمير غانم بن صقر والياً على نجران الحارث بن شداد بن ربيعة من آل أبي الجود ، الذي كان قد اعتصم بجبل ساق من شعاب (شَلْيا) المنيعة مع بني الحارث ، ولم يتمكن العجمان من الوصول إليه ، وعرف هذا القسم من بني الحارث بعدها بـ(الشَّلاَوَة) وهم الذين دخلوا في حلف شَبَابة مع بَاقِم بن حوالة (البقوم) وزَهْران ، وبني عوف ، وأعيد حسن بن سلمان الحمامي إلى الوادي وذالك عام ٧١٣) انتهى .

وانتساب القبيلة إلى بني الحارث هاؤلاء لا ينافي انتسابهم إلى قحطان ، فبنوا الحارث حكام نجران من مَذْحِج القبيلة المعروفة الآن باسم (قحطان) وهاؤلاء فرع من قحطان الأم الكبرى ، وتحل البلاد الواسعة فيما بين بلاد عَسِير وبلاد يام ، وأيُّ النسبتين فَالشَّلاَوَى (بلحارث) قبيلة قحطانية سواء كانت من الْأَزْدِ أو من مَذْحِج ، وكلا القبيلتين من أشهر القبائل وأعْرَقِها نسباً .

زَلّةُ قَلَمٍ .. أَمْ خَطأُ (تَطْبيع) ؟!

نبهني الأستاذ الكريم محمد نعيم العرقسوسي في مقدمة كتاب « توضيح المشتبه » الذي قام بتحقيقه وصدره بمقدمة نفيسة عن المؤلفين في موضوعه ، عندما

مَرَّ بِذِكْرِ (ابنِ نُقْطَةَ البغدادي الحنبلي) ــ ص ٣٢ ــ قال في الهامش مانصه : (سبق قلم العلامة حمد الجاسر في « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق ٢٢٥/٢٦ المطبوعة سنة ١٩٥١م ، فذكر أن ممن ذَيَّل على « الاكمال » محمد بن عبدالغني المقدسي المتوفى ٦٧٣ ، وأن منه نسخة في دار الكتب برقم (٨١) مصطلح ، والصواب أن محمد بن عبدالغني هذا ليس هو المقدسي ، وإنما هو ابن نُقْطَة ، وسنة ٦٧٣ ليست سنة وفاته ، بل سنة وفاة منصور بن سليم الهمذاني ، الذي ذَيَّلَ على ابن نُقْطَة لا على ابنِ ماكولا ، وهذا هو المذكور في فهرس دار الكتب المصرية ٧٣/١ (فهرس مصطلح الحديث) و١٩٢/٥ (فهرس التاريخ) . والذي دفعني إلى تبيين ذالك أني وجدتُّ الأستاذ عمر رِضا كَحَّالة تابعَ العلامةَ حمد الجاسر ، فأورد هذا الاسم المُلَفَّقَ بين المؤلفين في كتابه « المستدرك على معجم المؤلفين » ص ٦٨٣ ، فليتنبه وليحذف) . انتهى .

وكان الأستاذ يشير إلى كلمة لي نشرت في مجلة « المجمع العلمي العربي » بدمشق ــ المجلد الـ ٢٦ الجزء الأول ٢٢ ربيع الأول ١٣٧٠هـ ١ كانون الثاني ١٩٥١م ــ تحدثت فيها عن كتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » وأشرت إلى بعض المؤلفات في الأنساب بصفة عامة ، وقد نُشِرَ المقال منذ ٣٨ سنة ولم أنظر فيه ، ولكنني بعد أن قرأتُ تنبيه الأستاذ العرقسوسي رجعت إليه ، فلما قرأته اتضح لي حدوثُ نقصٍ فيه أوقع فيما أشار إليه الأستاذ من الخطإ ، فأنا حين قلت : (٩ ــ « ذيل الإكمال » للحافظ محمد بن عبدالغني) اتبعت ذالك بالكلام بتوسع عن ابن نقطة وعن كتابه ، وأشرت إلى نسخته المخطوطة في دار الكتب ، وكنت قد عنيت بمطالعة تلك النسخة مطالعة تعمق واستقصاء ، لأَنَ ابنَ نقطة هذا ممن اجتمع به الشاعر علي بن الْمُقَرَّبِ الاحسائي في بغداد ، ولهذا أورد ذكره في كتابه المذكور ، وضبط بعض أسماء أجداده فيه ، ومن هنا كانت عنايتي بهذا الْمُؤَلَّفِ وبمؤلف آخر له هو كتاب « التقييد » ومنه نسخة جيدة في مكتبة الحرم المكي ، وكان من عنايتي بابن نُقْطَة أنني أوضحت فيما بعدُ للأستاذ الشيخ عبدالرحمن بن يحيى الْمُعَلِّمِي الذي قام بتحقيق كتاب « الاكمال » أن « ذيل ابن

نقطة » موجود في دار الكتب المصرية ، ولكنه لم يُنْسَب في الفهرس المطبوع إلى مؤلفه ، وقد أشار إلى ذالك الأستاذ الْمُعَلِّمِي ــ رحمه الله ــ في مقدمة الجزء الأول من « الاكمال » حين ذكر مصورة معهد المخطوطات وهي مصورة ، فقال : (عن فيلم مأخوذ من نسخة بدار الكتب المصرية ، وذكرت في فهرس معهد المخطوطات برقم ٥٨ من كتب التاريخ ، وفيه وفي فهرس دار الكتب أن الكتاب لمؤلف مجهول ، لكن أفادني حضرة الأستاذ الكبير المحقق الشهير حمد الجاسر صاحب مجلة « اليمامة » التي تصدر بالرياض عاصمة الدولة السعودية ــ ايدها الله ــ وعضو مجمع اللغة العربية بمصر أنه في بعض زياراته لمصر زار دار الكتب ، واطلع على هذه النسخة فبان له أنها من « ذيل ابن نقطة » على « الإكمال » فطلبت صورها فوجدت الأمر كما ذكر الأستاذ فشكراً له) . انتهى .

وكنت أتمنى أن في الامكان الاطلاع على اصل المقال المبعوث إلى مجلة « المجمع العلمي العربي » بدمشق لمعرفة ما إذا كان المشرفون على المجلة حاولوا اختصار المقال بحذف مايتعلق بالكلام على ذيول « الإكمال » حيث اعتبروها ليست من كتب النسب المضاهية لكتاب « طرفة الاصحاب » أم أن هذا وقع تطبيع ــ أي خطأ مطبعي ــ .

وعلى كل حال فإن الأستاذ العرقسوسي أَسْدَى إليَّ يداً إذْ نبهني إلى خطإٍ وقع في ذالك المقال ، ولَا يَد لِي فيه ، فهو إما تطبيع ــ خطأ مطبعي ــ سَبَّبَ سقوط بعض الجمل ، أَوْ تَصَرُّفٌ مُخِلٌّ .

وقد أدرك الأستاذ العرقسوسي انني ممن عرف كتاب ابن نقطة ، وأشار إلى ذالك ــ ص ٣٣ ــ ولهذا ورد تعبيره (سبق قلم) تعبيراً يَنُمُّ عن أَدب جمٍّ ، فشكر الله له وزاده علماً وتوفيقا .

حمـد الجاسـر

*** فهارس لسان العرب :**

هذا عملٌ عَظِيم حَقًّا يوفر للباحثين كثيراً من الجهد والوقت ، وَيُقَدِّمُ لهم مايتطلبون من كتاب يعد من أوسع المؤلفات في اللغة العربية وهو « لسان العرب » ، فلقد اتجه الأستاذان الفاضلان الدكتوران خليل عمايرة ، وأحمد أبو الهيجاء ، من جامعة اليرموك ، في الأردن ، أولهما في دائرة اللغة العربية ، والثاني في دائرة الهندسة الكهربائية ، فاستخدم كل واحد علمه ، وعملا مشتركين ، في وضع هذا الفهرس الشامل فكان عملهما كما قال الأستاذ الدكتور

تطبيع (أخطاء مطبعية)

وقع في جزء الجمادَيَنْ ١٤٠٨هـ (١١ ،١٢ س ٢٢) :

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
٨٢٧	١	تقع شرق المدينة	تقع جنوب شرق المدينة
٨٢٨	١٦	المشراقي	المشرافي (بالفاء)
٨٢٨	٢٠	القمر	الغمر (بالغين المعجمة)
٨٢٨	٢٢	بوادي هوس	بوادي حوس (بالحاء)
٨٢٩	٩	القمر	الغمر (بالغين)
٨٣٠	٢	القمر	الغمر (بالغين)
٨٣٠	٩	المعرج	العرج
٨٣٠	١٠	وادي الحوارة	وادي الهرارة
٨٣٠	١٧	القرمطي	الغرمطي (بالغين)

الرياض : عبدالعزيز بن سعد المطيري

عبدالكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني في مقدمته : (سيفتح مجالات عديدة للبحث العلمي ، ويوفر على الباحثين قراءة مئات المواد أو مئاتٌ الصفحات التي يتوقع الباحث أن يجد فيها ضالته ، وإنه لَمِثَالٌ يشقُّ طريقه في مؤسساتنا العلمية ــ في الأردن ــ حيث تُسَخَّر التِّقْنِيَّاتُ الحديثة في خدمة اللغة العربية ، وينجز من خلالها عملٌ يشارك فيه إلى جانب الباحثين العلميين عددٌ كبيرٌ من الفنيين الْمُبَرْمِجِينَ ، والطابعين ومدخلي المعلومات في الحاسوب) . انتهى .

وقد جاءت هذه الفهارس الوافية في سبعة مجلدات :

١ ــ يحوي المقدمة والآيات والحديث والأثر في ١٠١٠ من الصفحات .
٢ ــ الأقوال والأمثال واللغات والكتب والأماكن والوقائع في ٥٨٤ صفحة .
٣ ــ يحوي الأعلام ويقع في ٩٠٢ من الصفحات .

والأجزاء الأربعة الباقية تحوي الشعر ويقع في (٦٢٤+٦٥٦+٥٧٥+٦٦٨ = ٢٦٢٣) من الصفحات .

أي إن صفحات هذا الفهرس في اجزائه السبعة تبلغ (٥١١٩) صفحة .

والواقع ان هذا الفهرس في غزارة مادته يحوي جل مافي المؤلفات اللغوية بما احتواه .

وقد رُتِّبَ بطريقة تُسَهِّلُ للباحث العثور على المادة في المؤلفات اللغوية الأخرى إذ الإحالة في الفهارس كلها إلى المادة فإذا أعوزك بيت ورد في مادة من المواد في كتاب « تاج العروس » ــ مثلاً ــ فما عليك إلا أن تبحث عنه في هذا الفهرس فسيرشدك إلى المادة نفسها .

وقد قامت بنشر هذا الفهرس نشراً جيداً (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع) في بيروت لصاحبها الأستاذ رضوان دعبول الذي أمَدَّ الباحثين بنفائس من التراث العربي الإسلامي ككتاب « سير أعلام النبلاء » وكتاب « تهذيب الكمال » وغيرهما مما خلفه لنا سلفنا الصالح .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذه الفهارس في العام الماضي (١٤٠٧/١٩٨٧م) .

*** مَلْء العَيْبَة (رحلة ابن رشيد) :**

[انظر « العرب » س ١٧ ص ٦٣٧ وس ١٨ ص ١٤١] .

وصدر الجزء الخامس من كتاب « ملء العيبة بما جُمع ، في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة » تأليف محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي المتوفي سنة ٧٢١هـ ، وهذا الجزء يتضمن الكلام على الحرمين الشريفين ومصر والاسكندرية عند الصدور .

وقد قام بتحقيقه العلامة الجليل الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة وصدره بمقدمة وصف فيها المخطوطة الوحيدة التي اتخذها أصلا وأصلها في مكتبة (دير الاسكوريال) في أسبانيا وأشار إلى المؤلفات التي استعان بها في استدراك مارآه من نقص في تلك المخطوطة وألحق الكتاب بفهارس مفصلة للآيات والأحاديث مخرجة ، والاشعار منسوبة والاعلام وأسماء الأماكن واسماء الكتب ثم بفهرس عام لمحتويات هذا الجزء الذي يعتبر بحق من أهم مؤلفات القرنين السابع والثامن الهجريين عن الحياة العلمية في المدينتين الكريمتين مكة والمدينة وعن وصف آثارهما .

وقد سبق لمجلة « العرب » ان نشرت كل مايتعلق بالحرمين الشريفين من هذه الرحلة (انظر «العرب » س ٣ ص ٤٤٢/ ٥٠٧/ ٦٤٢/ ٧٤٩/ ٩٤٤/ ١٠٣٧/ ١١١١ وس ٤ ص ٥٦/ ١٦٠) وأشار إلى ذالك الاستاذ الجليل عندما عد المصادر التي رجع إليها .

ويظهر انه ــ وفقه الله ــ اعتمد أصلاً يختلف عن الأصل الذي كان معتمد مجلة « العرب » أو أن القراءة لذالك الأصل الغامض الخط في كثير من المواضع اختلفت كما يتضح هذا في مقابلة بعض الصفحات في المنشورتين ، ولاشك أن الأستاذ الدكتور أقدر على قراءة الأصل الذي هو بخط مغربي من غيره ، وبهذا

العمل قدم أستاذنا الجليل الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة مصدراً قيمّاً لا تقتصر فائدته على المعنيين بتاريخ هذه البلاد المقدسة بل يشمل جميع المهتمين بدراسة الرحلات العلمية ، وفقه الله وزاده قوة ونشاطاً .

وقد صدر هذا الجزء كأجزائه السابقة سنة ١٤٠٨ (١٩٨٨م) عن دار الغرب الإسلامي في بيروت بطباعة يظهر أن الأستاذ المحقق لم يصحح تجاربها ولهذا استدرك كثيراً من أخطاء التطبيع (الأغلاط المطبعية) في ورقات ألحقها .

*** الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود :**

اسم رسالة تتحدث بإيجازعن بعض الوقائع التي حدثت في بلاد عسير وماحولها لنشر الدعوة السلفية حين تولى إمارة تلك الجهة الأمير محمد بن عامر أبو نقطة في حدود سنة ١٢١٧ ويفصل كيف استجاب العسيريون لتلك الدعوة مسارعين ، لأنهم عرب اقحاح ، لم تلوثهم عجمة ، ولم تؤثر في طباعهم أخلاق تنافي الشيم العربية ، ويظهر أن المؤلف أراد أن يستمر في كتابة التاريخ فيسجل الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود في عهده ، إلا أن النبذة التى نشرها المحقق الأستاذ الدكتور عبدالله بن محمد أبو داهش ــ المعني حقاً بتاريخ هذه المنطقة ــ بَدَتْ ناقصة ، ومع ذالك ففيها عن حوادث فتح مكة في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز ، وعن موقف العسيريين وغيرهم من قبائل الجنوب في تلك الحوادث مما يعبر عن صدق اخلاصهم ويضيف للباحثين إنارة جوانب قد تكون مجهولة عند بعضهم .

ووقعت الرسالة في نحو ٢٥ صفحة ، ولكنها بمقدمتها وفهارسها بلغت ١١١ صفحة مطبوعة في مطابع مازن في أبها ، في بلاد عسير في هذا العام ١٤٠٨/١٩٨٨م .

نتيجة مسابقة أرامكو السنوية التاسعة لرسوم الأطفال

وقع اختيار لجنة التحكيم على مائة وثمان وأربعين لوحة بزيادة ثمان وأربعين لوحة على ما أعلن سابقا، وذلك من بين ستة آلاف لوحة من الرسوم الجيدة التي تنم عن كثير من الأصالة والاتقان.
لقد زيد عدد اللوحات المختارة نتيجة لتقارب المستويات الفنية للوحات وانسجامها بالجودة والجمال، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على المستوى الطيب الذي وصل إليه أطفال مملكتنا الحبيبة في هذا المضمار.

لقد تم الاتصال برقيا بأصحاب اللوحات المختارة وسلمت معظم الجوائز. وبهذه المناسبة يطيب لإدارة العلاقات العامة بأرامكو أن تعرب عن بالغ شكرها لجميع الذين شاركوا في المسابقة وللأساتذة والمسؤولين في المدارس في جميع أنحاء المملكة لمساهمتهم في إنجاحها وإظهارها بهذا المظهر الجيد، كما تجدد الدعوة لجميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعلن عنها في بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله.
والله ولي التوفيق

فيما يلي أسماء أصحاب اللوحات التي اختارتها اللجنة:

إبراهيم عبدالله بن ابراهيم الشويعر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
أحمد خالد خليل السكاوي
مدارس الإيمان الخيرية - الملز - الرياض
أحمد راشد الدوسري
مدرسة الحويطات الابتدائية للبنين - البنين الصناعية
أحمد عبدالعزيز المسفر
مدرسة عدارس الابتدائية - الطائف
أحمد عبدالوهاب إبراهيم
مدرسة العوفيلية المتوسطة - عرعر
أحمد محمد عاكف
مدارس دار الفكر - جدة
أحمد محمد عبدالله غازي
مدرسة جميل الفيصل النموذجية - فرع الجامعة - جدة
أحمد منير ناصر آغا
مدرسة العوفيلية المتوسطة - عرعر
أدي منصور
مدرسة الظهران - الظهران
أريج أبو علي
مدارس التربية الإسلامية - الرياض
إسحاق جميل تركماني
مدرسة متوسطة وثانوية أم القرى - الفيل الصناعية
أسماء أحمد رأفت علي عبدالمنعم
مدرسة ١٤٣ الابتدائية للبنات - النسيم - الرياض
إقبال محمد كمال رشدي فرشان
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف
الجوهرة محمد عبدالعزيز الشهيل
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
العنود فهد سليمان محمد آل سعود
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
آمال بادحدح
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران
أماني زكريا رضوان محمود
المدرسة الثامنة الابتدائية للبنات - الطائف
أمين بن صالح بن أحمد بن ناصر
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

إيقا بديع يعقوب اسحق
مدارس التربية الإسلامية - الرياض
إيمان عبدالعزيز المنقور
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
أيمن علي المهدود
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف
بدر بافيل
مدارس دار الفكر - جدة
بدر نزال الشمري
مدرسة رفحاء المتوسطة - عرعر
بدور عبدالله الثقفي
المدرسة ٤٣ الابتدائية للبنات - الطائف
بلال إسماعيل محمد سعيد بدران
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض
بلقيس حسن السبع
المدرسة الابتدائية الخامسة - سيهات
تركي باخيضر
مدارس دار الفكر - جدة
تركي حسين عباس
مدرسة محمود بن العاص - مهد الباطن
حسام درويش عبدالجليل
مدرسة الأبناء المتوسطة - مهد الباطن
حسناء العوفي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
حمد محسن رويشد
مدرسة محمود بن العاص - مهد الباطن
خالد إبراهيم محمد الحميد
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
خالد أحمد عبدالمعطي الجنيد
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
خالد محجوب محمد
مدرسة روضة لقباس الابتدائية - عرعر
خلدا علي محمد العواجي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
خلود الراشد
مدارس التربية الإسلامية - الرياض
دانه عبدالعزيز صالح الجريوع
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض
رائد عبدالله أبو عزيز
مدرسة الشاطئ - القطيف

رايده رشاد فواد رضاء
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض
رنى أحمد عبدالله الحنطي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
رذاذ حبيب أبو الحمائل
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران
رولا عبدالرحيم واكد أبو عقلين
المدرسة الحادية عشر المتوسطة للبنات - الطائف
ريم مبارك الدوسري
المدرسة الثانية الابتدائية للبنات - النقيب
زهير سلمان المزين
مدرسة الحويلية الابتدائية - القطيف
سائر عوض عائض السواط
مدرسة هطين المتوسطة - الطائف
ساره بابان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
ساره بكر عبدالله ابو الخير
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
سديم منير القاضي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران
سعد برد قاعد العنزي
مدرسة الفاروق المتوسطة - عرعر
سعود سعد عبدالله القويزاني
العضيلية - أرامكو
سعود سعد عبدالله بن دريس
مدارس الرياض للبنين - الرياض
سعيد عيسى الشرقي
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف
سناء اسماعيل ابراهيم كمال
مدرسة الوكرة
سيرين الحمامي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران
شادي ماجد حيدر
مدرسة روضة الروضة الأهلية - الطائف
شدا الدهش
مدارس الرياض الأهلية - الرياض
شريف فتحي عبدالعاطي
مدرسة روضة الروضة الأهلية - الطائف
شريف محمد مجدي
مدرسة عكاظ المتوسطة - الطائف

أرامكو

(PRI-6-88)